

مطبوعات مركز جمعية المساجد للثقافة والتراث بدبي



نقد الطالب لرغل المناصب

لشمس الدين محمد بن طولون الصالحى الدمشقى

١١٨٠ - ٩٥٣ هـ = ١٤٧٥ - ١٥٤٦ م

حقّقه

خالد محمد وهما

محمد أحمد وهما

راجعته

نزار أباظة

دار الفكر المعاصر

بيروت - لبنان

قسم التحقيق والنشر
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
ص.ب (٥٥١٥٦) - دبي

الكتاب ٩٣٨
الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م



جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الفكر المعاصر

لبنان - بيروت - ساقية الجزير ، خلف الكارلتون ، س. ت ٥١٤٩٧
ص . ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تليكس : FIKR 44316 LE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقد الطالب لرغل المناصب

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي على عاتقه ومنذ قيامه أن يسهم في خدمة التراث بما يقدر عليه من خلال أقسامه المتعددة خدمة للعلم والباحثين ؛ ذلك أنه كثر في السنوات الأخيرة نشر الكتب التراثية على أيدي غير المتخصصين ، الذين لم يلتزموا في تحقيقهم أسلوباً علمياً منهجياً ، فظهرت في الأسواق طبعات سقيمة لأسفار جلية المضمون ، تطاول أعمال المجلين من المحققين ، أدت إلى اختلاط الغث بالسمين وأساءت إلى المكتبة العربية .

ومن هنا كلف المركز لجنة من الأساتذة الخبراء أوكل إليها الإشراف على شؤون التحقيق والنظر فيما يقدمه المحققون الأكفاء من أعمال وتقديم الصالح منها للنشر .

ويوالي اليوم بالتعاون مع دار الفكر المعاصر نشر إصداراته فيقدم كتاب (نقد الطالب لزغل المناصب) لمؤلفه شمس الدين محمد بن طولون ، تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد دهمان ، مراجعة نزار أباطة .

نسأل الله أن يوفق المركز لخدمة التراث وأهل العلم إنه نعم المسؤول .

لجنة التحقيق والنشر في المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد ؛ فلقد عزم الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله على إخراج هذا الكتاب القيم في حياته - وهو أحد العلماء المتخصصين بتاريخ العصرين المملوكي والعثماني الضالعين فيه - فلم يساعده زمنه، ولا أسعفته ظروفه . فكان أن نسخ الكتاب، ثم استعد له وعنده المراجع المتوافرة والمصادر المتعددة، وشرع يعمل فيه فلحق بربه والكتاب بين يديه .

وعز على أسرة الشيخ رحمه الله أن يبقى الكتاب طي النسيان، فعزمتنا على إستئناف العمل فيه برأ بالشيخ وإرضاء لروحه، فكان الإتفاق أن نقوم بإستدراك ماينقص الكتاب من التحقيق والمراجعة والتعليق .

والموضوع الذي يعالجه محمد بن طولون الصالح في مصنفه الشيق (نقد الطالب لزغل المناصب) مهم جداً، يدخل في باب الأحكام السلطانية والسياسات الشرعية، ويختص بوظائف السلطان وأصحاب الولايات من الأمراء والوزراء والقضاة والقواد فيذكر ماعليهم من واجبات ، وتبعات، ويشير إلى مايدخل في أعمالهم من تقصير ومايتلبسهم من أخطاء ينبههم على وجوب تداركها واجتنابها .

إلا أن ابن طولون لايقف عند وظائف السلطان وولاته وأتباعه من رجالات الحكم، بل يجاوزها إلى ذكر المهن التي شاعت في عصره فيتناولها بالنقد، فلا يكاد يترك مهنة شريفة أو وضیعة إلا ويذكرها، منها المهن العملية والأخرى العلمية أو الديوانية أو الأميرية . . والغريب أنه يسمي هذه المهن كلها مناصب، مع أن المنصب مادل على الرفعة والسمو، وليست الوظائف التي يذكرها ولا الأعمال التي يقوم بها الناس شريفة كلها ولاسامية . . جاء في المصباح المنير: " يقال لفلان منصب، أي علو ورفعة، وفلان له منصب يراد به المنبت والمحتد " ولعله حمل الكل على

البعض مجازاً. أما الزغل فهو الغش والفساد وهو مجمل ما يدور موضوع الكتاب حوله، إذ يشير إلى ما يدخل على كل منصب من انحرافات، وما يطلب من العاملين فيه من سلوكيات.

وتأتي قيمة الكتاب من عدة أمور؛ منها أنه كتاب عالم مؤرخ، يصور جوانب الحياة في عصره، ويطلعك على أشياء جانبية منه، كانت تجري آنذاك، ولم تتعرض لها كتب التاريخ العام. والكتاب سجل للمهن والأعمال في زمنه، يذكرها بالتفصيل. وقد انقرض كثير منها اليوم، فاختفى، أو حل محله مهن أخرى مشابهة أو تغيرت أسماؤها، كمهنة المشاعلية، ومهنة رماة البندق، ومنصب المفيد، ومنصب المعيد، ومنصب الموقت والناسخ والمكاري والبابا والجمدار والأستادار والجوكندار والطشتدار وما يشابهها.

وهو كذلك يبرز الناحية الاجتماعية لعصره، فيتحدث بشكل غير مباشر عن ناس بلاده، كيف يحيون، والطريقة التي يتصرف بها أهل كل طبقة من طبقات المجتمع، والعادات التي يعتادونها، فنعرف مثلاً أن للسلطان والأمراء غلماناً من المماليك خصصوهم ليقوموا على لباسهم الثياب، وآخرين وضعوهم مشرفين على ترتيب النعال والعناية بها، وأن لهم خدماً فرغوهم للصيد، يحملون لهم أدواته. ونطلع على سخافات النحويين واللغويين في تصرفاتهم المضحكة، ونرى تفاهاات العامة وانحرافاتهم الدينية، كيف كان يلجأ ضعاف النفوس من القضاة وغيرهم إلى الرشوة، وماذا يصنع أعوان السلطان. . وهكذا.

وتبرز للكتاب مع التأمل غاية سامية، فهو دعوة صادقة للتمسك بالفضائل والأخلاق وأخذ النفس بالورع والتقوى، فحينما يعرف المصنف بمهمة كل صاحب عمل، ويبيّن العيوب التي تدخل عليه والأخطاء الملائمة لمهنته ينصح له ويخوفه الله، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فلا يفرق بين أمير أو مأمور، أجير أو مستأجر، صاحب ذي سطوة وبأس، أو من أصحاب الأعمال الحرة.

وتبين في الكتاب ابن طولون العالم من جانب الفقه الحنفي، إنه يشر أحكام المذهب هنا وهناك عند أدنى ملابسة أو أقل مناسبة، فيعرض فتاوى الحنفية كلما دعا الكلام إلى ذلك. كما يظهر ابن طولون المحدث المتمكن في علوم الحديث العارف بأسماء مشاهير العلماء والمحدثين مشهورهم وغير مشهورهم ويورد سلسلة من المراجع الحديثة وأقوال المحدثين، ويروي قصص طلاب الحديث وما يقعون فيه من أخطاء وتصرفات غير حميدة.

وفي الكتاب سلسلة من الكلمات غير العربية كانت مستعملة في عصره، نستطيع أن ندرك

منها طبيعة اللغة السائدة على الألسنة وقتذاك، فنرى سيطرة الفارسية والتركية ولاسيما في أسماء المهن الشائعة والوافدة إلى العرب من جيرانهم.

ونقع عند ابن طولون على قائمة بليوغرافية من الكتب المهمة، يذكرها في أثناء الكتاب ويسمي أصحابها وينقل منها نصوصاً أو أفكاراً وموضوعات، مما يدل على تضلعه بأسفار العلم ومعرفته بالمراجع والمصادر وسعة إطلاعه وليس هذا بمستغرب على مثله، ذلك لأنه تولى الإشراف على عدد من خزائن الكتب في دمشق وصالحيتها، كخزانة كتب المدرسة العمرية المعروفة، وناهيك بها. وخزانة كتب مشهد عروة بالجامع الأموي، وغيرها. فهو يغرف من معين هذه الخزائن وينقل من كتبها ما شاء من نصوص تدلل على شغفه بالكتب، وطول باعه في العلوم. وهذا أسلوبه في تأليفه كلها.

ولقد اقتفى ابن طولون في كتابه هذا أثر تاج الدين عبد الوهاب السبكي في كتابه (معيد النعم ومبيد النقم) الذي ذكر فيه جميع المهن والوظائف والأعمال المعروفة في زمنه فعددها كلها، وأوضح ما يدخل عليها من انحرافات، ورسم ما يجب على أصحابها من سلوكيات.

والنتاج السبكي قاض معروف وعالم كبير نشأ في بيت علم وتقوى ورئاسة، فأبوه قاضي القضاة تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي الأنصاري شيخ الإسلام في عصره، أحد الحفاظ المفسرين والعلماء المناظرين، ولد في سبك من أعمال المنوفية بمصر، وانتقل إلى القاهرة، ثم إلى دمشق فتولى بها القضاء ودرّس في دار الحديث الأشرفية وما زال يفيد حتى اعتلت صحته فترك القضاء ثم عاد إلى القاهرة فتوفي بها سنة ٧٥٦هـ. تاركاً عدداً من المصنفات في فقه الشافعية والطبقات وغير ذلك. وكفى به فخراً تربيته لولده تاج الدين أحد أعلام دمشق وقضاتها البارزين وعلمائها العاملين.

توجه تاج الدين السبكي إذن بفضل أبيه توجهاً علمياً قام على الجدّ والدرس، فتلقى علمه على أبيه وغيره من علماء مصر، ورحل معه إلى دمشق حين تولى أبوه قضاءها فأخذ عن شيوخها وأجازه ابن النقيب بالفتيا ولما يبلغ العشرين.

تولى النتاج السبكي في دمشق وظيفة الكاتب على القصص، ثم ناب في الحكم عن أبيه إضافة إليها، وجمع معهما التدريس في مدارس دمشق. وعندما كبرت سن أبيه تولى القضاء مكانه وبقي فيه حتى أصيب بالطاعون سنة ٧٧١هـ فتوفي ودفن بسفح قاسيون.

وامتحن النتاج السبكي بكيد الدساسين والحساد مما أثر عليه فأقيل عن القضاء لكنه صبر حتى

أعيد إليه ، فصصح عمن أساء إليه ولم ينتقم من أحد رغم أنهم اتهموه بالكفر واستحلال الخمر والزنا وغير ذلك .

بنى السبكي كتابه معيد النعم على ما يحفظ على الإنسان النعمة ، ويدفع عنه السوء وهو قيامه بما يجب عليه من تأدية حق العمل الذي خصص نفسه به ومراعاته لما رسم الشرع من أمره ، ولهذا سماه بهذا الاسم . وانطلاقاً من ذلك ذكر الأعمال في عصره والوظائف الديوانية والأعمال الحرة وغيرها ، وفصل في كل عمل ووظيفة مشيراً إلى ماقضى به الشرع والدين في كل عمل كي يؤدي على الوجه الصحيح وينتهي إلى غايته المرجوة فينشأ عن ذلك المجتمع الصالح .

ولكون التاج السبكي قاضياً للقضاة ، فقد اطلع على أحوال عصره وأحوال الدولة وطبقات الناس وأعمالهم ووظائفهم التي أوصلها إلى ١١٣ مهنة عرضها في كتابه ، فأوجز في بعضها وفصل في بعضها الآخر . ويبدو أنه فكر طويلاً وتأمل وبحث حتى جمع كل المهن في زمنه فجاء كتابه جامعاً في بابه .

ولقد أعجب ابن طولون بكتاب التاج السبكي كل الإعجاب ، لأنه اعتمد عليه كل الإعتماد في كتابه الذي بين أيدينا (نقد الطالب لزغل المناصب) وهو على ما يظهر من مقابلة نصوص الكتابين أحد مراجعه الأساسية ، ينقل عنه معلوماته ويورد من عباراته بنصها ويسندها إليه في ثنايا الكتاب مصرحاً باسمه ، ثم يزيد عليها من عنده ما يراه ناقصاً ، بل إن ابن طولون يفتح كتابه بقوله : " الحمد لله معيد النعم بمزيد شكره " . فكأنه يشير إلينا إلى كتاب السبكي منذ البداية . ولذا فيمكننا أن نعد الكتابين متكاملين ، أو أن الثاني تنمة للأول لاسيما وأنهما من عصر واحد تقريباً هو عصر المماليك الذي أدرك ابن طولون آخره .

صدر كتاب السبكي في طبعته الأولى بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م محققاً بتحقيق عني بالنص عناية فائقة بمقابلة النسخ المخطوطة للكتاب مع بعض التعليقات .

ابن طولون الصالحي:

هو أبو الفضل شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الصالحي الدمشقي الخنفي ، من أعيان العلماء المؤرخين في القرن العاشر الهجري . ولد بصالحية دمشق من سفح قاسيون سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م في بيت جده الذي كان يضم والده وهو بيت تركي مستعرب يهتم أهله بالعلم كل الاهتمام ، ويتكسبون بالتجارة . ولقب جده أحمد

بالخوارج، وكذا أخو جده لأمه. أما والدته فتركية رومية من أترك آسيا الصغرى وقيل إنها يونانية من الأناضول ماتت وابنها لم يجاوز العامين من عمره. كما مات والده التاجر الصالح وتركه في ريعان الصبا دون أن يخلف له ثروة يعتمد عليها، وكان هذا الوالد يرشده إلى الإشتغال بالتجارة ويخشى عليه الحاجة إذا انصرف إلى العلم بكليته.

تعلم ابن طولون أول أمره في مكتب (كتاب) المدرسة الحاجبية مبادئ القراءة والكتابة. ثم في مدرسة الكوافي، المشهورة بمسجد العساكرة.

وحفظ بعد ذلك القرآن الكريم ولما يجاوز السابعة من عمره وصلى خلفه العلماء عند ختمه احتفاءً به على عادة ذلك الزمن.

وانتقل ابن طولون من بيت الأسرة فسكن الخانقاه الينوسية يتابع بها علومه، وأمّ بها، وقرأ الفقه الحنفي مع أن السائد في العصر المملوكي هو المذهب الشافعي ومع أن الصالحية موطنه كانت مقر الخنابله وبها ازدهر مذهبهم. وما ذلك إلا لتأثره بعمه جمال الدين يوسف الذي شجعه وأعانته بكتبه وعلمه وجاهه وماله. وخطا خطوات هذا العم في تركه للتجارة وتوليه الوظائف الدينية.

قرأ ابن طولون علوم عصره من تفسير وفرائض وحديث وقراءات وأصول وعربية وعروض وبلاغة ومنطق وكلام وتصوف وتاريخ وعقائد. كما قرأ علوم الطب والحساب والميقات والهندسة والهيئة والبنكاح والطبيعة. وبلغ مجموع العلوم التي استوعبها ٣٨ علماً أساسياً أحصاها هو بنفسه، وإذا حسبت فروعها زادت على اثنين وسبعين علماً.

وشهد شيوخ ابن طولون بعلمه ومعرفته؛ فقال شيخه ناصر الدين بن زريق: "إنه مع صغر سنه وقرب مأخذة فاق من تقدم عليه باجتهاده وتحريه وانتقاده حتى رجوت له وانشرح الصدر أن يكون هو القائم بأعباء هذا الأمر".

وأجازه علماء كثيرون منهم شيخ الإسلام زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر العيني من أعيان المذهب الحنفي (ت ٨٩٣) وعز الدين بن الحمراء من كبار فقهاء الحنفية (ت ٨٩٤) وتقي الدين أبو بكر بن عبد الرحمن الزرعي، المعروف بابن قاضي عجلون (ت ٩٢٨) وكان أفقه أهل زمانه وأجل معاصريه، وإليه انتهت مشيخة الإسلام ورئاسة الشافعية ببلاد الشام، ومحب الدين بن القصيف قاضي قضاة الحنفية (ت ٩٠٩) والشهاب أحمد بن العسكري الصالح مفتي الخنابله (ت ٩١٢) والشهاب أحمد بن محمود بن فرفور قاضي الشافعية (ت ٩١١) ونجم الدين عمر بن

إبراهيم بن مفلح قاضي الحنابلة (ت ٩١٩) وتقي الدين بن قاضي زرع أحد خلفاء الحكم بدمشق (ت ٩١٩) ومحمد بن أبي بكر الشهير ابن زريق (ت ٩٠٠) ويوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩) وأبو المفاخر عبد القادر النعيمي (ت ٩٢٧).

وأجازه بالتدريس الشمس بن رمضان شيخ المدرسة القجماسية (ت ٩٢٢). وهذه الإجازة أول شهادة له باستحقاقه مرتبة العلماء. وأجازه عمه جمال الدين بتدريس علوم الحديث، وأجازه شيخ المالكية بدمشق الملا عبد النبي بتدريس العقائد، وأجازه برهان الدين بن عون مفتي الحنفية أعظم فقهاء دمشق في وقته مرتين بالإقراء وتدريس الفقه الحنفي. وكان شيخه هذا يعتني به عناية فائقة، كما أجازه بالإفتاء. وأجازه محيي الدين الإربدي المقرئ، وشمس الدين بن البصير بالقراءات العشر.

وبالإضافة إلى مشايخه هؤلاء وغيرهم، فقد حضر ابن طولون على شيخات من أعلام النساء بدمشق منهن أم عبد الرزاق خديجة بنت عبد الكريم الأرموية أخذ عنها بعض الأحاديث، وأم الحسن فاطمة بنت خليل بن علي الحرساني، والمسندة أم محمد ست القضاة بنت القاضي عماد الدين أبي بكر بن عبد الرحمن.

عاش ابن طولون حياة بسيطة جداً، وإلى جانب انغماسه في طلب العلم والدرس والتدريس، فإنه لم يتزوج طوال حياته، وكان حاله أقرب إلى حال المرباط في سبيل الله. ثم إنه سلك مسلك التصوف، فألبسه الخزقة شيخه الصالح الورع المعتقد أبو الفتح محمد بن محمد بن علي العوفي السكندري المزني أحد علماء الحديث، ولقنه الذكر، وأخذ عليه العهد، وقد التزم ابن طولون بالطريق واستقام عليه. ثم تتلمذ عليه فيه مريدون كما صنف في التصوف كتاباً للساكنين، سمّاه (كمال المروءة فيما قيل في الفتوة).

وانسحب التصوف على حياة ابن طولون العملية، ونستطيع أن نحكم بأنه عالم عامل زاهد مستقيم، من خلال إنتاجه الكثير في التصنيف، واستغراقه في التدريس، الأمر الذي يدل على انصرافه إلى محراب العلم والعزوف عن الدنيا.

وثمة أمر آخر يدل على زهده هو اعتذاره عن قبول الخطابة في الجامع الأموي كما سنرى في الحديث عن وظائفه وهي وظيفة تحمل له الشهرة والمال. واعتذر من قبل مراراً عن وظيفة القضاء وفي هذا دلالة عظيمة.

تولى محمد بن طولون وظائف عديدة ومنذ سن مبكرة، فمن الوظائف التي شغلها:

- ١ - وظيفة المشارفة (ملاحظة استدامة الخدمة في المدرسة) بالمدرسة المرشدية مشاركة مع ثلاثة آخرين، كان له منها حصة الربع . وكان في الرابعة عشرة .
- ٢ - وظيفة الشهادة (مراقبة الناظر) بالمدرسة العذراوية .
- ٣ - وظيفة كاتب الغيبة (كتابة أسماء الغائبين عن السماع) بالمدرسة الجوهرية .
- ٤ - وظيفة تفرقة الاربعات (على القراء) بالمدرسة الجوهرية أيضاً، تولاهما مع كتابة الغيبة .
- ٥ - وظيفة النظارة بالزاوية المنجية والزاوية السيوفية .
- ٦ - وظيفة نظارة وقف الزاوية المنجية والزاوية السيوفية أيضاً .
- ٧ - وظيفة خدمة الكتب (أمين مكتبة بأصطلاح اليوم) بالمدرسة العمرية وبخزانة كتب التربة الخاتونية بالجامع الجديد بالصالحية وبخزانة كتب مشهد عروة بالجامع الأموي .
وتولى إلى جانب ذلك الوظائف التعليمية التالية :
- ١ - وظيفة الإعادة بالمدرسة المقدمة الجوانية .
- ٢ - وظيفة التدريس في الماردانية وبترية زين الدين العيني بالجامع الجديد بالصالحية وبالمدرسة العذراوية وبالجامع الأموي وبمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية .
- ٣ - وظيفة الإمامة بالخانقاه اليوسفية والزاوية اليوسفية . ثم اختاره السلطان سليم إماماً لجامع الشيخ محيي الدين بالصالحية في عام ٩٢٤ هـ وبقي فيه حتى وفاته عام ٩٥٣ هـ .
- واشتغل ابن طولون بوظيفة توثيق العقود، تولاهما إلى إلغائها في العصر التركي عندما أسندت الدولة العثمانية العمل بها إلى أحد القضاة بإذن من القاضي العثماني .
- ولكون ابن طولون عالماً صوفياً، فقد شغل وظيفة مشيخة الخانقاه اليوسفية والخانقاه الحسامية والزاوية المنجية .
- واعتذر ابن طولون عن وظيفة القضاء حينما عرضت عليه مثلما رفض قضاء الصالحية مراراً، كما اعتذر أيضاً عن الخطابة في الجامع الأموي عام ٩٤٦ هـ بعد موت خطيبه الشيخ جلال الدين محمد بن علي البصري، ورفض وظيفة إفتاء المذهب الحنفي عند وفاة قاضي الخنقية قطب الدين محمد بن سلطان رغم سعاية جماعة من الشيوخ الكبار سنة ٩٥٠ هـ ورغم الإغراءات المالية وهذه الوظائف التي شغلها بالمواقع المذكورة قد تولاهما بدمشق .

وتخرج على ابن طولون عدد كبير من طلاب حازوا فيما بعد على المراتب العلمية والمناصب فكان يتهج بهم وترجم لهم في كتابه (ذخائر القصر بتراجم نبلاء العصر) من أشهرهم الشهاب أحمد بن أحمد الطيبي (ت ٩٨١هـ) خطيب الجامع الأموي ، وعلاء الدين علي بن إسماعيل بن موسى الشهير بابن عماد الدين ، وبابن آلوس (ت ٩٧١هـ) ونجم الدين محمد بن محمد بن رجب البهنسي (ت ٩٨٧) مفتي الحنفية بدمشق ، وإسماعيل النابلسي (ت ٩٩٣هـ) وشهاب الدين أحمد بن شرف الدين ، وعلاء الدين بن صدقة الشافعي (ت ٩٧٥هـ) الواعظ بالجامع الأموي . وزين الدين بن سلطان مفتي الحنفية ، وأحمد بن محمد المعروف بالشويكي الصالحي (ت ١٠٠٧هـ) وعبد الوهاب بن محمد الدمشقي الشهير بابن الإسكاف إمام جامع القلعة ، ثم إمام الحنفية بالجامع الأموي ، وغير هؤلاء كثير .

وعرف ابن طولون بكثرة التأليف ، فلقد بلغت مصنفاته أكثر من ٧٥٠ مؤلفاً منها الرسالة الصغيرة وبعضها المجلدات الكبار . ولعل سبب كثرة تصانيفه يعود إلى اطلاعه الواسع على الكتب واهتمامه بها وقيامه بوظيفة حفظ الكتب كما رأينا ، بالإضافة إلى تفرغه للعلم بكلية وانصرافه إليه عن كل مايشغله .

صنف ابن طولون في موضوعات متعددة؛ في الحديث والفقه والنحو والطب والفلك والمساحة والجبر والمقابلة والحساب ، وكتب عن النقود وحساب الدراهم والدنانير . وربما لم يترك مجالاً للكتابة إلا وساهم فيه بقدر ، غير أن مؤلفاته ضاعت فلم يبق منها إلا القليل . ومن أشهر مصنفاته المطبوعة :

-إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى .

ط دمشق ١٩٦٤ والقاهرة ١٩٧٣م ودمشق ١٩٨٣م .

-اللمعات البرقية في النكت التاريخية .

ط دمشق ١٩٧٣م .

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان .

ط القاهرة ١٩٦٢م ، ١٩٦٥م .

- الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنا عشرية الإمامية .

ط بيروت ١٩٥٨م .

- الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام .
ط دمشق ١٩٥٦ م .
- العقود الدرية في الأمراء المصرية .
ط بيروت ١٩٦٥ م .
- التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران .
ط دمشق .
- الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون .
ط دمشق ١٣٤٨ هـ .
- بسط مسامع السامر في أخبار مجنون بني عامر .
ط القاهرة .
- غاية التبيان في ترجمة الشيخ أرسلان .
ط دمشق .
- قيد الشريد في أخبار يزيد .
ط دمشق .
- المعزة فيما قيل المزة .
ط دمشق ١٣٤٨ هـ .
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية (جزآن) .
ط دمشق ١٩٤٩ م ، ١٩٥٦ م ، ١٩٨٢ م .
- قرة العيون في أخبار باب جيرون .
ط دمشق ١٩٦٤ م .
- الشمعة المضيّة في أخبار القلعة الدمشقية .
ط دمشق ١٣٤٨ هـ .
- ضرب الحوطة على جميع الغوطة .
ط دمشق ١٩٤٦ م .

- فصّ الخواتم فيما قيل في الولائم .

ط دمشق ١٩٨٣ م .

- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين .

ط دمشق ١٣٤٨ هـ .

- تبييض الطرس بما ورد في السمر ليالي العرس .

ط دمشق ١٣٤٨ هـ .

بقي ابن طولون مثابراً على التأليف والدراسة والتدريس حتى آخر عمره رغم ما كان يعاني من أمراض منها ضعف بصره ، ولم ينقطع عن تلاميذه إلا حينما كان يشتد عليه الألم حتى وافاه أجله في ١١ جمادى الأولى من سنة ٩٥٣ هـ ودفن بجوار عمه جمال الدين يوسف بن طولون بسفح قاسيون .

وصف مخطوطة كتاب نقد الطالب:

اعتمد الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله على النسخة المصورة المحفوظة في خزانة كتب مجمع اللغة العربية بدمشق كما ذكرنا ، وهي صورة فوتوغرافية قديمة . والنسخة الأصلية كانت في حوزة آل الجوهري بنابلس فكّ الله أسرها ، اشتراها مع مجموعة من المخطوطات العلامة أحمد تيمور باشا صور منها للمجمع صورة قدمها إليه هدية .

ويقع كتاب نقد الطالب لزغل المناصب ضمن مجموع في مجلدين ضخمين يضم رسائل ابن طولون . نطالع في المجلد الأول منهما المصنفات التالية وكلها بخطه :

- كشف الظلام عن معنى السلام .

- نقد الطالب لزغل المناصب .

- رفع الملامة عما قيل في الحجامة .

- أربعون حديثاً من الأبدال العوالي .

- أربعون حديثاً من الموافقات العوالي .

- جواب السؤال عن أحكام الدجّال .
- تكميل الوعاء لكيفية الدعاء .
- التزام مالا يلزم فيما ورد في ماء زمزم .
- فصّ الخواتم فيما قيل في الولاثم .
- تأييد الأفكار لإتيان الطيور في الأوكار .

أما المجلد الثاني ففيه من مؤلفاته رسالتان فقط وهما :

- ١ - ضوء السراج فيما قيل في النساج .
 - ٢ - إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى .
- يليهما رسائل لمصنفين غيره وفي آخره رسالة بعنوان :
- ترجمة محمد بن طولون الحنفي الصالحى مؤلف الرسائل المتقدم ذكرها .
- يقع كتاب نقد الطالب لزغل المناصب في ٢٨ لوحاً ونصف اللوح ، بدءاً من الورقة ٢٤ من المجلد الأول وحتى الورقة ٥٢ أ ، وهو المصنف الثاني فيه من حيث الترتيب . والنسخة المذكورة رديئة التصوير حروفها بيضاء على أديم أسود تصعب قراءتها ، وزادها صعوبة خط ابن طولون الصغير الحجم المتداخل الحروف مما جعل عملية النسخ مرهقة لايحسنها إلا من عانى أمثال خطه .
- والنسخة إلى ذلك لاتخلو من أمكنة طمست فيها كلمات استطعنا استدراكها من المصادر التي اعتمد عليها ابن طولون .

عملنا في المراجعة:

أعدنا مقابلة النص الذي كتبه الشيخ دهمان رحمه الله ، واهتمنا فيه بالضبط ، وبوضع علامات الترقيم الضرورية وشكل الكلمات المشككة ، مع شرح بسيط للمفردات الغريبة ، ولاسيما الكلمات غير العربية الدراجة في عصر المؤلف .

ولما لم يكن بين أيدينا سوى نسخة واحدة من المخطوط ولاسيبيل إلى الحصول على غيرها ، فقد اعتمدنا في مقابلة النص على المصادر التي رجع إليها ابن طولون ولاسيما كتاب تاج الدين

السبكي فكان لنا بمثابة النسخ الأخرى خصوصاً وأنه محقق تحقيقاً جيداً، فاستطعنا استدراك الكلمات المطموسة منه ووثقنا كثيراً من عبارات نصّ ابن طولون.

أشرنا إلى مواضع الآيات الكريمة التي استشهد بها، وخرجنا الأحاديث الشريفة تخريجاً إجمالياً. وترجمنا لكثير من الأعلام مع التعريف السريع بالكتب التي ذكر المصنف أسماءها.

أما النصوص التي كان ابن طولون يوردها في أثناء كلامه مستشهداً بها من شعر أو نثر فقد وثقنا منها ما تمكنا فيه من الرجوع إلى المصادر التي نقل عنها. وقد فاتنا الحصول على كتب أخذ عنها لم نستطع الوصول إليها، إما لندرتها أو لأنها لم تطبع.

ولئن وفقنا الله وسدّد خطانا فذلك المرجو، وإن كانت الأخرى فنسأل الله التوفيق في أعمالنا الأخرى. إنه أكرم مسؤول عليه نتوكل وإليه نيب.

خالد محمد دهمان نزار أباطة

الجمعة ٢٤ رجب الحرام ١٤١١ هـ

٨ شباط (فبراير) ١٩٩١ م



الحج الى مكة في سنة ١٢٠٠

[illegible]

المشاهد

النبأ

صورة اللوح ٥٢ أ وهي آخر المخطوط

نقد الطالب لرغل المناصب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معيد النعم بمزيد شكره، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه على توالي ذكره.

وبعد. فهذا تعليق سميته (نقد الطالب لزغل المناصب). وهو ماقال الشيخ ناصر الدين البيضاوي^(١): «الحاكم بالأصالة؛ إن لم يكن حكمه يوافق الشرع ف(متغلبٌ)، وإلا فمع علم وصلاح تدير ف(إمامٌ)، وإلا ف(سلطان). تعيينه بتفويض إمام متقدم، أو إجماع من أهل حل وعقد لتحصيل صلاح الجمهور في المعاش والمعاد، بحفظ المصالح الضرورية، وإنزال الناس منازلهم. وبالنيابة؛ إما ليقوم مقامه في الحكم وهو (الوزير)، أو في أمور إقليم أو بلد أو جند ف(نائب)، أو في ضبط الحقوق واستيفائها ف(صاحب ديوان)، أو لتصر مظلوم وهو (الوالي)، أو في مثل خراج أو زكاة وهو (العامل)، أو تأدية أمر من رفع إليه دعوى حق، أو من لم يستقل وهو (القاضي)، أو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الظاهر، وهو (المحتسب)، أو للقيام بحفظ الدين والدعوة إليه وإقامة الحجة وإزالة الشبهة ممايزاً للعلوم الشرعية والأحوال القدسية والأخلاق الربوبية ف(شيخ الإسلام)». انتهى.

(١) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي، قاض مفسر، علامة، ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز، وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز وتوفي بها سنة ٦٨٥هـ من تصانيفه أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي وله مصنفات في التوحيد والعربية والفنون والفقه الشافعي. الأعلام ٢٤٨/٤. وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٢/٢٠

[١] منصب الخلافة^(١)

وهو الإمام الأعظم .

أيها الخليفة! إذا ولّك الله سبحانه أمراً على الخلق فعليك البحث عن الرعية، والعدل بينهم في القضية، والحكم فيهم بالسوية، ومجانبة الأهوية^(٢) القويّة، وعدم سماع كلام بعضهم في بعض، إلا أن يأتي بحجج ضروية.

وإياك أن تجعل نفسك والرعية سواء، لم تميّز عنهم بنفسك، بل بفعل الله سبحانه الذي لو شاء لأعطاهم ومنعك . فإن كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم فما ينبغي أن تتمرد وتستعين بنعمته على معصيته وأذاهم . بل لا أقل من أن تتجنب أذاهم، وتكف عنهم شهرك، وتجنب الهوى والميل والغرض . فنعمة الولاية لا تطلب منك غير ذلك ؟

ولو أنّك تركت الناس هملاً، يأكل بعضهم بعضاً، وجلست في دارك تصلي، وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئاً على ربك الذي ملكك؛ لم يطلب منك أن تتهجد بالليل، ولا أن تصوم الدهر، وإنما يطلب منك ما ذكرناه . فإن ضمنت إليه أعمالاً آخر صالحة كان ذلك نوراً على نور، وإلا فهذا هو شكر نعمة الولاية التي بها تدوم .

ولعلك تقول: فإن قمتُ بحقوق الرعية مع التقصير في حق الله تعالى، هل أنا محمود! فاعلم أنك محمود من تلك الجهة، مذموم من هذه الجهة .

وتيقظ لأمر عظيم ننبهك عليه، وهو أن من هذا شأنه يُخشى عليه إن هو زاد من التقصير في جانب الله سبحانه أن يُظلم قلبه ظلماً يورث الطّبع^(٣) على قلبه،

(١) معيد النعم ١٣

(٢) ولعل الأحسن الأهواء . لأن الأهوية جمع الهواء (مختار الصحاح) إلا إن قصد الاستعارة .

(٣) الطّبع: الختم (مختار الصحاح) أي فلا يدخل على قلبه بعد ذلك نور ولا يشرق فيها إيمان . ذكره في صفوة التفاسير ٣٣/١ ط ٦ ألمانيا الغربية ١٤٠٥ .

وينشأ عنه التقصير في تلك الجهة الأخرى ، فيصير مذموماً في الجهتين . فلا يخطر لك أنه يمكن اجتماع التقصير في حق الله سبحانه من كل وجه ، والقيام بحق العباد من كل وجه . بل هذا مستحيل عادةً . فقد جرت عادة الله سبحانه بأنه من أهمل جانبه من كل وجه سلط عليه الشيطان ، فاستولاه واستزله ، وصيره يُضيع جانب العباد أيضاً .

ومن رشيّق عبارات الشافعي رحمه الله وقد ذكر أن الرشد صلاحُ الدين والمال معاً : " من ضيّع حق الله سبحانه فهو لما سواه أضيع " .

ولا تولّ الملك ولا عملاً من أعمالك إلى من ليس بأهل ، لعدم عدله ، أو رشده ، أو تقواه . فإن سلمت ذلك إلى هذا الرجل فقد أفسد ملكه وعمله ، وظهر لك الخلل الوافر من كل وجه [من كل جانب] ^(١) :

البيت إذ ما حان منه خرابه ظهر التخلخل من أساس الحائط
وإذا تولى الملك [غير رجاله] ولوا [الأمر لكل قدم ساقط] ^(٢)

(١) مابين معقوفتين مسح من الأصل ، والتكملة من التبر المسبوك .

(٢) القَدَمُ : العبي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والغليظ الأحق الجافي (القاموس : قدم) . وانظر التبر المسبوك ، ص ٦٩ وماورد بين معقوفتين في الأصل : من أربابه . . . ولى والتصحيح من المصدر المذكور .

[٢] - منصب السلطنة

قال التقي السبكي^(١): « [السلطان] أعني الإمام الأعظم ، وقد أكثر الفقهاء في باب الإمامة ، وأفرد منهم كثيرون الأحكام السلطانية بالتصنيف^(٢) انتهى . قلت : منهم الماوردي^(٣) . ومنهم الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك)^(٤) . ومنهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه (التبر المسبوك في نصيحة الخلفاء والملوك)^(٥) . وهو كتاب نفيس يخاطب فيه السلطان محمد بن ملك شاه . وفيه مهمات ونفائس يحتاج إليها هذا التعليق ، وليس هو عندي الآن . والله الميسر .

(١) انظر ترجمته في المقدمة . والنص المذكور ليس للتقي السبكي وإنما لابنه تاج الدين في معيد النعم . ولعل ذلك سبق قلم من المصنف .

(٢) معيد النعم ، ص ١٦ ، وما بين معقوفتين مستدرك منه .

(٣) علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي ، نسبة إلى بيع ماء الورد . ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة ، ثم جعل أقصى القضاة في أيام القائم بأمر الله العباسي . وهو من العلماء الباحثين . كان يميل إلى الاعتزال وحصل على مكانة رفيعة عند الخلفاء . عمل في السفارة بين بغداد وبني بويه فعملت منزلته عند العباسيين وبني بويه على السواء . له مؤلفات عديدة في التفسير والفقه والأدب والسياسة الشرعية . توفي سنة ٤٥٠ هـ . الأعلام ٥/ ١٤٦ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٤ ، طبقات السبكي ٣/ ٣٠٣ ، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٦ ، شذرات الذهب ٣/ ٢٨٥ ، وكتاب الماوردي الأحكام السلطانية على غاية الشهرة تحدث فيه عن الأسس التي تقوم عليها السلطة كاستحقاق الخلافة وشروطها والولايات التي يحكمها الخليفة وما في الدولة من نظم الوزارة والقضاء والإمارة وما يتعلق بذلك من وظائف حفظ المال والجهاد والأحكام .

(٤) محمد بن الوليد بن محمد القرشي الأندلسي ، أبو بكر الطرطوشي ، أديب من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشه بشرق الأندلس . تفقه ببلاده ، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦ ، فحج وزار العراق ومصر وأقام مدة بالشام ، وسكن الاسكندرية فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي سنة ٥٢٠ هـ . كان زاهداً ، وله مؤلفات في التفسير والتصوف والخلافيات . الأعلام ٧/ ٣٥٩ عن وفيات الأعيان ١/ ٤٧٩ ، نفح الطيب ١/ ٣٦٨ ، الديباج ٢٧٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٧٧ . ألف كتابه سراج الملوك هدية للأمير أبي عبد الله الأموي وتناول فيه وظائف السلطان والولاية والقضاة والعمال وسرد الخصال الواجب وجودها فيهم وتحدث كذلك عن الأمور المساعدة على استقرار الحكم ودوام الملك ، وبين كيف تكون سيرة السلطان مع جنده ورعيته وأسلوبه في المال وأحكام الذميين والحروب .

(٥) الإمام الفيلسوف حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد ، أشهر من أن يعرف ولد في الطابران بخراسان وبها توفي سنة ٥٠٥ هـ ورحل إلى نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ورجع بعدئذ إلى بلده وهو منسوب إلى بلدة غزاة (بالتخفيف) من قرى طوس ، أو إلى صناعة الغزل فيصير عندئذ الغزالي (بالتشديد) . له نحو مئتي مصنف في التفسير والفقه والأصول والتصوف والفلسفة وغير ذلك . الأعلام =

ونحن ننبه هنا على مهمات أهمها السلاطين^(١):

أيها السلطان! من وظائفك تجنيد الجنود، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى؛ فإن الله لم يولِّك على المسلمين لتكون رئيساً أكلاً شارباً مستريحاً، بل لتنصر الدين وتعلي الكلمة. فمن حَقَّكَ ألا تدع الكفار يكفرون أنعم الله سبحانه، ولا يؤمنون بالله ورسوله.

فإذا رأينا ملكاً تقاعد عن هذا الأمر وأخذ يظلم الناس، يأخذ أموالهم بغير حق، ثم سلبه الله نعمته، وجاء يعتب الزمان ويشكو الدهر، أفليس هو الظالم؟! وقد كان يمكنه بدل أخذ أموال المسلمين وظلمهم أن يقيم جماعة في البحر يتلصصون أهل الحرب. فإن كان هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في أعداء الله الكفار، ويجاهدهم، ويتلصصهم، ويعمل الحيلة في أخذ أموالهم حلاً وبلا^(٢)، ويدع عنه أذية المسلمين.

ومن وظائفه أن ينظر في الإقطاعات ويضعها مواضعها، ويستخدم من ينفع المسلمين، ويحمي حوزة الدين^(٣) وكيف أذى المعتدين.

فإن فرق الإقطاعات على ممالك اصطفاها، وزيتها بأنواع الملابس والزراكن المحرمة، وافتخر بركوبها بين يديه، وترك الذين ينفعون الإسلام جوعاً في بيوتهم، ثم سلبه الله النعمة وأخذ يبكي ويقول: ما بال نعمتي زالت، وأيامي قصرت؟! فيقال له: يا أحمق! أوما علمت السبب! أولست الجاني على نفسك!

= ٢٤٨/٧ عن وفيات الأعيان ١/٤٦٣، طبقات الشافعية ١/٤١٠، شذرات الذهب ٤/١٠، الوافي بالوفيات ١/٢٧٧ وغيرها. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٢. ألف الغزالي كتاب التبر المسبوك باللغة الفارسية ووجهه إلى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، ثم نقل إلى العربية فيما بعد. بين فيه مهمات السلطان وقواعد الملك التي يقوم عليها والصفات الواجبة في الولاة والوزراء وأصحاب الأقاليم وقد غلف كل ذلك بحكايات تنفع في العظة وأخذ العبر.

(١) وغالب وظائف السلطان التي سيذكرها فيما يلي أشار إليها السبكي، ص ١٦ - ٢٠

(٢) يقال: هو حلُّ بُلٍّ، أي طَلَق، وكذلك الأنثى. وقيل البُلُّ: المباح. قال عبد المطلب [في زمزم]: لا أحلها لغتسل، وهي لشارب حلِّ وبلٍّ أي حلال، وبلٍّ: إتياع. وسئل سفيان: ما حلُّ وبلٍّ. فقال: حلُّ محلِّل. (لسان العرب).

(٣) حوزة الدين: حدوده ونواحيه (المعجم الوسيط: حوز). ومن المجاز: فلان يحمي حوزة الإسلام (أساس البلاغة).

قال ابن المزرع، واسمه يموت العبدى البصري^(١)، توفي بدمشق سنة أربع وأربعمئة: «إنما قصرت أعمار الملوك لكثرة شكاية الخلق إياهم إلى الله».

ومن وظائفه الفكرة في العلماء والفقراء وسائر المستحقين، وتنزيلهم منازلهم، وكفايتهم من بيت المال الذي هو في يده أمانة عنده. ليس هو فيه إلا كواحد منهم، ولدلوه نسبة دلاء المسلمين.

فإن ترك العلماء والفقراء جياً في بيوتهم يبيتون - ومنهم من يطوي الليلة والليلتين هو وعياله - وأخذ يث تعظيم ملكه، ومحاسن سماطه وزينته ولباسه ولباس حاشيته، فذاك جهول.

وإن ضم إلى هذا أنه استكثر على الفقهاء ما بأيديهم، وتعرض لأوقاف وقفها أهل الخير من تقدمه عليهم، فهو بلاء، فإن من حقه أن ينظر في مصالحهم وأوقافهم، وألا يكلهم إليها، بل يرزقهم من بيت المال ماتم به الكفاية. فإذا تعرض لها فقد خرق حجاب الهيبة.

فإن ضم إلى ذلك أنه يبيعها بالبراطيل^(٢)، ويضعها في غير مستحقها فما يكون جزاؤه؟.

ومن وظائفه بيت مال المسلمين. وقد قدر الشارع المصارف فيه، وجعل لكل مال أقواماً وقدرأ. فإن تعدى هذا كله وصرفه في شهواته ولذاته، وحسب أن الملك عبارة عن ذلك، فلا يلم إلا نفسه. وإذا جاء سهم رباني لا يستوحش. وإن أخذ يصرف الأموال على خواصه ومن يريد استمالة قلوبهم إليه لبقاء ملكه، لا لإعزاز الدين، وأعجبه مدائح الشعراء لكرمه، فذلك خرق^(٣). وقد امتلأت التواريخ بمن كان يهب الألوف للشعراء، والألوف للمماليك، والألوف للمغاني^(٤). وكل ذلك

(١) شاعر أديب من مشايخ الشام وهو ابن أخت الجاحظ، وكان لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه ويقول: بليت بالاسم الذي سماني به أبي وسمى نفسه محمداً ولكن اسمه الأول غلب عليه وذكره بعض المؤرخين في للمحدثين. له رواية للأخبار وحكايات مات بطرية وقيل بدمشق (الأعلام ٩/ ٢٧٧).

(٢) البرطيل: الرشوة. (القاموس: برطل).

(٣) الخرق: ضد الرفق، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور، والحق (القاموس: خرق).

(٤) يريد المغنين. وأما المغاني فجمع مغنى وهو المترنم الذي غنى به أهله ثم ظعنوا (القاموس: غنى). وفي عامية أهل الشام يستعملون هذه الكلمة للمغنيات.

وبال على صاحبه . فقد كان بيت المال في زمن عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه أضعاف ما هو اليوم بمالايحصى كثرة . وفتح الله عليه من الفتوحات ما أمره مشهور . وجاءه مع ذلك أعرابي يستمنحه فقال :

يا عمرَ الخيرِ جُرَيْتَ الجَنَّةِ اكْسُ بُنَيَّاتِي وَأَمْنَهُ
وكُنْ لَنَا مِنَ الزَّمَانِ جُنَّةً أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهُ
فلم يرتح لترقيقه ولا راعه قسمه عليه . بل قال : « إن لم أفعل يكن ماذا ؟ » .
فقال :

إِذَا أَبَا حَفْصٍ لَأُذِيبَهُ

فقال: « وإذا ذهبت يكون ماذا؟ ». فقال:

تَكُونُ عَنْ حَالِي لَتَسْأَلَنَّهُ
وَمَوْقِفَ الْمَسْئُولِ بَيْنَهُنَّ

فلما ذكر الموقف بين يدي الله تعالى والجنة والنار بكى ، حتى اخضلت (٢) لحيته بدموعه . وقال : " يا غلام ! أعطه قميصي هذا لذلك اليوم ، لا لشعره . أما والله لا أملك غيره .

فانظر مع ما حصل عنده من الرقة الدينية لم يُنعم إلا بما هو من خاصة ماله. ولم يجد غير قميصه. وقد كانت خزائن الأرض مملوءة بين يديه ذهباً.

قال العلماء: ولم يعطه من بيت مال المسلمين، وإن كان الأعرابي فقيراً مستحقاً؛ لأنه لما استنزله بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين، فلم يعطه من مالهم. على أنه لم يثبت عنده أن الأعرابي من جملة مصارف مال الصدقات.

فهذه سيرة أهل الحق والدين. ولسنا نطالب أهل زماننا بهذا؛ فإنهم لا يصلون

(١) هَـ: أي هنا، أبدلت الألف هاء، أو حذفت، وجيء بهاء السكت ويريد بها هناك. والخبر في معيد النعم ١٩
(٢) اخضلت: تبللت (لسان العرب).

إلى هذا المقام، ولكن نذكرهم لعلهم يرجعون أو يُقصرون عما هم فيه، فلا بد في الذكرى من نفع.

ومن وظائفه النظر في الدين والصلوات. ولقد رأينا منهم من يعمر الجوامع ظاناً أن ذلك من أعظم القُرب. فينبغي أن يفهم مثل ذلك الملك أن إقامة جمعيتين في بلد لا يجوز عند أبي يوسف والشافعي وأكثر العلماء. فإن قيل قد جوزها قوم، قلنا: إذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل، فذاك الوقت افعل الجائز عند البعض. وأما أنك ترتكب ما نهى الله عنه وتترك ما أمر به، ثم تريد أن تعمر الجوامع بأعمال الرعايا ليقال: هذا جامع فلان فلا والله لن يتقبله الله أبداً. وإن الله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً.

ومن وظائفه منع البدع المحرمة، كتقبيّل الأرض بين يديه. فإن كان سجوداً بأن لاقى بجهته الأرض، قال النووي^(١): «فسواء أكان إلى القبلة أو غيرها، وسواء قصد السجود أو غفل هو حرام. وفي بعض صورته ما يقتضي الكفر أو يقاربه. عافانا الله الكريم» انتهى، وسئل ابن الصلاح عن هذا السجود فقال هو من عظام الذنوب ويخشى أن يكون كفراً.

وفي بعض كتب أئمتنا الحنفية أن بعضهم قال: يكفر مطلقاً. وبعضهم قال: إن أراد التحية فهو حرام ولكن لا يكفر، وإن لم يكن له نية كفر عند أكثرهم. وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً﴾^(٢). والآية منسوخة أو متأولة كما هو معروف في كتب التفسير والعلماء.

(١) يجيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي العلامة المشهور بالحديث والفقه ولد في نوى بحوران سنة ٦٣١هـ ويدا عليه سيماء الصلاح منذ طفولته فحفظ القرآن الكريم ثم رحل إلى دمشق فتزل في دار الحديث وأخذ عن ابن مالك النحوي صاحب الألفية. ودرّس في دار الحديث الأشرفية وألف وصنف الكثير من المؤلفات المشهورة وكان صاحب ورع وتقوى، لم يأكل من فواكه دمشق وخضارها لأن أغلب أراضيها أوقاف فخشي إن أكل منها أن يطعم حراماً فكان يأكل مما تزوده به أمه من متعجات قريته. الأعلام ٩/١٨٤، طبقات الشافعية ٥/١٦٥، النجوم الزاهرة ٧/٢٧٨، مفتاح السعادة ١/٣٩٨. وله مصنفات كثيرة اشتهر منها رياض الصالحين والأربعون النووية وستان العارفين وشرح صحيح مسلم وغيرها.

(٢) يوسف، الآية ١٠٠.

والحاصل أن السلطان ينبغي أن يكون كما قال حجة الإسلام في كتابه التبر المسبوك^(١): « لما قعد أنوشروان في المملكة كتب إليه يزدكن الوزير: اعلم أيها السلطان أن أمور الملك على ثلاثة أشياء: إما أن ينصف رعيته ولا ينتصف منهم، وذلك فضل هذه الدرجة، أو ينتصفهم وينتصف منهم، فذلك عدلٌ، وهي الدرجة الوسطى، أو ينتصف ولا ينصف، وهي الدرجة السفلى. فانظر أيها الملك إلى هذه الثلاثة، واختر أيها أردت. وأنا أعلم أن الملك يختار الأولى كما قال الشاعر:

من أنصف الناسَ ولم ينتصفْ بفضلهم منهم فذاك الأميرُ
ومن يرد إنصافهم مثل ما أنصف أضحى ماله نظيرُ
ومن يرد إنصافهم وهو لا ينصفهم فهو الدني الحقيِرُ

وقيل إن السكر جنون، وإن المجنون يخاف من السكران، لأن المجنون سكره باطن، والسكران جنونه ظاهر. والويل لمن يبقى [في سكر الغفلة دائماً]^(٢) قال الشاعر:

من أسكرته الخمر في [عقله]^(٣) فما عليه إن صحاً من خجلُ
ومن [يكن] ^(٣) بالملك ذا سكره يصح إذا ما الملك عنه انتقلُ

والمقبل جداً من كان سكر سلطنته صاحياً، وكان المقدم على أعماله ثقة أميناً، وكان جليسه نصوحاً معيناً.

وعلاوة شكر السلطان أن يسلم وزارته إلى محتاج معون، ثم يستدعيه ويتمسك به إلى أن تزول حاجته، وتنقضي فاقتة، ثم يعزله وينصب غيره. فيكون مثاله مثال من يربي طفلاً صغيراً، إلى أن يصير بالغاً كبيراً يصلح للأعمال ومضي الأشغال ثم يقتله أو يستأصله.

(١) ص ٥٨ - ٥٩، وفي الخبر يونان بدل يزدكن.

(٢) مابين معقوفتين مطموس في الأصل، والتكملة من التبر المسبوك ص ٦٨ والخبر فيه.

(٣) مابين معقوفتين تصحيح ونقص استدرك من التبر المسبوك.

(١) إبراهيم بن أحمد ناصر الباعوني الدمشقي برهان الدين شيخ الأدب في بلاد الشام في عصره. ولد في صدد سنة

وقيل أربعة أشياء على الملوك من جملة الفرائض ، وهي : إبعاد الأدياء عن ممالكهم ، وعمارة المملكة بتقريب العقلاء ، وحفظ آراء المشايخ وأولي الحكمة ، والزيادة في أمر الملك بالإقلال من الأعمال الذميمة .

ولما تولى عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن البصري : أن أعني بأصحابك . فكتب إليه الحسن : « أما طالب الدنيا فلا ينصح لك . وأما طالب الآخرة فلا يرغب فيك » . انتهى .

وما أحسن قول العلامة برهان الدين الباعوني (١) :

أحسسنوا أيامَ دولتكم إنكم منهنـا على خطر
واعملوا مادام أمركم نافذاً في النفع والضرر
إنما الدنيا وزينتها طيب ما يبقى من الخبر

ولبعضهم (٢) :

خنازير ناموا عن المكرمات فأنبهم قدر لم ينم
فيا متجهم في الذي خوّلوا ويأحسسنهم في زوال النعم

(١) إبراهيم بن أحمد ناصر الباعوني الدمشقي برهان الدين شيخ الأدب في بلاد الشام في عصره . ولد في صقد سنة ٧٧٧هـ وانتقل إلى دمشق وزار مصر . عرض عليه قضاء دمشق بإلحاح فأبى . توفي بدمشق سنة ٨٧٠هـ . وكان يلقب بقاضي القضاة . له ديوان شعر وديوان خطب ورسائل وكتاب الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن واختصر الصحاح للجوهري (الأعلام ١/ ٢٣) نقلاً عن البدر الطالع ١/ ٨ ، نظم العقيان ١٣ ، الضوء اللامع ١/ ٢٦ ، هدية العارفين ١/ ٢٠ .

(٢) ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١/ ١٧٧ منسوبان لمحمود الوراق وفي حماسة الظرفاء ٢/ ١٤٥ لمحمد بن محمد بن عروس وورداً في ديوان جرير ٥٦٥ . وللخشعي في ربيع الأبرار ١/ ٥٧٢ ومن دون نسبة في نصيحة الملوك للماوردي ١٠٦ وبهجة للجالس ١/ ٥٢٤ ، والزهرة ٦٣١ ، والبخلاء للبغدادى ٩٧ ، وغرر الخصائص ٢٨٨ ، وأوردهما ابن طولون على النحو التالي وقد فضلنا الرواية الصحيحة :

عطوا الحكم فناموا عن المكرمات وعين الإله عنهم لم تنم
أوحشهم عندما حكموا ما أخسهم في زوال النعم

[٣] - منصب الوزارة^(١)

وهو اليوم^(٢) اسم لمن ينظر في المكوس وغيرها من الأموال التي ترفع إلى السلطان وبيت المال، ومن حقه بذل النصيحة للملك، وكف أذاه عن أموال الرعية، وتخفيف الوطأة عنهم ما أمكنه. وقد علم أن المكوس^(٣) حرام. فإن ضمّ الوزير إلى أخذها الإجحاف في ذلك، وتشديد الأمر فيه، والعقوبة عليه، فقد ضمّ حراماً إلى حرام. بل إذا لم يقدر على إبطال حرام، فلا يزيد الطين بلةً، بل لأقلّ من الرفق والتخفيف.

ومما يجب عليه التيقظ له الأموال التي تجتمع عنده، ومنها حلال، ومنها حرام. فعليه ألا يخلطها، بل يدع الحلال بمفرده، والحرام بمفرده. وإلا، فمتى خلطها ولم تتميز صار الكل حراماً.

وفي ذهن كثير من العامة أنّ الأموال إذا خلطت ودخلت بيت المال صارت حلالاً. وهذا جهل؛ فما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام الحلال. وبيت المال لأجل ما حرّم الله. كذا جعل هذا اللفظ وهو: «ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام الحلال» أبو نصر السبكي غير حديث^(٤). وجعله القاضي ناصر الدين البيضاوي في منهاجه^(٥) حديثاً مرفوعاً. لكن قال الحافظ زين الدين العراقي^(٦) في تخريجه لأحاديث المنهاج المذكور: «لم أجد له أصلاً». انتهى.

(١) معيد النعم، ص ٢٧.

(٢) كان منصب الوزارة يلي الخليفة أو السلطان.

(٣) المكس: النقص والظلم، ودرهم كانت تؤخذ من بائني السلع في الأسواق في الجاهلية أو درهم كان يأخذه المُصَدِّق [جابي الصدقات] بعد فراغه من الصدقة (القاموس: مكس) والمقصود هنا الضرائب التي تجبى ظلماً.

(٤) معيد النعم، المرجع السابق.

(٥) انظر ترجمة البيضاوي في الصفحة ١٧.

(٦) عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل المعروف بالحافظ العراقي بحانة من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد ومولده في رازتان التابعة لإربل، وحل صغيراً مع أبيه إلى مصر فتعلم فيها ونبغ ورحل إلى الحجاز وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٨٠٦ هـ. له كتب في الأصول والسيرة والتاريخ والمصطلح وغير ذلك الأعلام ١١٩/٣ نقلًا عن الضوء اللامع ١٧١/٤، غاية النهاية ٣٨٢/١، حسن للحاضرة ٢٠٤/١، ذيل طبقات الحفاظ.

لكن قال البدر ابن قاضي شهبة^(١) في شرحه على المنهاج إنه موقوف على ابن عباس . وقال ابن الملقن^(٢) في الأشباه : « إنه حديث رواه جابر الجعفي^(٣) - وهو ضعيف - عن الشَّعْبِيِّ^(٤) ، عن ابن مسعود . وهو منقطع كما قاله البيهقي . وعورض بحديث ابن عمر مرفوعاً : « لا يحرم الحرام الحلال » . أخرجه ابن ماجه^(٥) والدارقطني . ولا معارضة ، لأن المحكوم به في الأول إعطاء الحلال حكم الحرام تغليياً واحتياطاً ، لا صيرورته في نفسه حراماً انتهى .

ثم إذا ميّز الحلال من الحرام صرف الحلال على أهل العلم والدين ، ومن يتحرى أكله ويتعين عليه التخفيف في العقوبات ، على من يتوجه عليه بغير حق إذا لم يمكنه دفعها . فليت شعري إذا جلس وزير يعاقب الرعايا ليستخرج منهم الخبائث التي لا يجوز له أخذها ، ودفعها إلى من يأخذها ظلماً ، ويصرفها فيما لا يحل ، فكيف يكون وجهه عند الله تعالى ! وكيف لا يتبادر إليه الوخم وسوء العاقبة في الدنيا ! ولذلك ترى عواقبهم شر العواقب في الدنيا والآخرة .

(١) محمد بن أبي بكر بن أحمد أبو الفضل بدر الدين الأسدي الشافعي المعروف كسلفه بابن قاضي شهبة ، عالم بفقهاء الشافعية ، له اشتغال بالتاريخ ، من أهل دمشق وولد بها زار القاهرة واجتمع بعلمائها وناب في القضاء بدمشق من عام ٨٣٩هـ إلى وفاته وكان في عهده الأخير فقيه الشام بلا منازع من كتبه الدر الثمين في سيرة نور الدين الشهيد وشرحان على المنهاج في الفقه أحدهما كبير وهو إرشاد المحتاج إلى توجيه المنهاج والآخر صغير وهو بداية المحتاج ، والمواهب السنية في شرح الأشنوية شرح به كتاب الفرائض لعبد العزيز الأشنهي . الأعلام ٥٨/٦ وانظر الضوء اللامع ١٥٥/٧ وكشف الظنون ٧٣١ .

(٢) عمر بن علي بن أحمد الشافعي ، سراج الدين ، أبو حفص المعروف بابن الملقن ، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال . أصله من وادي آش بالأندلس ولد بالقاهرة وتوفي فيها سنة ٨٠٤هـ . له نحو ٣٠٠ مصنف الأعلام ٢١٨/٥ عن الضوء اللامع ١٠٠/٦ خطط مبارك ١٠٥/٤ ، ذيل طبقات الحفاظ ، ١٩٧ ، ٣٦٩ .

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي ، أبو عبد الله ، تابعي من فقهاء الشيعة ، من أهل الكوفة ، أثنى عليه بعض رجال الحديث ، واتهمه آخرون بالقول بالرجعة . كان واسع الرواية ، غزير العلم بالدين . مات بالكوفة سنة ١٢٨هـ . الأعلام ١٠٥/٢ عن تهذيب التهذيب ٤٦/٢ ، ميزان الاعتدال ١٧٦/١ ، ذيل المذيل ٩٨ ، فهرس الطويس ٤٥ .

(٤) عامر بن شراحيل الشعبي الحيري ، أبو عمرو ، راوية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه . ولد ونشأ بالكوفة ، ومات بها سنة ١٠٣هـ . اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه ورسوله إلى ملك الروم . وهو من رجال الحديث الثقات . استقضى عمر بن عبد العزيز . وكان فقيهاً شاعراً . الأعلام ٢٥١/٣ ، عن تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ، وفيات الأعيان ١/٢٤٤ ، حلية الأولياء ٣١٠/٤ ، تاريخ بغداد ١٢/٢٢٧ .

(٥) رواه ابن ماجه في النكاح ٦٣ .

[٤] - منصب نواب السلطنة^(١)

عليهم مثلما على السلطان، ويزدادون أن من حقهم مراجعته إذا أمر بما يخالف المصلحة، وازديادهم من تفقد حال الرعية، صغيرهم وكبيرهم، جليلهم وحقييرهم، غنيهم وفقيرهم، والنظر في القرى والغلات ونحو ذلك، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها من ذوي المناصب والكفاية والحاجة، وتولية المناصب لأهلها.

فإن اعتذر نائب السلطنة بأن الزمان لا يمكنه من ذلك قلنا له ولغيره: أنتم مطالبون بكل ما نأمركم به مما تصل إليه قدرتكم فعليكم الجد والاجتهاد والله يعين العباد.

ومن حقهم إقامة فقيه في كل قرية لافقيه فيها، يعلم أهلها أمر دينهم. ومن العجب أن أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيباً، ويستصحبونه في أسفارهم بمعلوم من بيت المال، ولا يتخذون فقيهاً يعلمهم الدين؛ وما ذاك إلا لأن أمر أبدانهم أهم عندهم من أمر أديانهم. نعوذ بالله من الخذلان.

ومن حقهم إلقاء مقاليد الأحكام إلى الشرع فإنه لا حاكم إلا الله. ولن تفعل العقول شيئاً. فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطنة انقياده للشرع وينسبه إلى اللين والرخاوة فاعلم أنه يخشى عليه أن يكون ممن طُبِعَ^(٢) على قلبه وأن عاقبته غير حميدة. بل حق على كل مسلم الرضا بحكم الله والانقياد له. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون^(٣) الظالمون، الفاسقون.

ومن حقهم دفع أهل البدع والأهواء، وكف شرهم عن المسلمين، فلا يسعهم في دين الله الصبر على من يسبّ الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقذف أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويفسد عقائد أهل الدين. بل يجب عليهم الغلظة على هؤلاء بحسب ماتقتضيه المذاهب.

(١) انظر امعيد النعم ٢١ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٨ .

(٣) المائدة، الآيات ٤٤ - ٤٧ .

وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد في العقائد واحدة، إلا من لحق بها من أهل الاعتزال والتعطيل والتجسيم. وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي^(١) التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول، ويدنون الله سبحانه برأي شيخه أهل السنة أبي منصور الماتريدي^(٢)، وأبي الحسن الأشعري^(٣) اللذين لم يعارضهما إلا مبتدع؛ ويسفكون سفك دم من ينتقص جناب سيدنا ومولانا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو يسبه، فإن ذلك مرتدّ كافر، ذهب كثير من العلماء إلى أن توبته لا تقبل، وهو اختيار طوائف من المتأخرين. فإن كان الذي وقع منه هذا من تكرار هذا الحال منه، أو عرف بسوء العقيدة وصحبة المشهورين بذلك، أو وقع منه ما وقع على وجه فظيع، تشهد القرائن فيه بخبث الباطن، فإن رأيي ألا تقبل توبته، ويسفك دمه، تبعاً لما اختاره الإمام العيني^(٤) من أئمتنا المتأخرين. وهو

(١) أحمد بن محمد، الطحاوي، ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ورحل إلى الشام. اتصل بأحمد بن طولون حاكم مصر فكان من خاصته وتوفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ اشتهرت عقيدته في التوحيد وله آثار منها المختصر في الفقه ومشكل الآثار ٤ أجزاء في الحديث وبيان السنة والمحاضر والسجلات. الأعلام ١٩٦/١ نقلاً من ابن خلكان ١٩/١، خطط مبارك ١٣/٣٠، لسان الميزان ١/٢٧٤، البداية والنهاية ١١/١٧٤.

(٢) أبو منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود نسبة إلى ماتريد محلة بسمرقند، أحد أئمة علم الكلام مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ وله من الكتب التوحيد وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة ومآخذ الشرائع في أصول الفقه والجدل وغير ذلك. الأعلام ٧/٢٤٢ نقلاً عن الفوائد البهية ١٩٥، مفتاح السعادة ٢/٢١، الجواهر المضئية ٢/١٣٠.

(٣) أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق، ينسب لسيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وهو مؤسس مذهب الأشاعرة، من أئمة المتكلمين للجهتهدين. ولد في البصرة وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ وقيل بلغت مصنفاته ٣٠٠ كتاب. الأعلام ٥/٦٩ نقلاً عن طبقات الشافعية ٢/٢٤٥، ابن خلكان ١/٣٢٦، البداية والنهاية ١١/١٨٧، الجواهر المضئية ١/٣٥٣.

(٤) محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ علامة من كبار المحدثين، أصله من حلب وولد في عيتاب وإليها نسبته، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عدّ من أخصائه، ولما ولي الأشرف سامره ولزمه وكان يكرمه ويقدمه، ثم انصرف عن وظائفه وعكف على التدريس والتصنيف حتى وفاته في القاهرة سنة ٨٥٥هـ وترك آثاراً كثيرة في الحديث والتاريخ والمصطلح والأدب وغير ذلك. الضوء اللامع ١٠/١٣١، شذرات الذهب ٧/٢٨٦، خطط مبارك ٦/١٠، الأعلام ٧/١٦٣.

رأي الشيخ تاج الدين السبكي، تبعاً لوالده الإمام أبي الحسن^(١) ورأي الشيخ تقي الدين بن تيمية^(٢)، وخلق.

ومن حقهم النظر في أمر المفسدين من قطاع الطريق وأهل الفتن كالعشران^(٣) وغيرهم، والغلظة والتشديد عليهم. وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم^(٤)، والمبالغة في عقوبتهم على جرائمهم، وطول مكثهم في السجن فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة، لا التشهيّ وحظّ النفس ومحبة شياع^(٥) الاسم بالانتقام، فإنّ ذلك فنّ من الجنون. فقد كان ملك الصحابة [رضي الله عنهم] أوسع، وأمرهم أنفذ، ولم يحبوا أن يشيع اسمهم إلا بالعدل والرفق، لا بالعسف^(٦) والظلم.

و[منها] الاهتمام بالنظر في أمر دواويرتهم. فأكثر ما ينشأ فساد بابهم عنهم وهم غافلون. فإذا عرف نائب السلطنة أن ميزان بابه الدواير، فحق عليه الاحتياط في أمره وعدم الإصغاء إليه فيما يقوله. بل يستوضح الحال، ويستكشفه من بطانة الخبير عنده؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مامن ملك أو أمير إلا وله

(١) انظر ترجمة تاج الدين السبكي ووالده تقي الدين في المقدمة.

(٢) أحمد بن عبد الحليم الحرّاني الدمشقي المعروف بابن تيمية الحنبلي، شيخ الإسلام، وأحد الأئمة المعروفين، ولد بحرّان وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وطلب إلى مصر للفتوى فأقنّى بها فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ونقل إلى الإسكندرية ثم أطلق فسافر إلى دمشق واعتقل بها وأطلق ثم أعيد ومات بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة داعية إصلاح في الدين آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، برع في التفسير والعلوم وأفتى ودرس وهو دون العشرين، قيل إنه صنّف نحواً من ٣٠٠ مجلد. الأعلام ١/ ١٤٤ نقلًا عن فوات الوفيات ١/ ٣٥-٤٥، الدرر الكامنة ١/ ١٤٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٥، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١.

(٣) ولعل الأصح: عشائر وعشيرات (كما جاء في المصباح المنير) وربما استعمل هذه الكلمة كما يستعملها عامة دمشق ويريدون بها البدو.

(٤) التعزير: عقوبة غير مقدرة حقاً لله تعالى أو العبد وسببه ما ليس فيه حد من المعاصي الفعلية أو القولية، فهو تأديب دون الحد. جامع العلوم ١/ ٣٢٦.

(٥) ولعل الأرفق أن يقال: شيوع. وفي مختار الصحاح: شاع الخبر يشيع شيوعاً: ذاع. وفي المصباح المنير: ظهر.

(٦) العسف يفتح العين وسكون السين الأخذ على غير الطريق وبابه ضرب وكذا التعسف والاعتساف والعسوف: الظلوم. (مختار الصحاح) وعسّفه: أخذه بقوة. وعسفت الطريق إذا سلكته على غير قصد (المصباح المنير).

بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه^(١). وقد صار في زمننا هذا أكثر ما ينشأ فساد أبوابهم من الاستدارية. فحق عليهم تطلب أحوالهم في كل وقت، ليصرف ما هم عليه، فإن كانوا على شر قابلهم.

[٥] - منصب الدواوين (٢)

وظيفة مُشدِّهم^(٣) استخلاص ما يتقرر في الديوان على من تعسر استخلاصه منه. والكلام فيه كالكلام في الوزير. وهو أشد حالاً؛ لأن الوزير يدعي أنه يعرف الحساب، ولا يؤاخذ إلا بما تقرر في الديوان. وهذا يقلد الوزير، فيضرب ويعاقب على جهل بالشرع والعادة. بل حق له لو رفع إليه من توجه عليه حق تعيين أن يرفق به.

حكى أن المنصور رحمه الله بلغه عن جماعة من كتّاب الدواوين خيانة، فأمر بعقوبتهم، فقال صبي منهم وهو يضرب^(٤):

أطالَ اللهُ [عَمَرَكَ] في صلاحٍ وعَزَّيْأُمَيَّرَ الْمُؤْمِنِينَ
بعفوكَ أَسْتَجِيرُ فَإِنْ تُجَازِي فَإِنَّكَ عَصَمَةُ الْعَالَمِينَ
ونحنُ الكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَانَا فَهَبْنَا لِلْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ

(١) أخرجه النسائي عن أبي هريرة بلفظ « مامن وال إلا وله بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لاتأله خيلاً، فمن وفي شرها فقد وفي وهو من التي تغلب عليه منهما ». ١٥٨/٧ في البيعة باب بطانة الإمام وأخرج البخاري ١٦٤/١٣ في الأحكام باب بطانة الإمام وأهل مشورته من حديث أبي سعيد والنسائي في البيعة باب بطانة الإمام ١٥٨/٧ قوله صلى الله عليه وسلم: « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله ».

(٢) معيد النعم، ص ٢٨ - ٢٩.

(٣) مُشدِّ، أو شاد هو المفتش أو الناظر والمدير والوظيفة تسمى الشاذية (معجم الألفاظ التاريخية ص ٩٥) ولعلها من شد الهمة.

(٤) الأبيات في الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦٨ ط القاهرة ١٣٢٧/١٩٠٩. والوزراء والكتّاب للجهمياري ص ١٣٦ وقد ورد في الأصل ما بين المعقوفين (عزك).

وأمر الدواوين في سائر الجهات إلى الوزراء مرجعهم إن كانوا دواوين السلطان. وإن كانوا دواوين الأمراء فأمر كل ديوان إلى مخدمه. وعلى الكل أداء الأمانة وتجنب الخيانة. ويختص ديوان الأمير بالرفق في الفلاحين.

ويعمّ الكل تجنب حرّات الله تعالى على ما وصفناه. فقد كثر [منهم اتخاذاً] (١) دوي (٢) الذهب، أو المحلاة بالذهب والفضة. وأما السكاكين، فقال في الغنية للغزميني (٣) من أئمتنا: «ولابأس باستعمال سكين قبيعه ورأس نصابه فضة، إذا كان اعتماده على غير موضع الفضة» انتهى (٤). والأصح عند الشافعية تحريم ذلك كله. إلا أن يكون قد تمّوه بقدر لا يحصل منه شيء بالعرض على النار.

سمع بعضهم وقد قرأ منقوشاً على بعض دوي الكتاب:

دوائنا سـعـيـدـةٌ ليسَ لَهَا منْ مَترَبـةٍ (٥)
عـرـوسٌ حُسنٌ جُليّتْ منقوشةٌ مَكْتَبـةٍ (٦)
قـد انطَلتْ حِيلَتُهَا على الكرامِ الكَتَبـةِ

لم تنطل إلا على اللصوص، الكتبة في المكوس (٦).

(١) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من معيد النعم.

(٢) الدواة: ج دويّ ودويّ بالضم والكسر (القاموس: دوي).

(٣) هو مختار بن محمود بن محمد، أبو الرجا نجم الدين الزاهدي الغزميني، فقيه من أكابر الحنفية من أهل غزيرين بخوارزم، رحل إلى بغداد والروم، له مؤلفات في الفقه وغيره. الأعلام ٧٢/٨ عن الفوائد البهية ٢١٢، الجواهر المضية ١٦٦/٢. وأما الغنية فاسمه (قنية المنية لتتميم الغنية) في الفقه الحنفي. قال في كشف الظنون ١٢١/٢: «مع أن القنية من الكتب غير المعبرة وقد نقل عنها بعض العلماء في كتبهم لكنها مشهورة عند العلماء بضعف الرواية وصاحبها معتزلي، ذكر في أولها أنه استصفها من منية الفقهاء لأستاذه بديع بن أبي منصور العراقي. طبع هذا الكتاب في مجلد كبير بمدينة كلكتة سنة ١٢٤٥هـ.

(٤) قنية المنية ص ١٦١. والقبيعة ما على طرف مقبض السكين من الفضة، وربما اتخذت على رأس السكين. تاج العروس: قبيع.

(٥) متربة: مسكنة وفاقة (مختار الصحاح).

(٦) أورد هذه الجملة بعد البيت الأخير خوفاً من أن يُتهم بأن المراد الملائكة الكرام الكاتبون.

فإذا رأيت ديواناً [من وزير أو غيره]^(١) يخرج من بيته بعد أن امتلأ بطنه بالحرام، وهو لابس الحرام، وجلس على الحرام، وفتح الدواة الحرام، وأخذ يمدّ الأقلام في الحرام، ثم عاقب للحرام. أفليس حقاً إذا رأيت بعد زمن يسير مضروباً بالمقارع، يطاف به في الأسواق، ويجنى عليه. وخصوصاً إن كان من السمرة^(٢) أو النصارى. فلقد كثر استعمالهم دواوين في هذه الأيام، وهو من أقوى المصائب العظام.

(١) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من معيد النعم. ويبدو أن المقصود بالديوان هنا الكاتب بالديوان.
(٢) السمرة: هم اليهود السامريون نسبة إلى جبال السامرة في فلسطين، وقد استعمل ابن طولون هذه اللفظة في مؤلفاته للدلالة على اليهود. انظر إعلام الورى ص ٢٨٧ طبعة دار الفكر بدمشق لعام ١٩٨٣ م.

[٦] - منصب الولاية^(١)

وكان هذا الاسم وهو الوالي قديماً يسمى به نائب السلطان، وهو الآن اسم لمن إليه أمر أهل الجرائم من اللصوص والخمارين وغيرهم.

ومن حقه الفحص عن المنكرات، من الخمر والحشيش وبنات الخطأ^(٢)، وغير ذلك، وسد الذريعة فيه، والستر على من ستره الله تعالى من أرباب المعاصي، وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم.

وليس له أن يتجسس على الناس، ويبحث عما هم فيه من المنكر، ولا كبس بيوتهم بمجرد القيل والقال. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(٣). وثبت في صحيح مسلم^(٤) أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا». قال العلماء: أراد بالظنّ سوء الظنّ. وقيل لابن مسعود: «هذا فلان تقطر لحيته خمراً». فقال: «إنّا نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به» أخرجه أبو داود^(٥) وعن معاوية رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم» أخرجه أبو داود

(١) معيد النعم، ص ٤٣

(٢) استعمل العامة في الشام من قبل هذه الكلمة للبغايا.

(٣) الحجرات، الآية ١٢، وتامها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ».

(٤) برقم ٢٥٦٣ في البر والصلة، باب تحرّم الظنّ والتجسس والتنافس وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه وبقية الحديث: «وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره - بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». ورواه البخاري ١٧١/٩ في النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، وفي باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، وباب تعليم الفرائض.

(٥) برقم ٤٨٩٠ في الأدب، باب النهي عن التجسس وإسناده حسن، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرک ٣٧٧/٤ وصححه، وأقره الذهبي، وهو في أبي داود عن زيد بن وهب الجهني قال: أتني ابن مسعود فقبل هذا فلان تقطر لحيته... الحديث.

أيضاً^(١). فقل لجاهل يخطر له أنه يصلح الناس بتتبع عوراتهم : رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البشر ، وقد قال : « إنك إن اتبعتها أفستهم أو كدت » . بل حق على الوالي إذا تيقن أن يبعث سرّاً ربلاً مأموناً ينهى عن المنكر بقدر مانهى الله تعالى ، ولا يزيد على ذلك .

وما يفعله الولاة من إخراج القوم من بيوتهم ، وإزعابهم ، وإزعاجهم ، وهتكهم ، كل ذلك من تعدي حدود الله والإثم القبيح . وليس للوالي غير أن يجلدهم فقط بسوط معتدل ، بين القضيب والعصا ، لارطب ولا يابس . ويفرق السياط على الأعضاء ، ويتقي الوجه والمقاتل .

وعند أبي حنيفة يتقي الرأس ، وهو مذهب علي [رضي الله عنه]^(٢) . ولا يتقيه على الصحيح من مذهب الشافعي ، وهو مذهب أبي بكر الصديق [رضي الله عنه]^(٢) ، وإليه ذهب أبو يوسف . ولا يجرد عن ثيابه ، بل عن مقدار ما يدفع وصول الألم .

ولا يقام حد الخمر في السكر ، بل يؤخر حتى يفيق ، فإن أقامه في السكر أخطأ ولم يعده إذا أفاق .

فإن ضمّ إلى ذلك أخذ مال منهم تسميه الولاة التأديب والجنایات ، فاعلم أنّ صفقته خاسرة . آله أمره بهذا حتى يعمل مع خلقه ! والذي يجب عليه التأديب هذا الوالي الذي يأخذ مال الناس من غير حله .

فإن ضمّ إلى ذلك أنه حدّ الخامل الفقير ، ولم يحدّ المتجني الغني ، فقد ضم ظلماً إلى ظلم . فإن زاد وأخرج القوم من بيوتهم ، وهتك حريمهم فقد باء بأقبح إثم . فإن الله لم يأمر بذلك ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

ومن الولاة من يتجاوز في الضرب إلى المقارع ويقوم في إيصال الآلام لمن يعاقبه بمجرد التهمة والظنّ . أفما علم أنّ ضرب بريء أصعب عند الله من تخلية ذي جريمة .

(١) برقم ٤٨٨٨ في الأدب ، باب النهي عن التجسس وإسناده حسن ، ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه . وبقية الحديث - ٨ . . أو كدت تفسدهم . قال أبو الدرداء [رضي الله عنه] : كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفه الله بها .

(٢) ما بين معقوفين زيادة عن الأصل .

وبعض من طبع الله على قلبه من الولاية يأمر بالرجل أن يجرد، فإذا شرع الجلاّد في ضربه قام الوالي إلى الصلاة، وأطال، فيستمر المضروب تحت الضرب بالعصي أو المقارع مادام الوالي في الصلاة، فقبحه الله، آله أمره بهذا! وأيُّ صلاة هذه!.

وبعضهم إذا رفع إليه من أزال بكاره امرأة أمره بزواجها، وكذلك إذا أحبلها؛ ظناً منهم أن ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب وهتيكة الزنا. وهذا خلاف دين الله، فإن ولد الزنا لا يلحق بالزاني، ولا يكون ابناً له، ولا يرثه. فيفعلون حراماً مستمراً أبداً الأباد، وهو جعل ولد الزنا ابناً يرث الزاني، ويصلي عليه. إلى غير ذلك من أحكام الأبناء. وحكم الله فيمن أزال بكاره امرأة إن كانت مكرهة أنه يجب عليه مهر مثلها بكرًا. وعند الشافعي في الأصح، وأرث البكاره أيضاً^(١).

(١) الأرض: دية الجوارح والأعضاء، يقال ذلك لما قلّ منها وكثر. (الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لأبي منصور الأزهرى ٣٦٦ ط الكويت ١٣٩٩) والمقصود هنا خدش البكاره. وفي الحاشية رقم ٤ من معيد النعم ص ٤٥: يريد بأرث البكاره الفرق بين قيمة المجني عليه سليماً، وقيمته معيباً، بفرضه رقيقاً، فهنا يقدر قيمة المزني بها على فرض أنها أمة وهي بكر، وقيمتها وهي ثيب. والأرث ما بين القيمتين.

[٧] - منصب العمال على الزكاة

ويقال لمن يأخذ الصدقات من التجار بنصب الإمام له في ذلك : العاشر .
فيأخذ من المسلم ربع العشر ، ومن الذمي ضعفه ، ومن الحرابي العشر . وعليه أن
يحميهم من اللصوص وقطاع الطريق في الأموال الظاهرة والباطنة . وماورد من ذمّ
العشّار فمحمول على من يأخذ أموال الناس ظلماً كما يفعله الظلمة اليوم .

ولمن يأخذ زكاة السوائم بنصب الإمام له في ذلك عدّاد الغنم . وعليه أن
يحميهم من العربان واللصوص وقطاع الطريق . ولو وجب سن على رب السوائم
ولم يوجد عنده ، دفع بها أعلى من السنّ التي وجبت وأخذ الفضل من العدّاد أو
دونها ، وردّ الفضل إلى العدّاد أو دفع القيمة . والخيار في ذلك لرب المال . ويجبر
العدّاد على القبول ، إلا إذا دفع أعلى منها ، وطلب الفضل .

ويصرف إلى العامل بقدر عمله ، فيعطيه الإمام مايسعه وأعوانه ، وإن
استغرقت كفايتهم الزكاة . ولايزاد على النصف عند أئمتنا الحنفية . وعند الشافعي
ومالك وأحمد في رواية يُعطى له ثمن الحاصل من الصدقات أو عشرها ، حتى إنه
لا يظلم أحداً .

والآن صار يظلم أرباب الأموال ، ويرشي من ولّاه ببعض ماظلمه .

[٨] - منصب القضاة^(١)

وقد خصّ جماعة من الأئمة كتاب القضاة بالتصنيف، وأشهرها عند أئمتنا الحنفية كتاب آداب القضاة للخصّاف^(٢).

ويحرم على القاضي أن يأخذ القضاء بالرشوة. فلو أخذ بها لا يصير قاضياً، فلا تصح عقوده وفسوخه. وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرثي^(٣). وقيل الراشي أيضاً هو الذي يعيش بينهما. وتؤخذ الرشوة على يده. وهذا الوعيد ظاهر في قضاة زماننا. ومنهم من يتولى بالرشوة، فإذا عوتب عليه يدّعي أنما بذله صوناً للمنصب عن وقوعه في أيدي الجهلة والله لا يخفى عليه شيء.

وقبول الهدايا من أقبح ما يرتكبه القضاة. وعليه أن يردّها لأنها شبيهة بالرشوة إلا من ذي رحم محرّم؛ لأنّ في ردّها منهم قطيعة رحم وهي حرام، أو من جرت عادته بذلك، لعدم التهمة، حتى لو كانت لها خصومة. أو زاد على العادة يردّها؛ لأنها حيثئذ لأجل القضاء فتكون من الرشوة.

قال التاج السبكي: «وقد علّم أن مذهب الشافعي [رضي الله تعالى عنه]^(٤)، أنه لا يجوز له أن يقبل الهدية ممن لم تكن له عادة أن يهاديه قبل ولايته القضاء، ولا ممن كانت له عادة مادامت له حكومة. [والمذاهب في المسألة معروفة]^(٤). وأنا

(١) معيد النعم، ص ٥٥.

(٢) هو أحمد بن عمر بن مهير الشيباني، أبو بكر الخصّاف، فرضي حاسب فقيه. كان مقدّماً عند الخليفة المهدي بالله. فلما قتل المهدي نُهب، فذهب بعض كتبه. كان ورعاً، يأكل من كسب يده. توفي ببغداد سنة ٢٦١ هـ قال كاتب جلبي: وكتابه آداب القضاة مرتّب على ١٢٠ باباً وهو كتاب جامع غاية مافي الباب ونهاية مأرب الطلاب، ولذلك تلقوه بالقبول وشرحه فحول أئمة الفروع والأصول. كشف الظنون ٥٨/١.

(٣) لفظ الحديث: لعن الله الراشي والمرثي. مشكاة المصابيح برقم ٣٧٥٥ ومسند الإمام أحمد ٣٨٧/٢، ٣٨٨، ومستدرک الحاكم ١٠٣/٤ ومجمع الزوائد ١٩٩/٤. وفي رواية أخرى لعنة الله على الراشي والمرثي، مسند الإمام أحمد ٢١٢/٢، كنز العمال برقم ١٥٠٧٨، وسنن البيهقي برقم ٢٣١٣.

(٤) مابين معقوفتين زيادة عن الأصل. استدركتاه من معيد النعم.

أعتقد أنه يحرم على القاضي قبول هدية من يُهدي للقاضي في العرف ليستميل خاطره لقضاء إربه، وذلك يشمل كل من دون القاضي، ومن هو مثله ممن قد يحتاج إلى القاضي، وكثيراً ممن هو فوقه. ويخرج بعض من هو فوق القاضي، كالملوك الذين يصل إلى القاضي إنعامهم، ولا يقصدون بذلك استمالة خاطره لقضاء حوائجهم عنده؛ فإن حوائجهم عنده إن كان ممن يراعيهم لاحتياج إلى الهدية، لما لهم من الجاه. إلا فلا تفيد الهدية. فأقول: يحرم قبول هدية القسم الأول، كانت له عادة قبل القضاء أم لم تكن، كانت له حكومة أم لم تكن. ويجوز قبول هدية القسم الثاني بشرطين: أحدهما أن يجد القاضي من نفسه أن حاله لم تتغير في التصميم على الحق، وأنه قبل الهدية كهو بعدها. وهذا يتأتى مثلاً في هدايا الملوك، ولا يتأتى في غيرهم. والثاني أن تجري عادة ذلك الملك بفعل برٍّ مع من هو في منصب هذا القاضي. وإنما خصصت فصل الهدية بباب القضاء وإن كانت تشمل كل ولي أمر؛ لأنها من القاضي أقبح. ومن محاسن الشيخ الإمام الوالد رحمه الله تعالى كتاب فصل المقال في هدايا العمال اشتمل على فوائد نفيسة، فلينظره من شاء»^(١).

ومما يتعين على القاضي تفهيم الملك الحكم الشرعي فيما ينهي إليه من الوقائع، ومناضلته عنده عنها، وإفهامه أن ذلك هو الحق الذي إن حاد عنه هلك، وإن اعتمده نجا.

وأن ينظر في أمر الأوقاف والمستحقين من المشتغلين والمحتاجين وغيرهم، وخصوصاً قاضي البلد الكبير؛ لأنه كبير القضاة، وله النظر العام في الأوقاف وغيرها، فهو بذلك أمس.

ومما هوئت بعض القضاة فيه الأمر بالحكم بالصحة، فتراهم يقدمون عليه بمجرد ثبوت العقد والملك والحيازة، والحال أنه يشترط به كون المبيع منتفعاً به مقدوراً على تسليمه، مملوكاً للعاقدة أو لمن يقع له العقد، مرئياً رؤية لا تتقدم على العقد بزمان يمكن التغير فيه معلوماً، وكل واحد من البائع والمشتري عاقلاً رشيداً، غير محجور

(١) معيد النعم، ص ٥٥ - ٥٦.

عليه في تلك السلعة المباعة، وكون الثمن المعين مستجمعاً شروط المبيع. وأما الذي في الذمة فالعلم بقدره ووصفه، وكون العقد بإيجاب وقبول، لا يطول الفصل بينهما، ولا يقترب به شرط مفسد، وأن ينقضي الخيار والحال على ذلك، والدعوى والإنكار وقيام البينة بما ليس بظاهر وجوده من هذه الأشياء، وسؤال الحاكم، وحضور المحكوم عليه، أو وكيله، أو المنصوب عنه. والإعذار^(١) مختلف فيه.

ووصيتي لكل قاض ألا يحكم إلا به، ولا يحكم بعلمه، بل بالبينة. فإياك ثم إياك أن تقدم على الحكم بغير علم فتدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: «قاض قضى بالحق وهو لا يعلم، فهو في النار»^(٢). فإذا كان هذا الذي قضى بالحق وهو لا يعلم في النار، فالذي قضى بغير الحق، كيف يكون حاله!.

واستحضر بقلبك غداً يوم القيامة، إذا انتصب الجبار جلّ جلاله لفصل القضاء، وجيء بالنبيين والشهداء، وجيء بك يامسكين، وأنت كالقمحة. بل كالذرة بين أرجل الناس، بل أقل من ذلك، وفي ذلك الموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أنت نائبه، وقد بلغك شريعته، وجبريل الذي نزل بها عليه، ورسول الله وأنبيائه وملائكته، والصديقون والشهداء عليهم الصلاة والسلام كالسرج المضيئة في ذلك المشهد بين يدي الله تعالى، وسألك الله تعالى بغير واسطة بينك وبينه: لم حكمت في هذا الأمر؟ ومن بلغك هذا عني؟. ونظرت يمناً وشمالاً، فلم تجد هنالك سلطاناً ولا أميراً ولا كبيراً ممن سؤل لك ذلك الحكم، ورأيت نفسك وحيداً ذليلاً حقيراً، ونظرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقدم في ذلك المشهد العظيم الذي ترجو شفاعته، وقد حكمت بغير شريعته، كيف يبقى وجهك معه! أم كيف يبقى حالك عنده! وسائر الأنبياء والرسل والملائكة وأهل ذلك الموقف ينظرون إليك، والله سبحانه ينظرك. هل ينفعك أحد في ذلك

(١) الإعذار: أن يرسل القاضي من يتادي على باب المدعي عليه الغائب ثلاث مرات: يافلان احضر مجلس الحكم، وإلا نصب عنك من يكون وكيلاً وقبلت البينة عليك. (معيد النعم، الحاشية رقم ٤، ص ٥٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ٩٠/٤، وأورده في كنز العمال برقم ١٤٩٨٢، ١٥٠٠٤. وفي كشف الخفا ١٤٤/٢ وبروايات مختلفة.

الوقت، أو مال، أو جاه، أو غير ذلك! كلا والله، لا ينفعك! فانظر يا مسكين هذا الموقف. فما علمت أنه ينجيك فيه لا تستحي بسببه فيه، فافعله. وما سوى ذلك كن منه على حذر، ولو طلبه منك أكبر ملوك الأرض بملئها ذهباً. وإن قيل لك قد يكون توقفك تركاً للحكم الواجب، فقل إنما يكون واجباً إذا ظهر، وعند الشك لا. وإذا دار الأمر بين الترك مع الشك، والإقدام مع الشك، كان الترك أسهل، لأنه أخف وأقل جرأة. وينبغي أن تقصد بالحكم وجه الله تعالى، فلا يكون حكمك به لمخلوق، ولا لغرض من أغراض الدنيا، فبذلك تكمل العبادة فيه؛ فإن القضاء من أشرف العبادات وأقوى الفرائض، وتنال الأجر من خالقك. وإن حكمت به لغرض من أغراض الدنيا صح الحكم، ولكن لا يكون لك فيه أجر.

واعلم أنه لا يشترط وجود القربة عند الحكم، بل يكتفى به في أهل ولاية القضاء، لأنه قد يشق استحضاره في كل حال، فيكتفى به عند الدخول في أوله، كما أكتفي بنية الجهاد في أول خروج المجاهد.

ومن حقه أن يتحرى في تولية النواب له، وأن يكون ذلك النائب موثقاً به في أمانته وعقله ودينه وفهمه، عالماً بالفقه والسنة. انتهى ملخصاً.

[٩] - منصب الحسبة^(١)

وعليه النظر في القوت ، وكشف غمة المسلمين فيما تدعو حاجتهم إليه من ذلك ، والاحتراز في المشروب ؛ فطلما أوهم الخمار أنه فُقَاعِي ، أو أَقْسَمَاوِي^(٢) ، والمأكول ؛ فطلما أوهم الطباخ أن لحم الكلاب لحم ضأن . فليتنق الله ربه ، ولا يكن سبباً في إدخال جوف المسلمين ماكرهه الله سبحانه لهم من الخبائث .

ويحرم عليه التسعير ، إلا أن يتعدى أرباب الطعام تعدياً فاحشاً في القيمة . ولا بأس في ذلك بمشورة أهل الخبرة . وإذا سَعَّر انقاد الرعية لحكمه ، ومن خالفه استحق التعزير .

ومن مهماته أمران ارتبطا به : أحدهما ، النقود من الذهب والفضة المضروبين ، ولا يخفى أن في زغلهم هلاك أموال البشر ، فعليه اعتبار العيار بمحك النظر ، والتثبت في سكة المسلمين^(٣) . وفي عصرنا هذا لم يبق هذا الأمر متعلقاً به ، بل بولي الأمر .

وثانيهما ، المياه ، فعليه الاحتراز في سياقها .

وقد جرت عادة أناس في الشام^(٤) أن يشتري بعضهم قدراً معلوماً من ماء نهر ثورا^(٥) مثلاً ، ويتحيل لصحته بأن يورد العقد على محله بما له فيه من حق الماء ،

(١) معبد النعم ، ص ٦٥

(٢) الفُقَاع : شراب يتخذ من الشعير ، سمي به لما يعلوه من الزبد (لسان العرب) والأقْسَمَاد : شراب مطيب بماء الورد مبرد ومحلى . (معجم الألفاظ التاريخية ٢١) والفقاعي والأقسمادي منسوبان إليهما .

(٣) السكة : حديدة منقوشة تضرب عليها النقود . وتسمى الدراهم والدنانير سكة لأنها تطبع بالحديدة الملعمة لها . تاج العروس .

(٤) أي في دمشق .

(٥) أحد فروع نهر بردى بدمشق .

وهو كذا إصبعاً، ثم يسوقه، ويحمله على مياه الناس يرضى طائفة يسيرة منهم.
وكان الإمام أبو الحسن السبكي^(١) يشدد النكير في هذا. وله فيه مصنف سمّاه:
(الكلام على أنهار دمشق).

والحاصل أنّ الخلق في أنهار دمشق سواء، يُقدّم الأعلى منهم فالأعلى.
ولا يجوز بيع شيء من الماء ولا مقرة، ولا يفيد رضى قوم ولا كلهم؛ لأنهم
لا يملكون الانتفاع، بل ولا رضى أهل الشام بجملتهم، لأنّ رضاهم لا يكون رضى
من يحدث بعدهم من الخلق.

وفي عصرنا هذا لم يبق الأمر متعلقاً به، بل بناظر الأنهر، ومشدها^(٢)،
وعاملها.

(١) هو تقي الدين السبكي، ومرة ترجمته في المقدمة.
(٢) سبق الإشارة إلى كلمة المشدّ ومعناها في منصب الدواوين.

[١٠] - منصب شيخ الإسلام^(١)

وهو يطلق على ما استقرئ من صنيع المعبرين على المتبع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مع المعرفة بقواعد العلم، والتبحر في الاطلاع على أقوال العلماء والتمكن من تخريج الحوادث على النصوص، ومعرفة المعقول والمنقول على الوضع المرضي.

وربما وصف به من بلغ درجة الولاية، وتبرك الناس به حيأ وميتأ، وكذا من سلك في الإسلام طريقة أهله، وسلم من شرّة^(٢) الشباب وجهله، وكذا من صار هو العمدة، والمفزع إليه في الشدة، كما هو مراد العامة. وقد يوصف به من شاب في الإسلام، وانفرد عن أقرانه بطول العمر ودخل في عداد من شاب شبيهة في الإسلام كانت له نوراً.

ولم تكن هذه اللفظة^(٣) مشهورة بين القدماء بعد الشيخين؛ الصديق والفاروق رضي الله عنهما، الوارد وصفهما بذلك عن علي رضي الله عنه، كما ذكره المحب الطبري في (الرياض النضرة)^(٤) له بلا إسناد، عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! سمعتك أنفأ

(١) لم يذكر السبكي هذا المنصب في معيد النعم، وإنما تحدث عن العلماء ص ٦٧ وما بعد، ومنه أخذ ابن طولون بعض ما ذكر في هذا المنصب.

(٢) شرّة الشباب: حرصه ونشاطه. وكذا مصدر الشر (مختار الصحاح: شرر).

(٣) لفظة شيخ الإسلام.

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، أبو العباس محب الدين، حافظ فقيه شافعي، شيخ الحرم المكي، من أهل مكة ولد فيها، وفيها توفي سنة ٦٩٤ وله غير كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة (جزآن) ط الأولى مصر ١٣٢٧هـ السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، والقرى في ساكن أم القرى، والأحكام (٦ مجلدات) وذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى. الأعلام ١٥٢/١ نقلاً عن النجوم الزاهرة ٧٤/٨، وشذرات الذهب ٤٢٥/٥، وطبقات الشافعية ٨/٥. ولم أجد النص الذي أورده في الرياض النضرة في مناقب العشرة.

تقول على المنبر: اللهم أصلحني بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين. فمن هم؟ قال: فاغرورقت عيناه وأهملهما، ثم قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قریش، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. من اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هدي الى صراط مستقيم، من تمسك بهما فهو في حزب الله. وحزب الله هم المفلحون».

واشتهر بها أبو إسماعيل الهروي واسمه عبد الله بن محمد الأنصاري، صاحب كتاب (منازل السائرين)، و(ذمُّ الكلام)^(١)، وكان حنبلياً. وأبو علي حسان بن سعيد المنيعي الشافعي^(٢). وأبو الحسن علي الهكاري الشافعي^(٣). وكذا لقب بها من الحنفية أبو سعيد الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل السجزي^(٤)، المتوفى بعد السبعين وثلاثمئة. وأبو القاسم يونس بن طاهر بن محمد بن يونس. ذكره ابن منده، ومات سنة إحدى عشرة وأربعمئة. والقاضي أبو الحسن علي بن

(١) شيخ خراسان في عصره، يتسبب إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري، لغوي بارع، حافظ للحديث، عارف بالتاريخ والأنساب، أظهر السنة ودعا إليها وقد امتحن وأوذي وكان يقول: عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي أرجع عن مذهبك، ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك. فأقول: لا أسكت. وله غير مذكر كتاب الفاروق (في الصفات) وكتاب الأربعين (في السنة) وكتاب سيرة الإمام أحمد بن حنبل. توفي الهروي سنة ٤٨١ هـ (الأعلام ٤/٢٦٧) وكتاب منازل السائرين إلى الحق تعالى صنفه في أحوال السلوك والطريق ورتبه فصولاً وأبواباً وجعله مائة مقسومة على عشرة أقسام، كل منها يحتوي على عشرة مقالات. كشف الظنون ٢/٣٣٣.

(٢) حسان بن سعيد المنيعي، أبو علي المخزومي، يتسبب لسيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، كان يشتغل بالتجارة في شبابه ثم عظم أمره حتى كان من المخاطبين في مجالس السلاطين ولم يستغنوا عن رأيه فرغب في الخيرات وبنى المساجد والرباطات وجامع الروذ وكان يكسو في الشتاء نحواً من ألف نفس وسعى في إبطال الأعراس عن بلده ورفع الظلم عن القرى وكان ذا تهجد وصيام واجتهاد ومناقبه كثيرة توفي سنة ٤٦٣ هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/٢٦٥، شذرات الذهب ٣/٣١٣، الوافي ١١/٣٦٢.

(٣) علي بن أحمد الهكاري نسبة إلى الهكارية بلدة كردية من أعمال الموصل. تفرد بطاعة الله في الجبال وبنى الأربطة للفقراء والمنقطعين. رحل إلى مصر وبغداد والرملة ومكة. قال ابن عساكر ولم يكن موثقاً في الرواية. مات بالهكارية سنة ٤٨٦ هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/٦٧، شذرات الذهب ٣/٣٧٨، النجوم الزاهرة ٥/١٣٨، وفيات الأعيان ٣/٣٤٥.

(٤) قاض واعظ من الشعراء. قال الزركلي: شيخ أهل الرأي في عصره، وصاحب فنون من العلوم طاف بلاداً كثيرة وسمع الحديث. مات قاضياً بسمرقند سنة ٣٧٨ هـ. وهو معروف بابن جئك (الأعلام ٢/٣٦٣).

الحسين بن محمد السغدّي^(١)، المتوفى سنة إحدى وستين وأربعمئة، وربما لقب ركن الإسلام أيضاً. وأبو نصر، أحمد بن محمد بن صاعد الصاعدي. قال فيه الذهبي^(٢): «أحد من يقال له شيخ الإسلام، مات سنة اثنتين وثمانين وأربعمئة»^(٣) وعلي بن محمد بن إسماعيل بن علي السبيجاني^(٤)، مات سنة خمس وثلاثين وخمسمئة. وصاحب (الهداية) برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني^(٥)، مات في سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة. ومحمد بن محمد بن محمد الخيمي. والعماد مسعود بن شيبه بن الحسين السندي. وأبو سعيد المطهر بن سليمان الزنجاني. وسديد بن محمد الخياطي.

واشتهر بها الأستاذ أبو عثمان، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني^(٦) الشافعي. وتاج الدين بن الفركاح الشافعي^(٧). وأبو الفرج بن أبي

(١) فقيه حنفي، أصله من السغد بنواحي سمرقند، سكن بخارى، وولي القضاء بها. قال الزركلي: وإليه انتهت رئاسة الحنفية. مات في بخارى، وله من الكتب التتف في الفتاوى وشرح الجامع الكبير. الأعلام ٩٠/٥.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ مؤرخ محقق تركماني الأصل ولد بدمشق وتوفي بها سنة ٧٤٨ هـ ورحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان. كف بصره آخر عمره، وله تصانيف كثيرة تقارب المئة. الأعلام ٣٢٦/٥ عن الدرر الكامنة ٣٣٦/٣، النجوم الزاهرة ١٨٢/١٠، شذرات الذهب ١٥٣/٦.

(٣) العبر ٢٩٩/٣، وانظر سير أعلام النبلاء ٧/١٩، والمتنظم ٤٩/٩، والكامل في التاريخ ١٨٠/١٠، والجواهر المضية ٢٧٩/١، والنجوم الزاهرة ١٢٩/٥.

(٤) من أهل سمرقند وبها توفي. قال الزركلي: وينعت شيخ الإسلام. الأعلام ١٤٩/٥.

(٥) والمشهور بالمرغيناني أيضاً نسبة إلى مرغينان من نواحي فرغانة بفارس. كان حافظاً مفسراً محققاً أديباً من المجتهدين. ومن كتبه: بداية المبتدي وشرحه بكتابه المشهور الهداية في شرح البداية. وله متقى الفروع والفرائض ومناسك الحج وغيرها. (الأعلام ٧٣/٥) وكتابه الهداية في فروع الفقه الحنفي شرح على متن له سماه بداية المبتدي وهو كالشرح لمختصر القدوري وللجامع الصغير لمحمد. كشف الظنون ٤٢٧/٢.

(٦) أبو عثمان الصابوني. مقدم أهل الحديث في خراسان، لقبة فيها أهل السنة بشيخ الإسلام، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره. كان فصيح اللهجة واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير يجيد الفارسية إجادته للعربية. ولد في نيسابور ومات فيها سنة ٤٤٩ هـ. سير أعلام النبلاء ٤٠/١٨، الأعلام ٣١٤/١، طبقات الشافعية ١١٧/٣.

(٧) عبد الرحمن بن إبراهيم، أبو محمد الفركاح تاج الدين مؤرخ من علماء الشافعية، بلغ درجة الاجتهاد، مصري الأصل دمشقي الإقامة والشهرة. توفي بدمشق سنة ٦٩٠ وله مؤلفات الأعلام ٦٤/٤ نقلاً عن طبقات السبكي ٦٠/٥، فوات الوفيات ٢٥٠/١.

عمر الحنبلي، وهو أول من ولي قضاء الحنابلة. وابن دقيق العيد^(١). وابن تيمية^(٢). ولم يكن أبو الحجاج المزري يثبتها في عصره لغير ابن تيمية وابن أبي عمر. والتقي السبكي^(٣).

ثم ابتذلت هذه اللفظة، فسمي بها على رأس المئة الثامنة وما بعد ذلك من لا يحصى كثرة، حتى صارت لقباً لكل من ولي القضاء الأكبر، ولو كان عارياً عن العلم والسن وغيرهما، بل صار جهلة الموقعين^(٤) وغيرهم يجمعون جلّ الأوصاف التي لا توجد الآن متفرقة في سائر الناس للشخص الواحد. والعجب ممن يقرهم على ذلك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وقد كان ابن حجر^(٥) جديراً بوصفه بهذه اللفظة، لو جُدد أن أكثر المعاني التي سقناها فيه، وعند إطلاقها في زمنه لا يراد بها غيره، ولو لم يكن إلا أنه انتهت إليه مشيخة الإسلام في الحديث النبوي من غير مدافعة.

وقد وصف الإمام المجلّد أحمد بن حنبل - وناهيك بورعه وتحريره - أبا الوليد

(١) محمد بن علي، أبو الفتح المعروف كآبيه وجدّه بابن دقيق العيد. وقيل إنّ جدّه لبس يوم العيد طيلساناً أبيض فقيل كأنه دقيق العيد فلقب به. أصل أبيه من منفلوط بمصر، نشأ بقوص وتعلم بدمشق والاسكندرية ثم بالقاهرة وولي قضاء مصر سنة ٦٩٥ فاستمر به إلى وفاته سنة ٧٠٢ وهو أصولي مجتهد كان غزير العلم ظريفاً وله أشعار وملح وأخبار وترك مؤلفات. الأعلام ٦/٢٨٣ نقلاً عن الدرر الكامنة ٤/٩١، فوات الوفيات ٢/٢٤٤، خطط مبارك ١٤/١٣٥.

(٢) مروت ترجمة ابن تيمية في الصفحة ٣٢.

(٣) مروت ترجمة تقي الدين السبكي في المقدمة.

(٤) الموقّع: كاتب ديوان الإنشاء السلطاني. (معجم الألفاظ التاريخية ١٤٧) وسيمر منصب الموقعين ورقمه الخامس والعشرون في ترتيب المناصب.

(٥) أحمد بن علي الكناني العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ حافظ قاض شاعر أصله من عسقلان بفلسطين ومولوده بالقاهرة. أولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ وعلت شهرته فقصده الناس وأصبح حافظ الإسلام في عصره. قال السخاوي: انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر وكان فصيح اللسان راوية للشعر عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين صبيح الوجه. ولي قضاء مصر مراراً ثم اعتزل وله كتب كثيرة جداً. توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ الأعلام ١/١٧٨ نقلاً عن الضوء اللامع ٢/٣٦، البدر الطالع ١/٨٧ خطط مبارك ٦/٣٧، لسان الميزان ٦.

الطيالسي^(١) وأحمد بن يونس^(٢) بمشيخة الإسلام. ولم يكن لهما سوى مشيخة الحديث وفنه، ولم تنحصر مشيخة في واحد منهما.

وحق عليه إرشاد المتعلمين، ونصح الطالبين، وإظهار العلم للسائلين. فمن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار^(٣). وأن لا يقصد بالعلم الرياء والمباهاة والسمعة، ولا يجعله سبيلاً إلى الدنيا، فإن الدنيا أقل من ذلك. قال الفضيل^(٤) رحمه الله: «إني لأرحم ثلاثة؛ عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً تلعب الدنيا [به]». وأنشد لبعضهم:

عجبتُ لمُبتاعِ الضلالةِ بالهُدى ومن يشتري دُنياهُ بالدينِ أعجبُ

فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها وصفائها، وأن يعلم أنهما متضادتان، وأنهما ضررتان، متى أرضيت واحدة أسخطت الأخرى، وكفتا ميزان متى رجحت إحداهما خفت الأخرى، وكالمشرق والمغرب، متى قربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وكقدحين أحدهما علو، فبقدر ماتصب منه في الآخر يفرغ من هذا. فمن لا يعلم

(١) هشام بن عبد الملك الباهلي مولاها، من كبار حفاظ الحديث، من أهل البصرة روى عنه البخاري ١٠٧ أحاديث. وهو منسوب إلى الطيالسة التي تجعل على العمام. توفي سنة ٢٢٧هـ سير أعلام النبلاء ١٠/٣٤١، الأعلام ٨/٨٧ نقلاً عن تهذيب التهذيب ١١/٤٥ الباب ٩٦/٢.

(٢) أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليربوعي الكوفي ينسب إلى جدّه تخفيفاً، سمع من جدّه يونس بن عبد الله ومن سفيان الثوري وابن أبي ذئب وخلق حدث عنه البخاري، ومسلم وهو من كبار شيوخه، وأبو زرعة الرازي وعبد بن حميد وإبراهيم الحري وغيرهم. وقد سئل أحمد بن حنبل: عمن أكتب؟ قال: ارجل إلى أحمد بن يونس، فإنه شيخ الإسلام. كان ثقة متقناً، توفي سنة ٢٢٧هـ سير أعلام النبلاء ١٠/٤٥٧ وانظر طبقات ابن سعد ٧/٤٥٥، تاريخ خليفة ٤٧٨ تذكرة الحفاظ ١/٤٠٠، العبر ١/٣٩٨، طبقات الحفاظ ١٧٤، شذرات الذهب ٢/٥٩.

(٣) هذا من قوله صلى الله عليه وسلم: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» ذكره العجلوني في كشف الخفا برقم ٢٥٨٦ وقال: «رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي هريرة. وقال الترمذي: حسن صحيح».

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي شيخ الحرم المكي من أكابر العباد الصالحاء كان ثقة في الحديث أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند ونشأ في أبيورد ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ثم سكن مكة وتوفي بها سنة ١٨٧هـ ومن كلامه: من عرف الناس استراح. سير أعلام النبلاء ٨/٤٢١، الأعلام ٥/١٥٣ نقلاً عن طبقات الصوفية ٦/١٤، تذكرة الحفاظ ١/٢٢٥، الجواهر المضية ١/٤٠٩، حلية الأولياء ٨/٨٤، ابن خلكان ١/٤١٥.

حقارة الدنيا وامتزاج لذاتها بالهموم فاسد العقل ، فإن المشاهدة والتجربة ترشد العقلاء إلى ذلك . فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ! ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ، وصفاء لذاتها من الأكدار فهو كافر لا إيمان له . فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ! ومن علم هذا ثم أثر الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان ، قد أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته . فكيف يعد من العلماء من هذه درجته . ووحق الحق إنني لأعجب من عالم [يجعل علمه سبيلاً^(١)] إلى حطام الدنيا ، وهو يرى كثيراً من الجاهال وصلوا من الدنيا إلى ما لا ينتهي عالم إليه . فإذا كانت الدنيا تنال مع الجهل فما بالناس تشتريها بأنفس الأشياء ، وهو العلم ! .

فينبغي أن يقصد بالعلم وجه الله تعالى والترقي إلى جوار الملأ الأعلى . ولا يطلب العلو في الدنيا ، والتردد على أبواب السلاطين والأمراء وحب الجاه ، فيؤدي ذلك إلى أن قلبه يظلم بهذه الأكدار ، ويزول صفاءه بهذه الأمور التي تظلم القلوب ، وتبعد عن علام الغيوب ، وإلى أن يشتغل بهم وبها عن الازدياد في العلم . فكم رأينا فقيهاً عالماً يتردد إلى أبواب الملوك ، فذهب فقهه وعلمه ، ونسي ما كان حصله ، وإلى فساد عقيدة الأمراء في العلماء ؛ فإنهم يستحقرون المتردد إليهم ، ولا يزالون يعظمون العالم حتى يسألهم في حوائجه ، ويؤول ذلك إلى أنهم يظنون في أهل العلم السوء ، ولا يطيعونهم فيما يفتون به ، ويتقصصون العلم وأهله ، وذلك فساد عظيم ، وفيه هلاك العالم .

فإن قال لك فقيه : إن التردد إلى أبواب السلاطين لإعزاز الحق ، ولنصرة الدين ، ولغرض من الأغراض الصحيحة ، فقل له : إن صح ما تقول وأنت أخبر بنفسك فأنت على خطر عظيم ؛ لأنك قد انغمست في الدنيا ، وأنت تدعي أنك تقصد بها الآخرة . وإن ثبت هذا فما نأمن عليك أن تنجر مع الدنيا . ولذلك كان سفيان الثوري^(٢) رحمه الله يقول : « إن دعوك أن تقرأ عليهم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فلا تمض ، ولا تقرأها » .

(١) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل ، والتكملة من معيد النعم ، ص ٦٨ .

(٢) سفيان بن سعيد بن بن عمرو بن عبد مناة من مضر ، أمير المؤمنين في الحديث ، مجتهد . كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى . ولد ونشأ في الكوفة وراوده الخليفة المنصور العباسي أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات بها مستخفياً سنة ١٦٦ هـ ، له مؤلفات وكان آية في الحفظ . سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ ، الأعلام ١٠٤/٣ ، نقلاً عن دول الإسلام ٨٤/١ وابن =

وأنشدتنا أم عبد الرزاق خديجة ابنة عبد الكريم الأرموية^(١)، مشافهة عن أم محمد عائشة^(٢) ابنة محمد بن عبد الهادي، عن أم عبد الله زينب ابنة أحمد بن الكمال^(٣)، عن محمد بن عبد الهادي^(٤)، عن الحافظ أبي طاهر السلفي^(٥)، عن العلامة الزمخشري^(٦)، أنشدنا أحمد بن محمد الخوارزمي، أنشدنا أبو سعيد الحسن بن محمد الخبيمي، أنشدنا أبو الفضل إسماعيل بن محمد الحاكم، أنشدنا

= خلكان ١/٢١٠، الجواهر المضية ١/٢٥٠، طبقات ابن سعد ٦/٢٥٧، حلية الأولياء ٦/٣٥٦، ٧/٣، تهذيب التهذيب ٤/١١١.

(١) خديجة بنت عبد الكريم بن محمد بن إسماعيل الأرموي الدمشقي الصالحي، محدثة سمع عليها الطلبة وقصودها منهم ابن طولون الذي قرأ عليها الجزء الثالث من كتاب الزهد لوكيع وحدث عنها، وأجازت للسخاوي. توفيت سنة ٨٩٦هـ أو قبلها. الضوء اللامع ١٢/٢٩ وذكرها في أعلام النساء لكحالة ١/٢٨٤.

(٢) عائشة بنت محمد، رحلة الدنيا سمعت صحيح البخاري وغيره على الحجار وصحيح مسلم على عبد الله بن الحسن وأخذت عن علماء كثيرين وهي آخر من حدث بالصحيح عن الحجار سماعاً وكانت في آخر عمرها أسند أهل الأرض إلا أنه لم يتفق بها لخلو دمشق من طلبة الحديث. توفيت سنة ٨١٦هـ بدمشق ودفنت بسفح قاسيون تاريخ الصالحة ١/٣٩٩.

(٣) زينب بنت أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال، شبيخة محدثة روت الكثير وتزاحم عليها الطلبة وقرأوا عليها الكتب الكبار. وقال الذهبي تفردت بقدر وقر بعير من الأجزاء بالإجازة وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفي وجماعة بالإجازة توفيت سنة ٧٤٠هـ، الأعلام ٣/٦٥ نقلاً عن فهرس الفهارس ١/٣٤٥، الدرر الكامنة ٢/١١٧.

(٤) محمد بن عبد الهادي بن يوسف، أبو عبد الله المقدسي الجماعلي الحنبلي، فقيه مقرئ معمر مستند، أجاز له أبو طاهر السلفي وشهادة الكاتبة وهو آخر من حدث عنها بالإجازة، وحدث عن الديماطي. كان خيراً ديناً متعففاً أم بقرية الساوية بجبل نابلس واستشهد بها على يد التتار سنة ٦٥٨هـ وقد نيف عن المائة. سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٤٢.

(٥) أحمد بن محمد بن سلفه أبو طاهر السلفي، حافظ مكثّر من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث وكتب التعاليق والأمالى الكثيرة، بنى له الأمير العادل وزير الظاهر البييدي في الإسكندرية مدرسة فأقام بها منذ سنة ٥٤٦هـ إلى أن توفي فيها سنة ٥٧٦هـ وله آثار. سير أعلام النبلاء ٢١/٥، الأعلام ١/٢١٦ نقلاً عن ابن خلكان ١/٣١، مرآة الزمان ٨/٣٦١، أزهار الرياض ٣/١٦٧.

(٦) محمود بن عمر الزمخشري، أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشري من قرى خوارزم سافر إلى مكة المكرمة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم أيضاً فتوفي بها سنة ٥٣٨هـ وله آثار كثيرة من أشهرها الكشاف في تفسير القرآن ومعجم أساس البلاغة والفاائق في غريب الحديث وغير ذلك. كان معتزلي المذهب مجاهرأ شديد الإنكار على المتصوفة. سير أعلام النبلاء ٢٠/١٥١، الأعلام ٧/١٧٨ نقلاً عن وفيات الأعيان ٢/٨١، إرشاد الأريب ٧/١٤٧، لسان الميزان ٦/٤ مفتاح السعادة ١/٤٣١.

القاضي أبو الحسن بن علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه: ^(١)

يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنَّما
أرى الناسَ من دانا همُ هانَ عندهم
ومما كُلُّ بَرَقٍ لاحَ لي يَسْتَفْزِني
وإني إذا ما فأتني الأمرُ لم أبتُ
ولم أفضِ حقَّ العلمِ إن كانَ كُلُّما
إذا قيلَ هذا منهلٌ قُلْتُ قد أرى
ولم أبتذل في خدمةِ العلمِ مُهجتي
أشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً
ولو أن أهلَ العلمِ صانوه صانهم
ولكن أدلوه فهانَ، ودَسَّوا

رأوا رجلاً عن مَوْقفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
ومن أَكْرَمته عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمَا
ولا كُلُّ من لا قيتُ أرضاهُ مُنْعَمَا
أُقَلِّبُ كـ_____فِي إِثْرِهِ مُتَنَدِّمًا
بَدَأَ طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لـ_____سَلَمًا
ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتملُ الظُّمًا
لأخدَمَ من لا قيتُ، لكن لأخدَمَا
إذا، فاتَّباعُ الجهلِ قد كانَ أَحْزَمَا
ولو عَظَّموه في التُّفُوسِ لِعُظْمَا
مُحياهُ بالأطماعِ حتَّى تَجْهَمَا

فلقد صدق هذا القائل، لو عظموا العلم لعظمهم. وأنا أقرأ قوله لعظما بفتح العين، فإن العلم إذا عُظِّم يُعْظَم وهو في نفسه عظيم. ولكن أهانوه فهانوا. ولكن الرواية: لعظما بضم العين. والأحسن ما أشرت إليه.

وقد انتهى ما ذكره الشيخ ناصر الدين البيضاوي ^(٢) من المناصب وفاته مناصب آخر، وهالك إياها.

(١) قاض من العلماء بالأدب، كثير الرحلات، له شعر حسن ولد بجرجان وولي قضاءها، ثم قضاء الري فقضاء القضاة وتوفي بنيسابور سنة ٣٩٢هـ على ما رجحه الزركلي فحمل تابوته إلى جرجان، من كتبه الوساطة بين المتنبي وخصومه وتفسير القرآن وديوان شعر. الأعلام ٤/٣٠٠، نقلاً عن وفيات الأعيان ١/٣٢٤، طبقات الشافعية ٢/٣٠٨، إرشاد الأريب ١٤/١٧ يتيمة الدهر ٣/٢٣٨، شذرات الذهب ٣/٥٦. والقصيدة في الإرشاد وهي المشهورة عنه.

(٢) انظر ترجمة البيضاوي في الصفحة ١٧.

[١١] - منصب الدوادارية^(١)

فمن حق الدوادار الاستئذان على ذي الحاجة، وإنهاء ظلامته، وألا يتركه على الأبواب، لا يجد سبيلاً في الدخول على الملك. وليعلم أن لصاحب الحاجة حقاً عند أستاذه، لأن من وظيفة أستاذه سماع كلامه، وقضاء حاجته إذا أمر بها الشرع، وليس لأستاذه حق عنده. والمئة من الله سبحانه على أستاذه، إذ جعل حاجة الخلق إليه، وعليه أن يجعله في بابه بالمرصاد لهذا الأمر، فإن هو قصر فيما وصفناه كان هو الظالم لأستاذه، المتسبب في خراب دياره، [الباغي على الرعية]^(٢).

وعليه المبادرة إلى تقديم الدواة عند ارتفاع القصص وتذكير مخدميه بها، فربما اشتغل بال الملك عن ذلك، ولم يجد من يذكره.

روينا عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق؛ إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه. وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء؛ إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يُعنه». رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم^(٣).

وروى الطبراني في الأوسط والصغير، وابن حبان في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان وُصْلَةً لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في منهج برٍّ، أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط، يوم تدحض فيه الأقدام»^(٤).

وكان الدوادار في الزمن القديم يسمى الحاجب.

(١) معيد النعم، ص ٢٥. وهذا منصب من يقوم بتبليغ رسائل السلطان وعامة أموره، ويقدم إليه العرائض ويأخذ توقيع السلطان على المناشير. والكلمة فارسية الأصل معناها صاحب الدواة. (معجم الألفاظ التاريخية ٧٧) وكل كلمة فيها دار تعني ممسك.

(٢) مابين معقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من معيد النعم، ص ٢٥.

(٣) برقم ٢٩٣٢ في الخراج والإمارة، باب في اتخاذ الوزير. كما ذكره النسائي ١٥٩/٧ في البيعة، باب وزير الإمام، وإسناده صحيح.

(٤) المعجم الصغير ١/١٦١، وكنز العمال ١٦٤٦٠، ١٦٤٦١، ١٦٤٦٢، وابن حبان ٢٠٦٩، مجمع الزوائد ٨/١٩١، والترغيب والترهيب ٣/٣٩٣. وتدخل الأقدام: تزلزل وتزل. تاج العروس: دحض.

[١٢] - منصب الخازندارية^(١)

فحق على الخازندار ألا يطل من أحيل عليه، بل يدفع إليه ما أمر له به، مهياً ميسراً. وهو أمين، فلو ادعى أنه دفع المال إلى مخدومه كان القول قوله بيمينه، وإن كان له على الخازندارية معلوم أو إقطاع، لأنه كالوكيل يُجعل.

[١٣] - منصب الأستاذية^(٢)

أستاذ الدار من يتكلم في إقطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم. وعليه ألا يطعمه حراماً، ولا يبيع أستاذه رخيصاً، وأن يرفق بأهل القرى، ويؤدي أمانة الله التي علقها في رقبته، حيث دخل في هذه الوظيفة للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير. كما كان عليه أن يؤدي حق الأمير بل هو الأحوج من الأمير إلى الرفق بهم، واعتماد الحق معهم، فأين يكون الأمير يوم يعرض الظالم على يديه، ولا أمر إلا الله تعالى.

(١) معيد النعم ٢٦. ولعل الأحسن أن يقول الخازندار لأنه مركب من الخزانة وهي ما يخزن فيه المال، ودار بمعنى ممسك وهي فارسية الأصل. لقب المتولي على خزانة السلطان أو الأمير (معجم الألفاظ التاريخية ٦٩).
(٢) معيد النعم، المرجع السابق، وكلمة الاستدار مركبة من كلمتين: استَدَّ ومعناها الآخذ، ودار ومعناها الممسك، ثم أدغمت الذال في الأولى مع الدال في دار فصارت استدار ومعناها المتولي للأخذ، وترد في الكتب أحياناً أستاذ الدار. (معجم الألفاظ التاريخية ١٥).

[١٤] - منصب المهندارية^(١)

المهندار اسم لمن يقوم بأمور قصّاد الملوك ورسلمهم.

فمن حقه أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويرهب القصّاد، ويوهمهم قوة المسلمين، وشدة بأسهم، وعظيم سطوتهم، واتفاق كلمتهم، وقيامهم في حوزة الدين^(٢)، وذبحهم عن حريم الملة الإسلامية، لأجل حفظ النظام. وأن ينهي أمور القصّاد إلى الملك بمقدار ما يكون فيه المصلحة، وربّ من يتعيّن عليه المبادرة إلى إكرامه، ومن يتعيّن عليه الكفّ عن إعظامه، بحسب ما يقتضيه الحال.

ومن الحق على الملك ونوابه الاحتفال عند حضور قصّاد الملك إظهار القوة وحسن الملبس وكثرة الجيش واستعدادهم على الوجه الشرعي.

(١) معبد النعم ٣١. والكلمة فارسية مركبة من مِهْمَن بمعنى الضيف أو المسافر ودار مخففة من دارنده بمعنى صاحب. معجم الألفاظ التاريخية ١٤٧.

(٢) الحوزة: الناحية. وحوزة الرجل: مافي ملكه. وحوزة الإسلام: حدوده ونواحيه (المعجم الوسيط) ومن المجاز: فلان يحمي حوزة الإسلام (أساس البلاغة).

[١٥] - منصب البريدية (١)

البريدي هو الذي يحمل رسائل الملك وكتبه . وكانت أئمة العدل لا تُبرَدُ البرُدُ إلا لهم من مهمات الإسلام ، لمثله تساق الخيول ، وتزعجُ النفوس . وآل الأمر إلى أن أكثر ماتهلك خيول البريد وتساق للأغراض الدنيوية من شراء الممالك وطلب الجواري والأمتعة . وإذا ركب الفقيه فرس البريد أنكر ذلك ، وقيل : قد أخطأ السلطان أو نائبه في إركابه ؛ فإن البريد لا يساق إلا لمهمات السلطنة ، كأنهم يعنون بمهمات السلطنة ما اعتادوا به من شراء مملوك مليح ، أو استدعاء مغنٍّ حسن الصوت ، أو خراب بيت شخص أنهي عنه ما لاصحة له ، إلى أمثال ذلك . وخفي عنهم أن أئمة العدل كانوا يستدعون العلماء من البلاد ، لأجل نفع المسلمين وإشهار الدين ، وأن ركوب البريد لهذا الغرض خير من ركوبه في أغراضهم الفاسدة .

وقد كان عمر بن عبد العزيز يبرد البريد للسلام على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهل رأيت في زماننا ملكاً يفعل ذلك ! .

ومن حق البريدي كتمان الأسرار وستر العورات وكفّ لسانه عن الفضول ، فضلاً عن الكذب ، فلقد كثر منهم الكذب ونقلُ البهتان لأجل حطام الدنيا .

ومن حقه حمل رسائل الإخوان إليهم ، ففي ذلك أجر عظيم . ويشكر لهذه النعمة . وحق على كل بريدي ألا يجهد الفرس ، بل يسوقها بقدر طاقتها . وقد كثر

(١) معيد النعم ٣٢

منهم سَوَّخُ الخيول السَوَّخُ المزعج، بحيث تهلك تحتهم. أما علموا أنها خلق من خلق الله! فإذا رأيت بريدياً يسوق الخيل في أمر لا يجوز حتى يهلكها، ثم يقدم على أهل بلد فيزعجهم، ثم يعود إلى السلطان فيدل على عورات المسلمين، ويغري الظَّلْمَةَ بالمساكين الغافلين والغافلات، ثم يزيل الله سبحانه عنه النعمة، ويذيقه أنواع الذل والإهانة، فلا تعجب. واعلم أن ذلك من الله عدل.

ثم بطلت هذه البريدية، وخلفتهم الهجَّانة^(١). ثم بطلت الهجَّانة، وخلفتهم في أيامنا هذه الأولاقيَّة^(٢). وشأنهم أنهم يتعدون على خيل الناس، فيأخذونها عن جنب، فإما أن يبلصوا^(٣) صاحبها ويردوها إليه، وإما أن يركبوها، إلى أن يجدوا خلافها^(٤) فيطلقونها ويأخذون الأخرى. وهذا دأبهم ذهاباً وإياباً. والناس في ضرر منهم، فالله يعاملهم بعدله.

[١٦] - منصب السلحدارية

السلحدار هو الذي يحمل السلاح^(٥). ومن حقه الاحتفاظ عليه، والأمانة فيه كلما أمكن.

(١) الهَجَّانُ والهَجَّانُ والهَجَّانُ التوق الكريمة (لسان العرب) والهَجَّانة فيما يظهر راكبو الهجن. وكان في الجيش السوري فرقة الهجَّانة من البدو. ولعل المقصود هنا استعمال الجمال في البريد.

(٢) الأولاقي: اصطلاح عثمانى بمعنى الرسول معجم الألفاظ التاريخية ٢٦

(٣) بلصه من المال: لم يترك له منه شيئاً (المعجم الوسيط) والبلص: أخذ المال بغير حق وهو ما يؤخذ خارجاً عن الضرائب (معجم الألفاظ التاريخية ص ٣٨).

(٤) المقصود سواها.

(٥) ويتولى كذلك أمر السلاح خانة (دار السلاح) وما يتبعه ومعناه ممسك السلاح (معجم الألفاظ التاريخية ٩١).

[١٧] - منصب الجُمُقْدَارِيَّة^(١)

الجُمُقْدَار هو الذي يحمل الدبوس^(٢).
ومن حقه الاحتفاظ عليه ، والأمانة فيما إذا كانوا عدّة عنده .

[١٨] - منصب الطَبْرْدَارِيَّة^(٣)

الطَبْرْدَار هو الذي يحمل الطبر^(٤) بين يدي الملك ، لأجل حفظ نفسه .
ومن حقه الاحتفاظ عليه ، وعلى الملك .

[١٩] - منصب الجوكندارية

الجوكندار هو الذي يحمل الجوكان^(٥) .
ومن حقه الاحتفاظ عليه ، والأمانة فيما إذا كانوا عدّة . وهؤلاء كلهم من واد واحد .

(١) معيد النعم ٣٤ . والكلمة تتألف من جُمُقَ : بمعنى دبوس ، ودار أي ممسك ومهمة الجُمُقْدَارِيَّة حماية السلطان في المركب ومن واجباتهم توجيه نظرهم إليه (معجم الألفاظ التاريخية ص ٥٤) .

(٢) الدبوس : عصا لها رأس ضخّم مذهب . ومن واجبات الجُمُقْدَار كما أشار المؤلف (معجم الألفاظ التاريخية ص ٥٤) .

(٣) معيد النعم ٣٥

(٤) الطبر : الفأس بالفارسية . والطَبْرْدَارِيَّة يحملون الفؤوس حول السلطان في المركب (معجم الألفاظ التاريخية ص ٢١) .

(٥) الجوكان : عصا مدهونة طولها نحو من أربعة أذرع برأسها خشبة مخروطية معقوفة تزيد عن نصف ذراع ، تضرب به الكرة من على ظهر الفرس . ودار : بمعنى ممسك أو حامل . وكان نور الدين الشهيد يلعب بهذه اللعبة (معجم الألفاظ التاريخية ص ٥٨) .

[٢٠] - منصب الجَمْدَارِيَّة (١)

وأكثر ما يكونون صبياناً مردأً ملاحاً، يتعاناهم الملوك، وكذا الأمراء، يكونون بالنوبة مع المخدم، يلزامونه حتى وقت نومه.

وقد تناهت الرغبة فيهم لاستيلاء شهوة المرد الملاح على قلوب أكثر أهل الدنيا. وصارت الجمدارية تتنوع في الملابس المهيجة للشهوات البشرية، ويزينون، فيربون في ذلك على النساء ويفتنون الناس بجمالهم.

وحرام على جمدار يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينصب نفسه لهذا الغرض، أو أن يتشبه بالنساء فيما خلقت له. وليس له أن يمكّن مخدمه من أن يتلوط به، ولا أن يقبله، فليثق الله ربه، وليرحم شبابه، فالدنيا أقل عند الله تعالى من ذلك كله. ومن آدابه إذا لبس المخدم ثيابه أن يقدم له الأيمن من الخف، قبل الأيسر، وإذا نزع أن يعكس.

[٢١] - منصب البَشْمَقْدَارِيَّة (٢)

البشمقدار من أقبح البدع؛ لأنه موضوع لحمل نعل الأمير، وذلك من الرعونة والحمق.

ومن آدابه ألا يضع النعل على البساط وغيره، مما يطأه الناس بأرجلهم حفاة، وربما لاقاه وجه مصل، وربما كانت نجاسة في النعل. ويتقذّر ألا يكون شيء من ذلك، فلا يخفى ما في وضعه على هذا الوجه من الكبر والخيلاء. فإذا كان لابد من بشمقدار فلا أقل من أن يضع نعل الأمير موضع نعال الخلق.

(١) معيد النعم ٣٥ . الجمدار من يتصدى للإلباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصل الكلمة جامادار فارسية بمعنى اللباس داخل البيت . معجم الألفاظ التاريخية ٥٤

(٢) معيد النعم ٣٦ ، وكلمة بشمق تعني بالتركية النعل . ودار : محسك . معجم الألفاظ التاريخية ٣٤ .

[٢٢] - منصب السقاة^(١)

الساقى إليه أمر المشروب .

وهو من أقبح البدع والتنطع في الدنيا . وقد كانت الصحابة [رضي الله عنهم]^(٢) وملكهم أعظم وأوسع من ملك الأتراك^(٣) ، والأموال التي كانت في أيديهم أضعاف هذه الأموال بما لا يحصيه إلا الله يكرعون في الماء .

ومن حق الساقى شيثان ؛ أحدهما : لا يحلّ له إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر لمخدومه منكراً يشربه . وعليه إعمال الفكرة والحيلة في سدّ هذا الباب وإبعاده عن الأمير بقدر طاقته وقدرته . وله أن يكذب ويقول : لم أجد ، وذهب ، وما شاء في هذا الباب بما لا يخفى على صاحب التقوى . وإن رأى الأمير جباراً لا يرجعه عذيل . فعليه التوسط ودفع المنكر ما أمكنه ، وإبعاده عنه ، لاسيما في الأوقات التي يجلس فيها الأمير للحكم بين الرعية . فيا ويح أمير يجلس للحكم وهو سكران .

وثانيهما : حفظ حقوق مخدومه ، والخشية عليه من عدو يضع له في المشروب ما يهلكه من سمّ ونحوه . ولقد بلغنا عن جماعة من المماليك السقاة قتل مخاديمهم لأغراض الدنيا . فقبحهم الله من طائفة . وجربنا ، فلم نجد مملوكاً ساعد على أستاذه إلا وأهلكه الله قريباً ، ولم يحصل على شيء مما أمله ، بل تنعكس أماله ، وتغير أحواله .

(١) معيد النعم ٣٧ .

(٢) ما بين معقوفين زيادة عن الأصل .

(٣) أطلق المؤرخون على المماليك اسم الأتراك وهو اللفظ الذي درج ابن طولون على استعماله في حين لقب العثمانيين بالعثامنة والعثمانية والتركمان ، ولابن طولون كتاب « إعلام الوري عن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى » ويقصد بالأتراك المماليك وانظر التعليقات في ص ١٠١ و ٣٠٠ بكتاب إعلام الوري طبعة دار الفكر ١٩٨٣ م .

[٢٣] - منصب أمير علم^(١)

وإليه أمر طبول الطبلخانات^(٢).

ومن حقه الاحتياط وقت الحرب في الضرب ، وتهيج العسكر على الإقدام
والمبارزة والكفّ ، حسبما يقتضيه دين الله تعالى ، وتدعو إليه الغيرة على بيضة^(٣)
الإسلام.

[٢٤] - منصب أمير شِكار^(٤)

وإليه أمر الطيور والكلاب المعدة للصيد .

ومن حقه ألا يغفل عنها في مأكليها ومشربها .

(١) معيد النعم ٣٧ . وهو لقب من يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبلخانة معجم الألفاظ التاريخية ٢٢ .

(٢) هو المكان المخصص بطبول السلطان والأبواق والآلات . ولما عزم السلطان علاء الدين خوارزم شاه علي السير
إلى العراق وخالف على الخليفة العباسي الناصر ضرب لنفسه نوبة ذي القرنين تعاضماً وهي وقتي الشروق
والغروب بعدما كانت تضرب له خمس نوب في أوقات الصلوات الخمس ، فقوضها لأولاده يضربونها في
الأقاليم التي سمّاها لهم على أبواب دور سلطنتهم . وكان نور الدين زنكي يضرب بدمشق النوب الخمس .
وأول يوم ضربها خوارزم شاه اختار لضربها سبعة وعشرين ملكاً من أكابر الملوك وأولادهم وكانت آلات النوبة
من الذهب . معجم الألفاظ التاريخية ١٠٦ .

(٣) قال الزمخشري : ومن المجاز ، فلان يحوط بيضة الإسلام وبيضة قومه (أسامس البلاغة) .

(٤) معيد النعم ٣٧ . وكلمة شِكار فارسية تعني الصيد . معجم الألفاظ التاريخية ٢٠ . وكان كذلك الخوندار معجم
الألفاظ التاريخية ٧٠ .

[٢٥] - منصب الموقعين^(١)

وعليهم الرفق بالرعية فيما يكتبونه، والتخفيف من التشديدات التي يؤمرون بكتابتها؛ فإن كان لا يقدر على التخفيف فلا أقل من ألا يزيد الطين بلةً ويشدد؛ فلقد بلغني أن بعض الملوك قال لموقع: اكتب إلى فلان بالحضور، فأبرق في الكتابة وارعد، وقعقع في العبارة^(٢)، فلما وصله الكتاب أرعبه ذلك بحيث وضعت امرأته وكانت حاملاً، ورمى هو مصارينه من الخوف. كذا قاله أبو نصر السبكي. ولذا قال فيهم بعض الشعراء:

قومٌ إذا أخذوا الأقلامَ من غضبٍ ثم استمدُّوا بها ماءَ المنياتِ
نالوا بها من أعاديهم وإن بُعدوا مالا يُنالُ بحدِّ المشرفياتِ^(٣)

روينا في مجمع الزوائد عن عطاء، قال: كنت عند ابن عباس، فأناه رجل فقال: يا أبا عباس! ماتقول في؟ قال: وما عسى أن أقول فيك! فقال: إني عامل بقلم. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بصاحب القلم يوم القيامة في تابوت من نار، مقفل عليه بأقفال من نار، فإن كان أجراه في طاعة الله ورضوانه فكَّ عنه التابوت. وإن كان أجراه في معصية الله هوى به التابوت سبعين خريفاً. حتى ياري القلم ولاثق الدَّواة». رواه الطبراني في الأوسط والكبير^(٤). وفيه أبو أيوب عن إسماعيل بن عياش. والظاهر أن آفة هذا الحديث أبو بكر وهو الجيزي، لأن الطبراني قال في الأوسط: تفرد به الجيزي. انتهى.

ومن حق الموقع ألا يستعمل حوشي اللغة^(٥) ومالا يفهمه الأكثر من الناس، لاسيما إذا كتب إلى من بُعد فهمه لذلك.

(١) معبد النعم ٣١. والموقع كاتب ديوان الإنشاء السلطاني. معجم الألفاظ التاريخية ١٤٧.

(٢) القعقة: حكاية صوت السلاح ونحوه (مختار الصحاح) والمقصود هنا هدد في كلامه.

(٣) السيوف المشرفية: المجلوبة من مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف. القاموس: شرف.

(٤) انظر المعجم الكبير للطبراني ١١/١٨٨ برقم ١١٤٥٠.

(٥) حوشي اللغة ووحشها: غريبها. مختار الصحاح.

[٢٦] - منصب مقدّم الماليك^(١)

وهو الذي إليه أمر المردان .

ولا يحل له المواطأة على الفجور بهم ، ولا تمكين بعضهم من مضاجعة البعض في فراش واحد . وقد كثر في هذه الطائفة نوع القيادة لمخدومهم ، وكذلك لغيره .

[٢٧] - منصب الأجناد^(٢)

فمن حق الله سبحانه وتعالى عليهم وشكر نعمته اللطف بالفلاحين ، فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جندياً ، والجندي فلاّحاً . فإذا كان يشكر نعمة الله على أن رفعه عن درجة الفلاح ، فلا أقل من أن يكفي الفلاح شره وظلمه .

وعليهم مصابرة العدو إذا التقى الجمعان ، ولا ينهزم الجمع إلا عن أكثر من مثليه ، بما له وقع كانهزام مائة عن مئتين وخمسين . وأما انهزامه عن مثليه ، كعشرة عن عشرين فلا يجوز ، إلا أن ينصرف متحرفاً لقتال ، أو متحيزاً إلى فئة يستنجد بها .

وإذا طلب الكافر المبارزة استحب لمن جرب نفسه الخروج إليه بإذن أمير الجيش .

وعليهم تأدية الأمانة فيما حازوه من الغنائم ، وامتنال أمر الأمير فيما لم يخالف الشرع ، والتعاون والتناصر ، واجتماع الكلمة .

(١) انظر معيد النعم ٥٤ ، وهو منصب من يتولى أمر الخدم الخصيان المعروفين بالطواشية للسلطان أو الأمير ، معجم الألفاظ التاريخية ١٤٢ .

(٢) انظر معيد النعم ٥٤ .

[٢٨] - منصب الطواشية^(١)

اعلم أن المسوح الذي ذهبت أنثياه وذكره بالكلية. ذهب أبو حنيفة إلى تحريم نظره إلى الأجنبية، وهو مذهب أحمد، واختاره أبو الحسن السبكي من الشافعية. وذهب أكثر أصحابه إلى جواز نظره إليهن.

وأما الخصي الذي ذهب أنثياه دون ذكره، والمجبوب^(٢) الذي ذهب ذكره دون أنثياه، فلا يحل لواحد منهما أن ينظر إليهن، ولا إلى الوجه والكفين عند أبي حنيفة، وعنه أنه يجوز النظر إلى القدم. وعن أبي يوسف أنه يباح إلى الذراع. وذهب الشافعية إلى أن كلا منهما لا يحل له النظر إليهن على الصحيح.

وقد رخص بعض أصحاب أبي حنيفة اختلاط المجبوب مع النساء، إذا جف ماؤه. والأصح المنع مطلقاً.

هذا كله في نظر الطواشي إلى الأجنبية. وأما نظره إلى سيدته فعندنا معشر الحنفية أنه لا يحل له أن ينظر منها إلا ما يجوز له النظر من الأجنبية.

وذهب أكثر الشافعية إلى أنه حلال، وإن كان سليم الذكر أو الأنثيين. وهو مارجحه النووي وغيره، أخذاً من جواز نظر العبد إلى سيدته. ولكن الصحيح عند أبي الحسن السبكي - وقال ولده [تاج الدين] وهو الحق - : أن نظر سليم الذكر والأنثيين إلى سيدته حرام، فكيف يباح نظر الممالك الحسان الذين يفتنون الناس بجمالهم إلى سيدتهم، والنساء ناقصات عقل ودين.

قال التاج بن السبكي^(٣) : «أما إذا اجتمع كونه طواشياً ومملوكاً لسيدته فهو أقرب إلى الجواز ممن لم يجتمع فيه الأمران، وكذلك جواز نظر المرأة إلى الطواشي

(١) معيد النعم ٣٩. والطواشية جمع طواشي وهم الممالك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. معجم الألفاظ التاريخية ١٠٩.

(٢) من جبّ جبّاً وجابياً : قطع، وجب الخصية استأصلها.

(٣) انظر معيد النعم ٣٩.

إذا كان مملوكاً لها أو لزوجها، ومنعه إذا لم يكن كذلك. ومن الطواشية الزمام^(١). وهو الذي يُخصّ النساء. ومن حقه غضّ نظره عما يخصهن، والنصح لصاحب البيت، وإعلامه بما يعجز عن إزالته. ومنع أرباب الفجور من العجائز وغيرهن من الدخول عليهن.

وكثير من طواشية الزمام فيهم القيادة، وذلك لما جبلت عليه [الطواشية]^(٢) من نقصان العقول وتشبههم بالنساء، حتى قيل: ما اختلى طواشي بالنساء إلا وحدث نفسه بأنه رجل، ولا بالرجال إلا وحدث نفسه بأنه امرأة. وقيل: الطواشية أشد الناس غيرة وأكثرهم استحساناً [وقيادة]^(٣) على من تحت أيديهم ولو مملوكاً. وفي كتب الحنفية أنه يكره استخدام الخصيان مطلقاً، لأنه تحريض على الخصاء المنهي عنه^(٤) انتهى.

[٢٩] - منصب المقرين عند الحاكم

أيها المقرب، إذا كنت مقبول الكلمة عند ولي الأمر، فالمطلوب منك أن تنصحه وتنهي إليه ما يصح ويثبت عندك من حال الرعايا، وتساعد عنده على الحق بما تصل إليه قدرتك، ولا يكن حظك منه الاقتصار على حطام تجمععه لنفسك أو دنيا تضمها إليك فإن ذلك سبب زواله عنك، بل المقتضى لدوام [التقرب]^(٥) عندك منه ما ذكرناه من النصيحة والمساعدة في الحق لتدوم لك نعمته التي هي سبب نعمتك، ومودته التي بها وصلت إلى ما وصلت ولتدوم لك منه ما أسداه إليك، وما أحق^(٥) من كانت له كلمة نافذة عند ولي أمر فوجد مظلوماً يستغيث فقام يصلي شكراً لله

(١) قال القلقشندي: «الزنان دار المعبر عنه بالزمام دار. وهو لقب على من يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام أو الخصيان، مركب من لفظين فارسيين زَنَان ومعناه النساء ودار بمعنى مملك أي الموكل بحفظ الحرم إلا أن العامة والخاصة قد قلبوا التوئين فيه يمين ظناً أن الدار على معناها العربي والزمام بمعنى القائد أخذاً من زمام البعير الذي يقاد به» صبح الأعشى ٤٦٠/٥.

(٢)، (٣) ما بين معقوفتين ناقص من الأصل والاستكمال من معيد النعم.

(٤) كلمة مطموسة في الأصل ويصح أن تكون التقرب.

(٥) لعل من الأحسن أن يقول وما أعظم حماقة. على القاعدة المعروفة في التعجب.

على أن جعله ذا كلمة نافذة عند ولي الأمر، وترك المظلوم يتخبطه الظلم، ولا يجد منجداً وهو قادر على إنجاده، فذاك الذي صلاته وبال عليه، كما قال الفقهاء فيمن كان يصلي فمر به غريق تتلاطمه أمواج البحر وهو قادر على إنقاذه، فإنه يجب عليه قطع الصلاة وإنقاذه من ذاك، وهذا سيان.

وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة دعا الله عز وجل بعبد من عبده فيقف بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله»^(١) وقال عبد الله بن يحيى بن خاقان: حضرت الحسن بن سهل^(٢)، وجاء رجل يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرني ونحن نرى أن للجاه زكاة، كما أن للمال زكاة! ثم أنشأ يقول:

فُرِضْتُ عَلَيَّ زَكَاةُ مَا مَلَكَتْ يَدِي وَزَكَاةُ جَاهِي أَنْ أُعَيْنَ وَأَشْفَعَا
فَإِذَا مَلَكَتْ فُجْدُ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاجْهَدْ بُوْسْعَكَ كُلَّهُ أَنْ تَنْفَعَا

وقال صلاح الدين الصفدي^(٣): كتب لي وأنا بالقاهرة أبو عبد الله بن

الصايغ:

صَلاَحُ الدِّينِ يَا رَبَّ الْمَعَالِي وَيَا قُوتَ الْمَعَانِي وَالْمَعَالِي
تَصَدَّقْ لِي بِصَرْفِ زَكَاةِ جَاهٍ فَفِيهَا إِنْ أُرِدْتَ صَلاَحُ حَالِي

(١) أورده ابن الجوزي في الموضوعات ١٦٨/٢ باب السؤال عن الجاه يوم القيامة. وفي كنز العمال برقم ١٦٠٥٨، ومجمع الزوائد ٣٤٦/١٠، ونجريد التمهيد لابن عبد البر ٤٦٤ وتاريخ بغداد للخطيب ٩٩/٨، والمجروحين لابن حبان ١٣٧/٣.

(٢) الحسن بن سهل وزير المأمون العباسي أحد كبار القادة والولاة في عصره اشتهر بالذكاء المفرط والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات والكرم وهو والد بوران زوجة المأمون وكان المأمون يجله ويبالغ في إكرامه أصيب بمرض نفسي فتغير عقله حتى شد في الحديد، ثم شفي منه وتوفي في سرخس سنة ٢٣٦هـ وهو أخو الفضل بن سهل ذي الرياستين كانا من المجوس فأسلما هما وأبوهما سهل في أيام الرشيد الأعلام ١٩٢/٢.

(٣) خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب مؤرخ كثير التصانيف ولد في صفد بفلسطين وينسب إليها وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها ثم أولع بالأدب وتراجم الأعيان وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب ثم وكالة بيت المال في دمشق وتوفي بها سنة ٧٦٤هـ وله زهاء مئتي مصنف منها الوافي بالوفيات ولعله أشهرها. الأعلام ٣١٥/٢ نقلاً عن الدرر الكامنة ٨٧/٢، طبقات الشافعية ٩٤/٦، الوافي بالوفيات ٢٤٩/١. وغيرها.

محب الدين، في الآداب شيخ
إذا ما لجأه لم أر فيه وجهاً
نوى لي أن يعرض بالنوال
فمالي لا أجودُ بفضل مالي!

ووظيفته التوقيع عن الملك، والاطلاع على أسرارته التي بها يكاتب، وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل.

ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك وتفهمه إياها، فإن أكثر الملوك يعسر عليهم الفهم، ويؤتون من قبل ذلك، لاسيما إذا اشتبكت الأمور، وازدحمت الأشغال. فعلى كاتب السر التلطف في ذلك بحيث يصل إلى ذهن الملك، وإلا فمتى ظلم الملك واحداً في واقعة لعدم فهمه، وكان كاتب السر هو الذي قرأ عليه القصة فيها، كان شريكاً له أو مستبدأ عنه بالظلم.

ويكاتب الأسرارَ حتى إنه ليصونها عن أن تمرّ بخاطره
وأن يحترز من الكتابة في قطع رزق، فقلما أفلح كاتبه. وما أحسن ما نقشه
بعض كتّاب السرّ على دواته:

حلفت من يكتبُ بي
ألا يمده مدّة

بالواحدِ الفردِ الصّمَدِ
في قطعِ رزقي لأحد

- ۷۳ -

[٣١] - منصب ناظر الجيش^(١)

فمن حقه النظر في حالهم ، وتجريد من يرى فيه المصلحة والكفاية والقدرة .
وحرام عليه أن يجهّز عاجزاً ، لفقر أو غيره ، أو أن يغري به الملك ، بل عليه
الدفع عنه بما يمكنه ، فإنه ناظر عليه كناظر اليتيم .
وعليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين ، فإنه مطالب بذلك كله
فليتق الله ربه .

ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الاقطاعات بالفلاحة ، والفلاح
حر لا يد لآدمي عليه ، وهو أمير نفسه . وقد جرت عادة الشام بأن من خرج من
دون ثلاث سنين يُلزم ، ويعاد إلى القرية قهراً ، ويُلزم بشد^(٢) الفلاحة . والحال في
غير الشام أشد منه فيها . بل إنما تخرب البلاد بذلك لأنهم يضيّقون على الناس ،
فيضيّق الله عليهم .

ومن قبائحهم أنهم إذا اعتمدوا شيئاً مما جرت به عادتهم الخبيثة يقولون : هذا
شرع الديوان . والديوان لا شرع له ، بل الشرع لله تعالى وللرسول محمد المصطفى
صلى الله عليه وسلم . فهذا الذي ينتهي إلى الكفر ، وإن لم تنشرح النفس لتكفير
قائله ، فلا أقل من ضربه بالسياط ، ليكف لسانه عن هذا العظيم ، الذي هو في غنية
عنه ، بأن يقول : عادة الديوان ، أو طريقة الديوان ، أو نحو ذلك من الألفاظ التي
لا تنكر .

(١) معيد النعم ٣٣ .

(٢) انظر ص ٣٢ .

[٣٢] - منصب الحجوبة^(١)

هي وظيفة قديمة، كانت تسمى القيادة، وكان الحاجب يسمى قائد الجيش . ولم يكن في الزمان الماضي يحكم، بل يعرض الجيش، ويعتبر حاله، وينهيه إلى الأمير . والآن اصطلحت الترك^(٢) على أن يفصل [في] القضايا . فنقول : عليه رفع الأمور إلى الشرع، وأن يعتقد أن السياسية لا تنفع شيئاً، بل تضر البلاد والرعايا، وتوجب الهرج والمرج، ومصلحة الخلق فيما شرعه خالفهم الذي هو أعلم بمصالحهم ومفاسدهم . وشرعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم، ولا يأتي الفساد إلا من الخروج عنها . ومن لزمها صلحت أيامه واطمأنت، ولم يقض رسول الله صلى الله عليه وسلم نحبه، حتى أكمل الله سبحانه لنا ديننا . وقد اعتبرت - ولا ينبئك مثل خبير^(٣) - فما وجدت ولا رأيت ولا سمعت بسلطان ولا نائب سلطان ولا أمير ولا حاجب ولا صاحب شرطة يلقي الأمور إلى الشرع إلا وينجو بنفسه من مصائب هذه الدنيا، وتكون مصيبته أبداً أخف من مصيبة غيره، وأيامه أصلح وأكثر أمناً وطمأنينة، وأقل مفاسد . وأنت إذا شئت فانظر تواريخ الملوك والأمراء العادلين والظالمين، وانظر أي الدولتين أكثر طمأنينة وأطول أياماً .

وكذلك اعتبرت فلم أر، ولم أجد من يظن أنه يصلح الدنيا بعقله ويدبر البلاد برأيه وسياسته، ويتعدى حدود الله وزواجه إلا وكانت عاقبته وخيمة، وأيامه منغصة مكدره، وعيشه قلقاً، وتفتح عليه أبواب الشرور، ويتسع الخرق على الراقع، فلا يسد ثلثة إلا وتفتح ثلثات . ولا يرقع فتنة إلا وينشأ بعدها فتن كثيرة .

(١) معيد النعم ٤٠ .

(٢) انظر التعليقة عن الترك ص ٦٠ .

(٣) اقتباس من قوله تعالى في سورة فاطر الآية ١٤ : ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير ﴾ .

وعلى مثله يصدق قول الشاعر:

نرَقُعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نَرَقُعُ
فمن خطر له أنه إن لم يسفك الدماء بغير حق، ويضرب المسلمين بلا ذنب لم تصلح أيامه، فعرفه أنه باغ جهول أحرق حمار، دولته قريية الزوال، ومصيبته سريعة الوقوع، وهو شقي في الدنيا والآخرة، وإذا أخذه الله لم يفلته. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا بِمَا فِي شَجَرِ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ، وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

أخبر عز وجل أنا إن لم نُحكِّم هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم، ثم إذا حُكِّم لم نجد في أنفسنا حرجاً وضيقاً وقلقاً من حكمه، بل نطمئن له ونسلم ونتقاد ونذعن، وإلا فنحن غير مؤمنين. فكفى بهذه الآية واعظاً وزاجراً لمن وفقه الله تعالى.

فإن قال حمار من هؤلاء: أنا، من أين أعرف هذا، وأنا عامي تركي لا أعرف كتاباً ولا سنة! قلنا له: هذا لا ينفعك عند الله شيئاً.

ألم يجعل الله لك عينين، ولساناً وشفقتين، وهداك التجدين^(٢)! إذا كنت لاتعرف فاسأل أهل الذكر^(٣)، فإن هذا شأن من لا يعلم، وإلا فأنت تأتي يوم القيامة وغرماؤك الذين ضربتهم وعاقبتهم يجرؤنك في الحبال، وأنت تسحب على وجهك، لا ينفعك هناك شيء من هذه الأقاويل.

فإن عجزت عن الفهم، فما لك وللدخول في هذه الوظيفة. دعها كما قيل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

(١) النساء، الآية ٦٥.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ الآيات ٨ - ١٠، سورة البلد.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية ٧، سورة الأنبياء.

[٣٣] - منصب النقيب^(١)

على الواحد منهم إذا جهّز في طلب أحد السكون في الحركة، والرفق بمن طلبه. وحرام عليه أن يزعجه ويرعبه، فإن هو فعل ذلك فهلك أحد في الدار - وكثيراً ما أجهضت حامل جنينها - أو ارتجف واحد من الصبيان فهلك، فقد أوجب عليه بعض العلماء القصاص.

وإذا كان إنما فعل ذلك لحطام الدنيا، وأن يقال: النقيب الفلاني شاطر^(٢) ناهض، ماراح في شغل إلا وقضاه، فذلك أقبح وأبشع. بل عليه الرفق ذاهباً وآيئاً. وإذا عاد وعلم الحال ترفق في إنهائه بحيث لا يزداد الأمر شدة ولا الأمير حدة.

[٣٤] - منصب المعرف^(٣)

وربما قيل المقدم والبواب. وهو رجل [بباب الوالي]^(٤) يكون بالمرصاد للصوص. عليه الفحص عن أمرهم، ليكفّ عن الخلق شرّهم. وعليه مجانية الهوى والميل.

(١) وهم يكونون على أبواب الأمراء والولاة. معيد النعم ٤٢. والنقيب في اللغة شاهد القوم وعريفهم. القاموس.

(٢) شطر فلان على أهله فهو شاطر إذا أعياهم لؤماً وخيئاً (المصباح المنير). ويظهر أن الكلمة اتخذت على العصور عدة معان؛ منها، الماهر أو المجتهد. وكانت تعني في العصر العباسي وما بعده اللص الذي يجرح الثياب ويشطرها ليأخذ المال منها، فهو اللص أو قاطع الطريق. ثم أطلق على ساعي البريد لسرعته في السير ليصل إلى مركز البريد الآخر. معجم الألفاظ التاريخية ٩٦. ومن معانيها التي تناسب النص: الفهم المتصرف والجمع شطار (المعجم الوسيط).

(٣) معيد النعم ٤٦.

(٤) ما بين معقوفتين زيادة من معيد النعم.

ولابأس إذا وقع له متردد، وغلب على ظنه أنه السارق لما اتهم به أن يعمل الحيلة في تقريره بأخذ المال من غير عقوبة. ولاداعية إلى الإقرار على وجه يوجب القطع، فإن القطع حق الله تعالى، والفحص عنه لضرورة إليه؛ لبنائه على المسامحة، بخلاف المال.

[٣٥] - منصب الخوليّة^(١)

قال ابن ناصر الدين في (توضيح المشتبه)^(٢): «الخولي هو الذي يلي حمر الخيل والابل للملوك والخلفاء والأمراء، قاله الدارقطني». وعليه أن يتفقدهم بالحسن ولا ينسأهم في الأكل والشرب.

[٣٦] - منصب أمراء الدولة^(٣)

عليهم تفقد حال الأجناد، وتعليمهم رمي الشباب، والمسابقة على الخيل، بحيث يعرفون الطعان والضرب والحرب. وللأمير أن يحثهم في المسابقة والمناضلة على الرهن، إذا كان يبعث عزائمهم.

(١) الخولة: القائمون على خدمة الخيل. والخولي كما هو معروف لخدمة الحديقة معجم الألفاظ التاريخية ٥٨.
(٢) محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي الدمشقي الشافعي الشهير بابن ناصر الدين أبو عبد الله محدث حافظ مؤرخ ناظم عارف بالأنساب ولد ونشأ بدمشق وأصله من حماة، حفظ القرآن الكريم وعدة متون، وطلب الحديث. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية وقتل في إحدى قرى دمشق سنة ٨٤٢ هـ له مؤلفات عديدة منها المولد النبوي ومعراج وكتاب اتحاف السالك برواة الموطأ من مالك وغيرها. وكتابه هذا توضيح المشتبه شرح فيه كتاب المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم للحافظ الذهبي وهو في ثلاث مجلدات خطية صدر منه في بيروت جزء واحد سنة ١٤٠٧/١٩٨٦ بتحقيق الأستاذ نعيم عرقسوسي، وفي مقدمته ترجمة مستفيضة لابن ناصر. وانظر معجم المؤلفين ١١٢/٩، ٢٣٦/١٠.

(٣) معيد النعم ٤٦

والرهن في ذلك جائز. ومن شرط العقد عليه لزمه، إلا أن يكون على صورة القمار فهو حرام لا يلزم فيه العوض. وصورة القمار أن يكون كل واحد منهما لا يخلو من غنم أو غرْم، وذلك أن يُخرج كل واحد من الفارسين ديناراً مثلاً، على أن من سبق منهما أخذ الدينارين جميعاً، فهذا حرام، إلا أن يكون هناك محلل، وهو ثالث يسبقهما بفرس كفاء لفرسيهما، على أنه إن سبقهما أخذ الدينارين، وإن سبقاه لم يغرْم شيئاً، وفيما بينهما أيهما سبق أخذ من صاحبه.

وتصح المسابقة عند أبي حنيفة وأصحابه على الخيل والبغال والحمير والإبل وبالرمي. وعند الشافعي على الفيلة والبغال والحمير على الأصح. ولا تجوز على الحمام ولا غيره من الطيور. ولا تجوز على الصراع في الأصح.

وما يعتاده الأمراء في هذا الزمان من لعب الكرة في الميدان حلال. وينبغي أن يقصدوا به تعليم الخيل الإقبال والإدبار والكرّ والفِرّ.

وأما المراهنة^(١) في ذلك إن كانت من جانب واحد فهي جائزة. ولكن لا يلزم العوض فيها، بل هي تبرع، إن شاء وفي [به] وإن شاء لم يف. وإن كان الرهن من الجانبين كان قماراً حراماً.

وأما العلاج^(٢) الذي يتعانه الشباب، فإن كان لا يضرّ بأبدانهم، ولا يشغلهم عن ذكر الله وعن الصلاة فهو جائز، وإلا فيحرم لا يجوز فيه الرهن.

وعلى الأمير إذا سار بالجيش الرفق بهم والسير على سير أضعفهم، وتفقد خيولهم، وتقوية قلوبهم.

ومن قبائح كثير من الأمراء أنهم لا يوقرون أهل العلم، ولا يعرفون لهم حقوقهم، وينكرون عليهم ما هم يرتكبون أضعافه. وما أحمق^(٣) الأمير إذا كان يرتكب معصية، ووجد فقيهاً يقال فيه مثلها أن يتقصه ويعيبه. وماله لا ينظر إلى نفسه مع ما خولّه الله من النعم! أما علم أن القبيح عند الله حرام بالنسبة إلى كل

(١) معيد النعم ٤٧.

(٢) العلاج: رفع الأحجار وكانوا يتسابقون في ذلك. معيد النعم المرجع السابق الحاشية ٦.

(٣) كذا، ولعل الأصح: ما أشد حمق. . . لثلا يتعجب من فعل صفته على أفعول، كما هو معروف عند الصرفيين.

أحد، وربما كان عند الفقيه ما يستر قبيحه، وليس عند الأمير وراء ذلك القبيح إلا أمثاله من القبائح.

وما يتعين على الأمير إذا أنهى إليه عن أحد من أهل العلم سوءاً ألا يصدق، ويحسن الظن بهذه الطائفة؛ فإن لحومهم مسمومة. وما رأيت أميراً يغض من جانب الفقهاء إلا وكانت عاقبته عاقبة سوء.

فإن تيقن عن أحد منهم سوءاً، واتضح عنده كالشمس - ولن يصير ذلك إن شاء الله تعالى - فعلى الأمير بعد ذلك أن يعتبر نفسه؛ فإن كان هو أيضاً يفعل ذلك الفعل فليعدّ على نفسه باللائمة، ويقول: أنا أذنبت ذنبتين؛ لأنني جاهل مرتكب هذا القبيح، فكيف أؤاخذ هذا الذي لم يذنب إلا ذنباً واحداً! وهذا هو القبيح؛ فقد شاركني في ارتكاب الذنب، وفارقني في أنه عالم، وأنا جاهل، فأنا أنحس منه، لأنني صاحب ذنبتين، وهو صاحب ذنب واحد.

وقيل إن فقيهاً رفع إلى بعض الأمراء وهو سكران، فأخذ الأمير يجلده، والأمير أيضاً سكران. فلما قام الفقيه قال: رب اغفر لي، وجاء إلى القاضي، وقال: أقم عليّ الحد، فإن الأمير فاسق لا تصح إقامته للحد. فأهلك الله ذلك الأمير بعد أيام يسيرة.

ومن قبائحهم استكثارهم الأرزاق - وإن قلت - على العلماء، واستقلالهم الأرزاق - وإن كثرت - على أنفسهم. وكثير منهم يعيبون على بعض الفقهاء ركوب الخيل ولبس الثياب الفاخرة.

وهذه الطائفة من الأمراء يخشى عليها زوال النعمة عنها عن قريب؛ فإنها تتبختر في أنعم الله مع الجاهل والمعصية، وتنقم على خاصة خلقه يسيراً مما هم فيه. أفما يخشون ربهم من فوقهم! ولو اعتبر واحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده. أفما يستحي هذا الأمير من الله عز وجل! وإذا سلبه الله نعمته فلم يتعجب ويبكي! أو ما يدري أنّ واحدة من هذه المصائب تهلكه وتدمره! وما أحسن ما وجد منقوشاً على دواة بعض الأمراء، وهو من نظم التاج بن السبكي، وهو أمر بأن يكتب:

حَلَفْتُ مَنْ يَكْتُبُ بِي بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِ
أَلَا يَمْدُمُ دَمَةً تُولِمُ قَلْبَ عَالِمِ

ومن قبائحهم ما يذهبونه في الأطرزة العريضة والمناطق وغيرها من أنواع الزراكش التي حرمها الله، وزخرفة البيوت، سقوفها وحيطانها بالذهب. وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضيق سكة^(١) المسلمين. وأنت إذا اعتبرت ما يذهب من الذهب في الأغراض الفاسدة تجده قناطير مقنطرة، لا يحصيها إلا الله؛ فإنه لا بد في كل منطقة أو طراز ونحوه من ذهاب شيء - وإن قل جداً - تأكله النار. وهو في الأبنية أكثر. فإذا ضمنت ذلك القليل إلى قليل آخر على اختلاف في البقاع والأزمان، لم يحص ماضع من القناطير المقنطرة من الذهب إلا الله تعالى. ثم القدر الذي يسلم ولا يضيع، يصير عندهم محبوساً أطرزة، ومناطق، وسلاسل، وكتانيش^(٢)، وسروجاً، وغير ذلك من المحرمات المختلفة الأنواع. ولو كان مضروباً سكة يتداوله المسلمون لانتفعوا به، ورخصت البضائع، وكثرت الأموال. ولكنهم احتجروا وفعلوا هذه القبائح، ثم يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم ومنا أن ندعو لهم. ولو اتقوا الله حق تقاته لما افتقروا إلى دعائنا.

وقد طلب الملك المظفر سيف الدين قطز^(٣) شيخ الإسلام وسلطان العلماء

(١) الذي وجدناه من الأحاديث أنه «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس» أخرجه أبو داود برقم ٣٤٤٩ في البيوع، باب في كسر الدراهم. وقد سبق في بعض الحواشي عند منصب الحسبة أن السكة حديدية منقوشة تضرب عليها النقود، وأن الدراهم والدنانير تسمى سكة أيضاً لأنها تطبع بالحديد الملعمة لها.

(٢) الكتبوش: البردعة، تجعل تحت سرج الفرس، وتوضع فوقها الغاشية وهي غطاء مزركش فوق البردعة. والكتبوش أيضاً غطاء السيف معجم الألفاظ التاريخية ١٣١.

(٣) قطز بن عبد الله المعزي. كان مملوكاً للمعز أيلك التركماني، وترقى إلى أن صار أتابك (أمير الأمراء) العساكر في دولة المنصور بن المعز ثم خلع المنصور وتسلطن مكانه سنة ٦٥٧هـ ونهض لقتال التتار الذين وصلوا إلى دمشق وهددوا مصر وخرج إلى لقاءهم في عين جالوت بفلسطين وكسرهم وطاردتهم إلى بيسان فظفر بهم ودخل دمشق في مركب عظيم وعزل من بقي فيها من بني أيوب وفي طريق عودته إلى مصر قتله أمراء جيشه ودفن بالقصير سنة ٦٥٨هـ. ثم نقل إلى القاهرة. الأعلام ٢٠١/٥ نقلاً عن ذيل الروضتين ٢١٠، فوات الوفيات ١٣٢/٢، النجوم الزاهرة ٧٢/٧، السلوك للمقريزي ١١٧/١ - ٤٣٥ مورد اللطافة لابن تغردى بردي ٣٥ - ٣٨.

عز الدين عبد السلام^(١) بحضرة الملك الظاهر بيبرس^(٢)، والملك المنصور قلاوون^(٣) وغيرهما من الأمراء، وحادثه في الخروج إلى لقاء العدو من التتار لما دهموا البلاد ووصلوا إلى عين جالوت^(٤). فقال له: اخرج وأنا أضمن لك على الله النصر. فقال: إن المال في خزائني قليل، وأريد الاقتراض من التجار. فقال: إذا أحضرت أنت وجميع العسكر كل ما في بيوتكم وعلى نسائك من الحلبي الحرام، وضربته على السكة، وأنفقت في الجيش، وقصّر عن القيام بكلفتهم، أنا أسأل الله لكم في إظهار كنز من كنوز الأرض يكفيكم ويفضل عنكم. وأما أنكم تأخذون أموال

(١) عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد ونشأ في دمشق وزار بغداد تولى الخطابة بدمشق والتدريس في زاوية الغزالي ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة صفد للفرنج اختياراً أنكر عليه ابن عبد السلام وترك الدعاء له في الخطبة فغضب عليه وحجسه ثم أطلقه فخرج إلى مصر فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض وأرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لوظائفك فقال: لا. وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ وله كتب عديدة في الفقه والأصول والتفسير والتصوف وغير ذلك. الأعلام ٢١/٤ نقلًا عن فوات الوفيات ١/٢٨٧، طبقات السبكي ٨٠/٥ - ١٠٧، النجوم الزاهرة ٧/٢٠٨، ذيل الروضتين ٢١٦، مفتاح السعادة ٢١٢/٢.

(٢) هو بيبرس العلاني البندقداري صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، ولد بالقبحاق وأسر وبيع في سيواس ثم نقل إلى حلب ومنها إلى القاهرة فاشتره الأمير علاء الدين أيديكين البندقدار وبقي عنده. فلما قبض الملك الصالح نجم الدين أيوب عليه أخذ بيبرس فجعله في خاصة خدمته ثم أعقته ولم يزل في صعود حتى صار رئيس العساكر زمن السلطان قطز، فلما قتل هذا الأخير تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨. كان شجاعاً جباراً يباشر الحروب بنفسه وله وقائع هائلة مع الصليبيين والتتار وفتح بلاد النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلطين لها وفي أيامه انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر سنة ٦٥٩هـ وآثاره وأخباره كثيرة جداً. توفي بدمشق سنة ٦٧٦هـ ودفن في المدرسة المنسوبة إليه. الأعلام ٧٩/٢ نقلًا عن فوات الوفيات ١/٨٥، النجوم الزاهرة ٩٤/٧.

(٣) قلاوون الألفي العلاني الصالح النجمي، أبو المعالي، سيف الدين السلطان الملك المنصور أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر، كان من المماليك، قفجاق الأصل أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس وقام بأمور الدولة في أيام العادل وسلا مش ابن الظاهر، فكان يخطب له وللعا دل على منابر مصر وضربت السكة باسمهما، ثم خلع العادل وتولى السلطنة منفرداً سنة ٦٧٨هـ وجلس على سرير الملك في قلعة الجبل. قاتل التتار حينما أغاروا على بلاده فقاتلهم وظفر بهم وهزم ملك النوبة حينما هاجم هذا الأخير أسوان توفي بالقاهرة سنة ٦٨٩هـ وهو من أجل ملوك المماليك قدراً ومن أكثرهم آثاراً، شعاع كثير الفتوحات أبطل المظالم ومن آثاره البيمارستان بين القصرين في القاهرة. كان قليل الكلام حكم أكثر من إحدى عشرة سنة. الأعلام ٥/٢٠٣ نقلًا عن خطط المقرئ ٢/٢٣٨، السلوك ١/٦٦٣، النجوم الزاهرة ٧/٢٩٢، فوات الوفيات ٢/١٣٣.

(٤) عين جالوت: بين بيسان ونابلس في فلسطين. معجم البلدان ٤/١٧٧.

المسلمين، وتخرجون إلى لقاء العدو، وعليكم المحرمات من الأطرزة المزركشة والمناطق المحرمة، وتطلبون من الله النصر، فهذا لاسبيل إليه. فوافقوه وأخرجوا ماعندهم، ففرقه، وكفى. وأخرجوا، وانتصروا.

وأنت ففكر واحسب تقديراً: كم على وجه الأرض من طراز ومنطقة وحلي حرام؟ وكم يكون مبلغه إذا اجتمع وضرب نقداً يتعامل به المسلمون؟ وكم على رؤوس عساكر الأروام^(١) من الاسكعات (؟) الذهب!

قال بعض الأمراء مرة وقد حكي له كثرة ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقطعه للأجناد، وكذلك من بعده من خلفاء الصحابة، وخلفاء بني أمية، وما كان عدد عساكرهم الذي تضيق الأرض دونها، فقال: إذا كان عساكرهم هذا القدر العظيم، وإقطاعاتهم هذه الإقطاعات فمن أين كانوا يجدون المال الذي يكفيهم، والبلاد بلاد ماتغيرت! فقيل له: من هذه الأطرزة والحلي المحرم والخيول المسومة. قال: كيف؟ فقيل له: ما كانوا يعملون هذا الحلي، ولا يشترون هذه الفرس بمئة ألف، والمملوك بخمسين ألف، ولا ينتهون في الخيلاء إلى معشار ما انتهيتم إليه. فقال: صدق.

قال التاج السبكي: ولقد سمعت أن واحداً منهم خرج مرة إلى الصيد فافتض هو ومماليكه من [بنات]^(٢) أهل البر ما يزيد على سبعين بنتاً بكراً حراماً. فإذا فعل واحد منهم هذا الفعل، وتنوع في الفسق بالغلمان والخمر والبرطيل ونحو ذلك، ثم سلبه الله تعالى النعمة، وسلط عليه أقل الأعداء، في أيسر وقت لا يتعجب، بل يذوق بأس الله إذا نزل بساحته.

ومن منكراتهم ركوبهم والجناث^(٣) تقاد بين أيديهم مسرجة غير مركوبة، وهم مع ذلك يجدون المحتاج ماشياً ولا يركبونه، وإنما يمشون بالجناث للترزين لا للحاجة.

(١) اختلف الباحثون في تفسير الأروام بأنهم اليونانيون أو الأتراك، انظر مقدمة إعلام الوری ط دار الفكر دمشق عام ١٩٨٣م رغم أن ابن طولون أكثر من استعمالها في متن الكتاب المذكور بمعنى الأتراك العثمانيين كما في ص ٢٤٣/٢٣٨/١٥٤ وغيرها. وكما هو المقصود بالنص المدون أعلاه.

(٢) في الأصل: سائر، وما أوردناه كما جاء في معيد النعم.

(٣) مفرداً جنيب، وهي الخيول الاحتياطية التي ترافق السلطان في سفره. معجم الألفاظ التاريخية ٥٥.

روى أبو داود، من حديث سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن أمه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^(١) «تكون إبل للشياطين، وبيوت للشياطين. فأما إبل الشياطين فقد رأيتها، يخرج أحدكم بجنيات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها، ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله. وأما بيوت الشياطين فلم أراها». قال سعيد: لا أراها إلا هذه الأقفاص التي يستر الناس بالديباج قال أبو نصر بن السبكي: قلت: الأقفاص المستورة بالديباج كالمحفقة ^(٢) والمحائر ^(٣) وغيرها مما يتعاناه أهل الثروة. وهذا فيمن قاد الجنائب للخيلاء. أما من يقودها ليحمل ضعيفاً يراه في الطريق فهو حسن. وكذلك إذا قادها في الجهاد خشية أن فرسه تعجز.

ومن فضائحهم أن الجندي يقاتل ويخاطر بنفسه فيقتل في الحرب كافراً، فلا يعطونه سلبه، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاه آياه، حيث قال: «من قتل قتيلاً فله سلبه» ^(٤) فيمنعونه ما أعطاه سيّد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ويفترون بذلك عزائم الجند؛ فإنّ الجندي إذا عرف أنه يخاطر بنفسه ولا ينصف فترت عزيمته، وحق عليهم أن يعطوه سلب المقتول، وهو ثياب القتيل ودرعه وسلاحه ومركوبه وسرجه ولجامه. قال التاج السبكي من الشافعية: وكذا سواره ومنطقته وخاتمه ومأمعه من النفقة، ومن جنيب يقاد معه على الصحيح. وإغما يستحق السلب من ركب الخطر بكفاية شر كافر في حال الحرب. فلو رمي من حصن، أو من الصف، أو قتل نائماً، أو أسيراً، أو قتله بعد انهزام الكفار فلا سلب له. ولو لم يقتله، ولكن أسره أو قطع يديه أو رجله استحق سلبه على الجديد. وخالف فيه الشيخ الإمام يعني والده انتهى.

(١) رواه أبو داود برقم ٢٥٦٨ في الجهاد، باب الجنائب، وإسناده حسن.

(٢) المحفقة بكسر الميم: مركب من مراكب النساء كالهودج (المصباح المنير).

(٣) قال في التاج في مادة حَوْر: للحارة: شبه الهودج، والعامّة يشددون. ويجمع بالآلف والتاء.

(٤) ورد بلفظ من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه رواه البخاري ١٧٧/٦ في الجهاد باب من لم يخمس الأسلاب وفي البيوع، باب بيع السلاح في الفتنة، وفي المغازي باب قول الله تعالى: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم، وفي الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم ورواه مسلم برقم ١٥٧١ في الجهاد باب استحقات القاتل سلب القتيل، وفي الموطأ ٤٥٤/٢ في الجهاد باب مجاء في السلب في النفل، والترمذي برقم ١٥٦ في السير، باب مجاء فيمن قتل قتيلاً فله سلبه، وأبو داود برقم ٢٧١٧ في الجهاد باب في السلب يعطى القاتل.

[٣٧] - منصب أمراء العرب (١)

وهم الذين ينزلون ويظعنون. وقد أنعم الله عليهم بالأرزاق الوافرة والاقطاعات الهائلة، ليرفعوا أذاهم عن المسلمين.

ومن قبائحهم أنه إذا قطع السلطان إقطاع واحد منهم تسلط على قطع الطرقات، وأذية من لم يؤذه، وأخذ مال من لم يظلمه. ولا يتوقفون في سفك الدماء لأجل هذا الغرض. وبذلك يقابلهم الله عز وجل. فلو أنهم صبروا واتقوا الله لكان خيراً لهم. ومن أعظمهم جرماً عرب الحجاز وعبيد عربها. ربما اعتقد بعضهم حل أموال الحجاج، وسفك دم امرئ مسلم حاج على درهم. ولا يخفى ما في ذلك من الجرأة على الله تعالى.

وكثير من العرب لا يتزوجون المرأة بعقد شرعي، وإنما يأخذونها باليد. وربما كانت في عصمة واحد، فتزل عليها أمير غيره، واستأذن أباه وأخذها من زوجها، فهات قل لي: أي ولد صالح ينتج من هذه؟ لا جرم أنهم لا يلدون إلا فاجراً. ومن قبائحهم أنهم لا يورثون البنات، ولا يمنعون الزنا في الجواري، بل جواريهن يتظاهرون بالزنا مع عبيدهم، وكل ذلك من الموبقات العظام.

[٣٨] - منصب كاتب القاضي (٢)

ومن حقه أن يعرف مدلولات اللفظ العرفية واللغوية، وأن يكون حسن الفهم عن اللافتين من عوام الواقفين والمقرئين وغيرهم، وأن ينبّه كل لافظ على مالهله يشك في إرادته له. ولقد ضاع كثير من أوقافنا في مدلولات ألفاظ الواقفين ضياعاً، منشؤه الشرطيون.

(١) معيد النعم ٥٤

(٢) انظر معيد النعم ٦٠

وقد كثر من الشروطين أن يكتبوا في بيع القرية مثلاً خلا ما فيها من مسجد لله تعالى، ومقبرة، وملك لأربابه، ووقف يذكرون ذلك بعد تحديد القرية، ولا يحددون هذا المستثنى، فيورث ذلك الجهل بالمبيع. قال التاج بن السبكي: «قال الشيخ الإمام - يعني والده - : وإن كانت تلك المواضع معروفة للمتعاقدين صحت البيع، وإلا فيحتمل أن يفسد، لأن جهالتها تقتضي جهالة الباقي في المعقود عليه. ويحتمل أن يقال: الجملة معلومة فلا يضر جهالة القدر المستثنى. قال: ولم أرفه نقلاً. وأما كتابة الشروطين الصداق في الحرير فمختلف في جوازه، وأفتى النووي^(١) بتحريمه، وعزاه إلى جماعات من أصحابنا، ولكن الأظهر حله، لأنه لمصلحة النساء. وقد كان الشيخ الإمام امتنع من الكتابة على صداق الحرير، ثم رأته يكتب عليه، وهو آخر الأمرين منه. والتردد بالمسألة شبيهة باختلاف الأصحاب في ألواح الصبيان»^(٢) انتهى.

[٣٩] - منصب حاجب القاضي^(٣)

ومن حقه الاستئذان على ذوي الحوائج، ورفع الأمور إلى القاضي حسبما ذكره الفقهاء.

(١) مرت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤.

(٢) انظر معيد النعم ص ٦١. وللشافعية في مس الكبار للآيات القرآنية المكتوبة على ألواح تلاميذ الكتاتيب مع الحدث قولان؛ بالحرمة على أنها كالمصاحف، وبالجواز على كونها معدة للصبيان. ومثل هذا عندهم بالنسبة لكتابة وثيقة الصداق على الحرير التي هي لمصلحة النساء ويتولى كتابتها الرجال.

(٣) انظر معيد النعم ٦١

[٤٠] - منصب نقيب القاضي (١)

ومن حقه تنبيه القاضي على الشهود، وتنبيه الشهود على القاضي.

[٤١] - منصب أمناء القاضي (٢)

وعليهم التحفظ في أموال الأيتام والغائبين، ويجوز للقاضي إقراض مال اليتيم عند أبي حنيفة، والصحيح عند الشافعية أنه لا يجوز له إقراضه.
وعلى الأمناء إذا أمر القاضي بصرف زكاة اليتيم تأديتها لمن يعينها له مهية ميسرة. ومن أحوج أم اليتيم أن تتردد إلى بابه لأخذ نفقة اليتيم من ماله فقد ظلم ظلماً عظيماً.

[٤٢] - منصب وكلاء دار القاضي (٣)

وقد مدحهم قوم فقالوا: هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق. وذمهم آخرون، فقالوا: هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم والحق عندنا أن من أراد منهم وجه الله تعالى محمود، وإن تناول أجرته. ومن أراد الخصام وإبطال الحقوق مذموم.

ومن حقهم التفهم عن الموكل، ومعرفة الواقعة والحق في أي الطرفين، فلا يتوكل على المحق معتزلاً بأنه وكيل. ولا ييدي من الحجة إلا ما يعرفه حقاً، أو يقوله له الموكل وهو يجهل الحال فيعتمد عليه، فإن علمه باطلاً وأدلى به فهو في جهنم.

(١) انظر معيد النعم ٦٢.

(٢) انظر معيد النعم ٦٢.

(٣) انظر معيد النعم، المرجع السابق. ويفهم من كلامه أن منصب هؤلاء يشبه أن يكون كمنصب المحامين اليوم.

[٤٣] - منصب الشهود (١)

وبهم قوام غالب المعاش والمبادلات .

وقد ذكر الفقهاء مالهم وما عليهم فاستوعبوا . وذمهم قوم فقالوا : إن سفيان الثوري (٢) قال : الناس عدول إلا العدول . وإن عبد الله بن المبارك (٣) قال : هم السفلة . وأنشدوا :

قومٌ إذا غَضِبُوا كانت رماحُهُمُ بَثَّ الشَّهَادَةَ بَيْنَ النَّاسِ بِالزُّورِ
هم السُّلَاطِينُ إِلَّا أَنَّ حَكْمَهُمُ عَلَى السَّجَلَاتِ وَالْأَمْلَاقِ وَالدُّورِ

وقال آخر :

إِيَّاكَ أَحْقَادَ الشُّهُودِ فَلِئَنَّمَا أَحْكَامُهُمْ تَجْرِي عَلَى الْحُكَّامِ
قومٌ إذا خَافُوا عِدَاوَةَ قَادِرٍ سَفَكُوا الدِّمَاءَ بِأَسَنَةِ الْأَقْلَامِ

وقال آخر :

احْذَرِ حَوَانِيْتَ الشُّهُو دِ الْأَخْسَرِينَ الْأَرْذَلِينَ
قومٌ لَنَامٍ يَسْرِقُو نَ وَيَحْلِفُونَ وَيَكْذِبُونَ

وكل هذا غلو وإفراط وتجاوز . ومن سلك منهم ما أمر به ، واجتنب ما نهى عنه محمود مأجور . غير أنه قد غلب على أكثرهم التسرع إلى التحمل وذلك مذموم ، وإلى أخذ الأجرة على الأداء فهو حرام . وقسمة ما يتحصل لهم في الحانوت ،

(١) معيد النعم ٦٣ .

(٢) تقدمت ترجمة الثوري في الصفحة ٥٠ .

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات جمع الفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة وكان من سكان خراسان ومات ببلدة هيت على الفرات منصرفه من غزو الروم له كتاب الجهاد وهو أول من صنف فيه والرقائق . الأعلام ١١٥/٤ عن تذكرة الحفاظ ٢٥٣/١ ، والرسالة المستطرفة ٣٧ ، ومفتاح السعادة ١١٢/٢ وشذرات الذهب ٢٩٥/١ .

وذلك منهم شركة أبدان ، وهي غير جائزة عند الشافعية . فعليهم النظر في ذلك كله ومراقبة الحق سبحانه .
وأما شهود القسمة^(١) فعلى خطر عظيم .

[٤٤] - منصب ناظر الوقف ونحوه

من المباشرين^(٢)

من حقه التنمية والعمارة .

قال التاج بن السبكي : وقول الأصحاب أن ولي اليتيم لا يجب عليه المبالغة في الاستئناء ، وإنما الواجب أن يستنمي قدر مالا تأكل النفقة والمؤن المال الصحيح . ولكن الزيادة من شكر النعمة .

ومما تعم به البلوى مدرسة غير محصور عدد فقائها ، فيُنزل القاضي أو الناظر فيها أشخاصاً ، ويقرر لهم من المعلوم ما يستوعب قدر الارتفاع ، فهل يجوز تنزيل زائد؟ . قال ابن الرفعة^(٣) : لا يجوز . قال الشيخ الإمام : وهو الذي استقر عليه رأيي ، بشرط أن يكون في مدرسة قدر للفقيه [فيها] مثلاً قدر معين . أما لو قرر عشرة فقهاء مثلاً ، ولم ينص في معاليمهم على قدر ولا جزء معين لأصل الوقف - وهو غالب مايقع في المدارس التي ليست محصورة - فلا يمتنع .

ومنه ناظر وقف يؤجر حانوتاً أو نحوه خراباً ، بشرط أن يعمره المستأجر بماله ، ويكون ماأنفقه محسوباً من أجرته . وهذه الإجارة باطلة ؛ لأنه عند الإجارة غير

(١) شهادة القسمة تكون عند تقديم مايتنازع فيه الشركاء توصلاً للتقسيم . عن الحاشية رقم (١) من معيد النعم ص ٦٤ .

(٢) معيد النعم ٦٤ .

(٣) أحمد بن محمد بن علي الأنصاري المعروف بابن الرفعة فقيه شافعي من فضلاء مصر كان محتسب القاهرة وناب في الحكم له عدد من المؤلفات منها كتاب بذل النصائح الشرعية في ما على السلطان وولاية الأمور وسائر الرعية . ندب لمناظرة ابن تيمية ، فسل ابن تيمية عنه فقال : رأيت شيخاً يتقاطر فقه الشافعية من لحيته توفي سنة ٧٢٠ هـ . الأعلام ٢٢٢/١ نقلاً عن البدر الطالع ١١٥/١ ، طبقات الشافعية ١٧٧/٥ ، الدرر الكامنة ١/٢٨٤ إيضاح المكنون ١/١٥٨ ، حسن المحاضرة ١/١٧٦ .

متنفع به . أما إذا كان الحانوت متنفعاً به فأجره بأجرة معلومة ، ثم أذن للمستأجر في صرفها إلى العمارة جاز .

ولا يجوز إجارة الحمام بشرط أن يكون مدة تعطيله بسبب عمارة أو نحوها محسوبة على المستأجر لا على المؤجر .

[٤٥] - منصب وكيل بيت المال^(١)

فمن حقه ألا يبيع من أملاك بيت المال ما المصلحة في بقائه . ولا يبيع إلا بغبطة ظاهرة ، أو حاجة ؛ كما في البيع على اليتامى .

وكثر في زماننا من وكلاء بيت المال من يبيع من الشارع ما يفضل عن حاجة المسلمين . وقد أفتى من الشافعية ابن الرفعة وغيره بأن ذلك حرام .

قال التاج بن السبكي^(٢) : وفقهاء العصر يترددون في انعزال وكيل بيت المال بانعزال الإمام الأعظم أو موته . وكان الشيخ يرى أنه لا ينعزل بذلك . انتهى

[٤٦] - منصب المؤرخين

قال العراقي في الجرح والتعديل^(٣) : « وليحذر المتصدي من العرض في جانبي التوثيق والتجريح ، فالمقام خطر . ولقد أحسن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد^(٤) حيث يقول : أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ، وقف على شفيرها طائفتان من الناس ؛ المؤرخون والحكام . ومع كون الجرح خطراً فلا بد منه للنصيحة في الدين .

(١) معيد النعم ٦٥

(٢) معيد النعم ٦٥ . وانظر ترجمة التاج السبكي في المقدمة .

(٣) مرت ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧

(٤) تقدمت ترجمة ابن دقيق العيد في الصفحة ٤٨

وقيل إن أبا تراب النخشي^(١) قال لأحمد بن حنبل: لا تغترب العلماء. فقال له أحمد: «ويحك هذا نصيحة، ليس هذا غيبة». انتهى. وقد أوجب الله تعالى الكشف والتبيين عن خبر الفاسق بقوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢). وقال التاج بن السبكي^(٣): «المؤرخون على شفا جرف هار، لأنهم يتسلطون على أعراض الناس. وربما نقلوا بمجرد ما يبلغهم من كاذب أو صادق. فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغضب منه؛ فربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة، واعتقاد أنهم على ضلال، فيقع فيهم أو يقصر في الثناء عليهم لذلك. وكثيراً ما يتفق هذا لشيخنا الذهبي^(٤) في حق الأشاعرة، والذهبي أستاذنا -والحق أحق أن يتبع- لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد عليه في الضعة من الأشاعرة. وقد أطلنا في تقرير هذا الفصل في (الطبقات الكبرى)^(٥). وحكي في ترجمة أحمد بن صالح المصري^(٦) ما ذكره الشيخ الإمام في شروط المؤرخ. ومن كلام أبي عمر بن عبد البر ما يزداد به الإنسان بصيرة. ومن فقهاء عصر واحد. فلا ينبغي سماع كلام بعضهم في بعض. وقد عقد ابن عبد البر^(٧) باباً في أن كلام بعضهم في بعض لا يقبل، وإن كان كل منهم بمفرده ثقة حجة».

(١) عسكر بن الحصين أو بن محمد بن الحصين النخشي، واشتهر بكنيته أبو تراب وهو من أهل نخشب بلدة فيما وراء النهر عربت إلى نَسَف. كان شيخ عصره في الزهد والتصوف كتب كثيراً من الحديث وأخذ عنه أحمد بن حنبل وغيره. وقف ٥٥ وقفاً بعرفة ومات بالبادية قبل نهشته السباع سنة ٢٤٥ هـ. الأعلام ٢٣٣/٤. وانظر سير أعلام النبلاء ٥٤٥/١١.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٦ وتامها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

(٣) معيد النعم ٧٤

(٤) تقدمت ترجمة الذهبي ص ٤٧.

(٥) ج ٢ ص ٢٢ - ٢٥

(٦) في الطبقات ج ٢ ص ٦ وما بعد

(٧) هو يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث مؤرخ، أديب قاض يقال له حافظ المغرب وله مصنفات كثيرة في الحديث والأنساب والتاريخ الأعلام ٢٤٠/٨، سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣

[٤٧] - منصب المحدثين

المحدث هو العارفُ بشيوخ بلده وغيرها، والضابطُ لمواليدهم ووفياتهم، ومراتبهم في العلوم، ومالهم من المرويات على اختلاف أنواعها، والمميزُ لعالِي ذلك من نازله، والمقتدرُ على تلخيص مايقف عليه من الطباق والأسانيد محرراً، واستخراج الخطوط ولو تنوعت، والانتقاء على الشيوخ، والتخريج لهم ولنفسه، مع التنبيه على العدل والموافقة والمصافحة والمساواة ونحو ذلك، وضبط أسماء السامعين ولو كانوا ألفاً، والممارسُ لأسماء الرجال لاسيما المشتبه، وأخذ ضبطها عن أئمة الفن، والضابطُ لغريب ألفاظ الحديث أو جلّها، خشية التصحيف، والعارفُ بطرف من العربية يأمن معه من اللحن غالباً، والماهرُ باصطلاح أهله، بحيث يصلح لتدريسه وإفادته، ويراعي اصطلاحهم في ذلك ونحوه.

وقد يطلق على من لم يجتمع له ذلك محدثاً، لكن أكثر عملهم على هذا.

وله آداب دَوْنُهَا أُمْتَنَّا، وأجلّ مصنف في ذلك كتاب (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) للخطيب^(١). قرأته. وللحافظ أبي الفتح بن سيّد الناس^(٢) كلام

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب، حافظ مؤرخ. ولد في غزّة بين مكة والكوفة بمتصف الطريق ونشأ في بغداد ورحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها وعرف قدره، ثم حدثت شؤون خرج على أثرها مستتراً إلى الشام فأقام مدة في دمشق وصور وطرابلس وحلب سنة ٤٦٢ هـ. ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث. كان فصيح اللهجة عارفاً بالأدب يقول الشعر ولوعاً بالمطالعة والتأليف من أشهر كتبه تاريخ بغداد ١٤ مجلداً والكفاية في علم الرواية في المصطلح وتلخيص المتشابه في الرسم، والرحلة في طلب الحديث والفقيه والمتفقه ١٢ جزءاً وغير ذلك توفي ببغداد سنة ٤٦٣ هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠، الأعلام ١/ ١٧٢ نقلاً عن معجم الأدباء ١/ ٢٤٨، طبقات الشافعية ٣/ ١٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧. وأما كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع فقد ذكر فيه مايلزم للمحدث وطالب الحديث من آداب وواجبات وأصول تقتضيها صناعة الحديث وأفاض في ذلك. وقد صدرت له طبعة جيدة محققة في جزأين بالرياض ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الربيعي أبو الفتح، مؤرخ عالم بالأدب من حفاظ الحديث، له شعر رقيق، أصله من إشبيلية مولده بالقاهرة ووفاته فيها عام ٧٣٤ من تصانيفه عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير جزآن ومختصره نور العيون وغير ذلك. الأعلام ٧/ ٣٥ عن فوات الوفيات ٢/ ١٦٩، =

في تعريفه حيث قال: «المحدث في عصرنا هو المشتغل بالحديث رواية وكتابة وجمع رواة. واطلع على كثير من الرواة والروايات في حسن تبصر في ذلك حتى عُرِف خطه واشتهر فيه ضبطه».

وهذا أسهل مما قاله العلامة تاج الدين أبو نصر السبكي في كتابه معيد النعم ومبيد النقم^(١): «المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وحفظ البعض من الأسانيد، وسمع الكتب الستة ومسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته، فإذا سمع مآذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد، كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله من شاء ما شاء». انتهى.

والمقتصر على السماع لا يسمى محدثاً. قال الإمام تاج الدين بن يونس في (شرح التعجيز)^(٢): «إذا أوصي للمحدث تناول من علم طرق إثبات الحديث وعدالة رجاله؛ لأن من اقتصر على السماع فقط ليس بعالم. ويشهد له قول الرافعي فيما إذا أوصى للعلماء أنه لا يدخل فيها الذين يسمعون الحديث، ولا علم لهم بطرقه، ولا بأشياء من الرواة والمتون، فإن السماع المجرد ليس بعلم. وكذا قال الفارقي^(٣): «لا يصرف لمن عرف طرق الحديث ولم يعرف أحكامه لأنه لا يصير من علماء الشرع بهذا القدر». وتابعه تلميذه ابن عسرون^(٤) في (الانتصار). ونحوه

= ذيل تذكرة الحفاظ ١٦، ٣٥٠، الوافي بالوفيات ١/٢٨٩، الدرر الكامنة ٤/٢٠٨، النجوم الزاهرة ٩/٣٠٣.
(١) ص ٨٢.

(٢) الإمام تاج الدين هو عبد الرحيم بن محمد أبو القاسم بن يونس قاض من فقهاء الشافعية ولد وتعلم بالموصل ودخل بغداد بعد استيلاء التار عليها وولي قضاء الجانب الغربي فيها إلى أن توفي سنة ٦٧١ هـ وكتابه التعجيز في مختصر الوجيز في فروع الشافعية ثم شرحه ولم يكمله سماه التطريز في شرح التعجيز. وغير ذلك. كشف الظنون ١/٤١٧، والأعلام ٣/٣٤٨ نقلاً عن شذرات الذهب ٥/٣٣٢ وغيره.

(٣) الفارقي هو الحسن بن إبراهيم بن علي الفارقي، أبو علي، فقيه شافعي منسوب إلى ميفارقين وبها ولد وانتقل إلى بغداد فولى قضاء واسط فتوفي فيها سنة ٥٢٨ هـ له مؤلفات في الفقه. وكان حسن السيرة في القضاء، الأعلام ٢/١٧٨ نقلاً عن وفيات الأعيان ١/١٣٠، وهدية العارفين ١/٢٧٩.

(٤) عبد الله بن محمد التميمي بن أبي عسرون، فقيه شافعي من أعيانهم. ولد بالموصل وانتقل إلى بغداد واستقر بدمشق فتولى بها القضاء سنة ٥٧٣ هـ وعمر قبل موته بعشر سنين، وإليه تنسب المدرسة العسرونية بدمشق، من =

قول السبكي: «لا يدخل في الحديث من اقتصر على السماع المجرد»^(١). وكذا قال بعض المتأخرين: «المحدث عند الفقهاء لا يطلق إلا على من حفظ متون الحديث وعلم عدالة رجاله وخرجها فقط. والمقتصر على السماع خارج عن هذين». وتعقبه ابن حجر بقوله: «هذه مكابرة؛ لأن القسمة رباعية، وأرفع الأربعة من له السماع الكثير والعلم بالطرق والعلل». قال السخاوي^(٢): «قلت: ولعل الأولين إنما سمياه بذلك حقيقة؛ لأنه مسند ومن عداهم أراد المجاز».

ثم ما المراد بطرق الحديث؟ قال في (الذخائر): «معرفة ماتضمنته الأحاديث من الأحكام مع معرفة رواته. وهذا مخالف لاصطلاحهم؛ فإنهم إنما يريدون بالطرق تعداد الأسانيد والوجوه للحديث الواحد». وقال صاحب الوافي: «المراد بطرقه معرفة الصحيح والضعيف والغريب ومعرفة أسماء الرجال وعدالتهم وجرحهم، ويعرف معانيه؛ فيكون حيثشذ عالماً. وألا يكون كقارئ القرآن، وليس ذلك بعلم، بل هو نقل». وإلى آخر كلامه، يرشد له قول الماوردي^(٣) في الوقف: «إنه لا يصرف للقراء وأصحاب الحديث، لأن العلم مائتصرف في معانيه دون ماكان محفوظ التلاوة. وعليه يُحمل ماروينا عن الحافظ السلفي، قال^(٤): «استفتيت شيخنا الإمام أبا الحسن الطبري عُرِف بالكنيا^(٥) عن رجل وصّى بثلاث ماله للعلماء

= آثاره صفوة المذهب على نهاية المطلب ٧ أجزاء، الذريعة في معرفة الشريعة، المرشد مجلدان، التيسير في الخلاف توفي سنة ٥٨٥ هـ. الأعلام ١٢٤/٤ نقلًا عن نكت الهميان ١٨٥، وفيات الأعيان ٢٥٥/١، طبقات السبكي ٢٣٧. وانظر سير أعلام النبلاء ١٢٥/٢٣ أما كتابه هذا فهو الانتصار لما جرد في المذهب من الأخبار والاختيار فيقع في أربعة أجزاء منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية ومنه المجلد الأول في استامبول باسم الانتصار لما جرد في المذهب من أخبار. وهو انتصار المذهب الشافعي كشف الظنون ١٢٠/١. معيد النعم ٨٢.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي، مؤرخ، حجة، عالم بالحديث والتفسير والأدب، أصله من سخا في قرى مصر، ولد بالقاهرة وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢ هـ. ساح في البلاد طويلاً، وصنف نحو ٢٠٠ كتاب أشهرها الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ١٢ جزءاً. الأعلام ١٩٤/٦، عن الضوء اللامع ٢/٨، الكواكب السائرة ٥٣/١، شذرات الذهب ١٥/٨، خطط مبارك ١٥/١٢.

(٣) انظر ترجمة الماوردي في الصفحة ٢٠.

(٤) سبقت ترجمة الحافظ السلفي في الصفحة ٥١.

(٥) هو علي بن محمد أبو الحسن الطبري الملقب بعماد الدين ويعرف بالكنيا الهراسي، فقيه شافعي، مفسر، سكن بغداد فدرس بالنظامية، ووعظ، واتهم بمذهب الباطنية، فرجم وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له. من كتبه: أحكام القرآن توفي سنة ٥٠٤ هـ (الأعلام ١٤٩/٥).

والفقهاء، هل تدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية؟ فقال: نعم؛ كيف لا! وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»^(١). قال السخاوي^(٢): «قلت: ويروى عن مالك أن المقتصر على السماع لا يؤخذ عنه العلم». وعبارته فيما نقله القاضي عبد الوهاب في (الملخص) نقلاً عن عيسى بن أبان^(٣) عنه: لا يؤخذ العلم عن أربعة. فذكرهم، فقال: ولا عمن لا يعرف هذا الشأن. وفسّر القاضي مراده بما إذا لم يكن ممن يعرف الرجال من الرواة ولا يعرف هل زيد في الحديث شيء أو نقص. لكن العمل على خلاف هذا، والاعتماد في هذه الأعصار غالباً على القارئ؛ ولذلك أقول بامتناع قراءة كثير من الطلبة الذين لا ممارسة لهم بالمتون ولا بالأسانيد، بل ولا معرفة لهم بشيء في الجملة أصلاً على من لا تمييز عنده من المستندين، ولا أقل من أن يصحح حديثه أولاً. ولله در الحافظ أبي عبد الله الذهبي^(٤) حيث قال فيما قرأته بخطه في حق هؤلاء وإن بالغ، لكنه والله معذور: «[أما] المحدثون فغالبهم لا يفهمون، ولاهمة لهم في معرفة الحديث، ولا في التدين به، بل الصحيح والموضوع عندهم نسبة، إنما همتهم في السماع على جهلة الشيوخ، وتكثير العدد من الأجزاء والرواة، لا يتأدبون بأداب الحديث، ولا يستفيقون من سكرة السماع. الآن يسمع الجزء، ونفسه تحدثه متى يرويه؟ أبعد خمسين سنة؟ ويحك! ما أطول أملك، وما أسوأ عملك!».

معذور سفيان الثوري^(٥) إذ يقول فيما رواه أحمد بن يوسف الثعلبي؛ ثنا خالد

(١) أورده العجلوني بلفظ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً» وقال: «رواه أبو نعيم بنحوه عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. وأورد له روايات أخرى، ونقل قول الدارقطني أن طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت. وقال النووي في خطبة أربعينه: وافق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه. كشف الخفا رقم ٢٤٦٥.

(٢) تقدمت ترجمة شمس الدين السخاوي في الصفحة ٨٨.

(٣) عيسى بن أبان، فقيه العراق، تلميذ محمد بن الحسن وقاضي البصرة، حدث عن إسماعيل بن جعفر، وهشيم، ويحيى بن أبي زائدة، وله تصانيف. كان مفرط الذكاء سخياً جواداً توفي سنة ٢٢١ هـ وعنه أخذ بكار بن قتيبة. سير أعلام النبلاء ١٠/٤٤٠، وانظر تاريخ بغداد ١١/١٥٧، والجواهر المضية ١/٤٠١.

(٤) انظر ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

(٥) انظر ترجمة الثوري في الصفحة ٥٠.

ابن خدّاش، ثنا حماد بن زيد، قال سفيان الثوري: «لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير» صدق والله. وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه، وأنت لاتقلّيه، ولاتبحث عن ناقله، ولاتدين الله به.

أما اليوم في زماننا فما يفيد المحدث الطلب والسماع. ومقصود الحديث أبداً التدين به، بل فائدة السماع ليروي، فهذا والله لغير الله.

خطابي معك يامحدث، لا مع من يسمع ولا يعقل، ولا يحافظ على الصلاة، ولا يجتنب الفواحش، ولا فرّ عن الخسائس، ولا يحسن أن يصدق. فيا هذا لاتكن مجرماً مثلي، فلإنا نحسن أبغض المناحيس.

فطالب الحديث اليوم ينبغي له أولاً أن ينسخ الجمع بين الصحيحين^(١)، وأحكام عبد الحق^(٢) والضياء^(٣). ويدمن النظر فيها، ويكثر من تحصيل تواليف البيهقي، فإنها نافعة. ولا أقل من تحصيل مختصر كالإمام^(٤) ودرسه، فإيش

(١) جمع الصحيحين أكثر من عالم من علماء الحديث كحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦) ومحمد بن عبد الرزاق الجوزقي النيسابوري (ت ٣٨٨) وعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت ٥٨٢) ومحمد إسماعيل بن أحمد السرخسي المعروف بابن القرات (ت ٤١٤) وأحمد بن محمد القرطبي المعروف بابن أبي حجة (ت ٦٤٢) وأحمد بن محمد البرقاني، وإبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي وهؤلاء رتبوا جمعهم على المسانيد دون الأبواب وأما الحافظ محمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي (ت ٤٨٨) فرتبه على حسب فضل الصحابي الراوي. وقد زاد عليه ألفاظاً وتتمات ليست من أحد الصحيحين جاء بهذه الزيادة من كتب اعتنى أصحابها بالصحيح. كشف الظنون ٥/١.

(٢) كتاب الأحكام الكبرى في الحديث لعبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي (ت ٥٨٢هـ) وهو كتاب كبير في ثلاثة مجلدات انتقاه من كتب الأحاديث. كشف الظنون ٤٥/١.

(٣) كتاب الأحكام في فقه الحنابلة لضيء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ الحنبلي (ت ٦٤٣) وهو كتاب كبير في ثمانية مجلدات. كشف الظنون ٤٦/١.

(٤) لعله الإمام في أحاديث الأحكام للشيخ تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ وقد مرت ترجمته في الصفحة ٤٨. قال في كشف الظنون (١١٤/١): جمع في كتابه هذا متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام مجردة عن الأسانيد ثم شرّحه وبرّع فيه وسماه الإمام، قيل إنه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه لما فيه من الاستنباطات والفوائد ولكنه لم يكمله. وذكر البقاعي في حاشية الألفية أنه أكمله، ثم لم يوجد بعد موته منه إلا القليل، فيقال إن بعض الحسدة أعدمه؛ لأنه كتاب جليل القدر، لو بقي لأغنى الناس عن تطلب كثير من الشروح. انتهى. ومن شرّحه شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢) ولخصه قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي (ت ٧٣٥) وسماه الاهتمام بتلخيص كتاب الإمام وشمس الدين محمد بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٧٤٤) لخصه أيضاً وسماه المحرر، وعلى هذا الملخص =

السماع على جهلة الشيوخ الذين ينامون، والصبيان يلعبون، والشبية يمزحون ويتحدثون، وكثير منهم ينعمسون ويكابرون، والقارئ يصحف، والرضع يتضاغون^(١). بالله خلّونا، فقد بقينا ضحكة لأولي المعقولات، يطنزون^(٢) بنا، ويقولون: أهؤلاء هم أهل الحديث!

وقال في موضع آخر، وقد نقل عن سفيان الثوري^(٣) أنه قال: «ليس طلب الحديث من عدة الموت، ولكنه علة يتشاغل به الرجال مانصه». لقد صدق فيما قال؛ لأن طلب الحديث، شيء غير الحديث.

وطلب الحديث أمر عرفي لأمر زائدة على تحصيل ماهية الحديث. وكثير منها يرقى إلى العلم وأكثرها أمور يُشغَفُ بها المحدثون من تحصيل النسخ المليحة، وتطلبُ الإسناد العالي، وتكثير الشيوخ، والفرح بالألقاب، وتمني العمر الطويل ليروي، وحب الانفراد إلى أمور عديدة لازمة للأمراض النفسانية، لا للأعمال الربانية. فإذا كان طلبك للحديث محفوفاً بهذه الآفات، فمتى خلاصك منها إلى الإخلاص! وإذا كان علم الآثار مدموماً، فما ظنك بعلوم الأوائل^(٤)، التي تنكّب^(٥) الإيمان، وتورث الشكوك التي لم تكن واللّه في عصر الصحابة والتابعين، بل كانت علومهم القرآن والحديث والفقه انتهى.

وقال الإمام أبو شامة^(٦): «علوم الحديث الآن ثلاثة: أشرفها حفظ متونه،

= شرح القاضي جمال الدين يوسف بن حسن الحموي (ت ٨٠٩) ولخص الإمام أيضاً علاء الدين علي بن بلبان (ت ٧٣١).

(١) ضغا الذئب والسنور والشعلب صوت وصاح، وكذلك الكلب والحية، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضرب فاستغاث. وقالوا: رأيت صبياناً يتضاغون إذا تباكوا لسان العرب: ضغا.

(٢) طنّز يطنّز كلمه باستهزاء. قال الجوهري أظنه مولداً أو معرباً والطنّز: السخرية. لسان العرب: طنّز.

(٣) مرت ترجمة سفيان الثوري في الصفحة ٥٠.

(٤) المقصود بها الفلسفة وعلم الكلام والفلك.

(٥) نكبه الدهر ينكبه: بلغ منه وأصابه بنكبة لسان العرب: نكب.

(٦) عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي أبو شامة المقدسي، مؤرخ محدث باحث أصله من القدس ولد بدمشق ونشأ بها وولي فيها مشيخة دار الحديث الأشرفية. دخل عليه اثنان بصورة مستفتيين فضرياه فمرض ومات بدمشق سنة ٦٦٥ هـ وقبره معروف بها له آثار عديدة منها الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية وعليه ذيل ومختصر تاريخ ابن عساكر ٥ مجلدات وتاريخان لدمشق أحدهما كبير في ١٥ مجلداً والآخر صغير في ٥ مجلدات وغير ذلك. الأعلام ٢٩٩/٣، وانظر أيضاً فوات الوفيات ٢٥٢/١، بغية الدعاة ٢٩٧ البداية والنهاية ٢٥٠/١٣، طبقات الشافعية ٦١/٥.

ومعرفة غريبها وفقهها. والثاني حفظ أسانيدها، ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها، وهذا كان مهماً، وقد كُفِيَ المشتغل بالعلم بما صُنّف وألّف في ذلك، فلا فائدة تدعو إلى ما هو حاصل. الثالث جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه، وطلب العلوّ فيه، والرحلة بسببه إلى البلدان.

والمشتغل بهذا مشتغل بما هو الأهم من علومه النافعة، فضلاً عن العمل به الذي هو المطلوب الأول. قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(١). إلا أن هذا لا بأس به للبطّالين، لما فيه من إبقاء سلسلة العناية المتصلة بأشرف البشر صلى الله عليه وسلم، فهي من خصائص هذه الأمة. قال: وما يزهّد في ذلك أن فيه يتشارك الصغير والكبير، والمعدم والغنا، والجاهل والعالم. وقد قال الأعمش^(٢): «حديث يتداوله الفقهاء خير من حديث يتداوله الشيوخ». ولام إنسان أحمد في حضور مجلس الشافعي وتركه مجلس سفيان بن عيينة^(٣)، فقال له أحمد: «اسكت، فإن فاتك حديث بعلو، تجده بنزول ولا يضررك. وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف ألا تجده». وقد سئل ابن حجر^(٤) عن رجل اشتغل بعلم الحديث، وقرأ فيه على أهله من أصوله، وبحثه، وفهمه فهماً ودراسة، ومارس أهله، وحضر مجالسهم، هل يقدم له ذلك مقام علو السند، ويبلغ بعلو درجته في الفن درجة المرتفعين بعلو السند وكثرة المسموعات والمقروءات، وأيهما أولى بأن يؤخذ عنه ويقرأ عليه؟ فأجاب: «لا يكون محدثاً في الاصطلاح إلا من

(١) الذاريات، ٥٦.

(٢) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش، تابعي مشهور، أصله من بلاد الري، نشأ بالكوفة وتوفي بها سنة ١٤٨ هـ كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحواً من ١٣٠٠ حديث قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح. وقال السخاوي: لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره. الأعلام ٣/ ١٣٥ نقلًا عن طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٨، وفيات الأعيان ١/ ٢١٣، تاريخ بغداد ٣/ ٩ وغيرها.

(٣) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم المكي من الموالى ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز وكان أعور حج سبعين سنة. له كتاب في التفسير وكتاب الجامع في الحديث. سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤، الأعلام ٣/ ١٠٥ نقلًا عن تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٢، الرسالة المستطرفة ٣١ صفة الصفوة ٢/ ١٣٠ ابن خلكان ١/ ٢١٠ ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٧، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠، تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤.

(٤) مرت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨.

عرف الأمرين ومارس الفنين. وأما من اقتصر على أحدهما كمن اقتصر على المرويات ومارس القراءة والسماع ورحل في ذلك للقاء الأشياخ، وحصل من ذلك ما يطلق عليه اسم الاستكثار عُرْفاً، وأهمل مع ذلك معرفة الاصطلاح بحيث لا يصلح أن يدرسه ويفيده، فهذا يقال له مسند وراو. وقد يطلق عليه اسم محدث بالنسبة إلى من جمع الأمرين، إنما يقال له ذلك مجازاً، وإن اقتصر على معرفة الاصطلاح المتعلق بالأنواع حتى فهمه وصلح أن يدرسه ويفيده فهذا يقال له عالم بعلوم الحديث، ولا يسمى محدثاً أصلاً، ولا يرجح ماعنده من رواته على رواية الأول إذا كان أعلى سنداً، إلا إن حصلت السلامة منه غالباً من الخطأ في الإعراب».

وأما الخطأ في أسماء الرواة فلا يأمن منه غالباً إلا من أكثر القراءة والسماع، ومارس ذلك، وأكثر منه، وإلا فهو شيء لا يدخله القياس، فيقابل خطأ هذا في الأسماء بخطأ هذا في الكلمات إن اتفق وقوع ذلك من كل منهما. وبقي للراوي علو الرواية، فيتقدم بها. وأما من جمع الأمرين فهو الكامل.

وأقل ما يكفي من يريد قراءة الحديث أن يعرف من العربية ألا يلحن، ويمارس أسماء الرجال بحيث يأمن التصحيف فيها ويكون له ملكة في قراءة الخطوط ولو تنوعت. ومن قصر في واحد من الثلاثة أثر فيه تأثيراً ظاهراً، ومن زاد بحيث كانت له معرفة بشيء من معاني الحديث كان أرفع درجة. انتهى.

والمنقول عن المتقدمين في سعة الحد فيمن يسمى محدثاً كقول أبي بكر بن أبي شيبه^(١) الذي ساقه أبو سعد بن السمعاني^(٢) في (أدب الإملاء والاستملاء)

(١) عبد الله بن محمد بن أبي شيبه العبسي مولا هم، الكوفي، أبو بكر، حافظ للحديث له فيه كتب منها المسند والمصنف في الأحاديث والآثار (٥ أجزاء) وغيرهما توفي سنة ٢٣٥ هـ الأعلام ١١٨/٤ عن الرسالة المستطرفة ١٣ وتاريخ بغداد ٦٦/١٠ وتذكرة الحفاظ ١٨/٢.

(٢) هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث مولده بمرور وفاته فيها سنة ٥٦٢ هـ رحل إلى أقاصي البلاد ولقي العلماء والمحدثين وأخذ عنهم وأخذوا عنه نسبته إلى سمعان بطن من تميم ومن كتبه المشهورة الأنساب وتاريخ مرو (أكثر من ٢٠ جزءاً) وتذيل تاريخ بغداد للخطيب والتحبير في المعجم الكبير وفرط الغرام إلى ساكني الشام (٨ أجزاء) وغير ذلك الأعلام ٥٥/٤ وانظر طبقات السبكي ٢٥٩/٤ ومفتاح السعادة ٢١١/١ ووفيات الأعيان ٣٠١/١ والنجوم الزاهرة ٥٦٣/٥ =

بإسناده إلى أبي زرعة الرازي^(١)، قال: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة يقول: «من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء لم يعد صاحب حديث»^(٢). ونحوه مافي (الكامل) لابن عدي^(٣) من جهة التقيلي^(٤)، قال: سمعت هُشَيْمًا^(٥) يقول: «من لم يحفظ الحديث فليس هو من أصحاب الحديث، حتى يجيء أحدهم بكتاب يحمله كأنه سجل مكاتب»^(٦): هو كما قال الحافظ أبو الفتح بن سيّد الناس^(٧): بحسب أزمتههم. وأبلغ منه ما يروى عن جماعة من السلف رحمة الله عليهم أنهم تحروا فلم يطلقوا اسم المحدث إلا على من كان يستعمل الحديث.

= وتذكرة الحفاظ ١٠٧/٤. وأما كتابه أدب الإملاء والاستملاء فهو من الكتب اللطيفة تحدث فيه عن تاريخ إملاء الحديث الشريف في زمنه ومجالسه وأداب الشيوخ وآداب الطلاب وأخبار للمجالس الحديثية وآداب الكاتب وأدوات الكتابة، وقد طبع الكتاب سنة ١٩٥٢م في لندن.

(١) أحمد بن الحسين بن علي الرازي الصغير الحافظ، إمام حافظ رحالة صدوق كان واسع الرحلة جيد المعرفة وله تصانيف. رحل إلى بغداد وهو حدث سنة ٣٢٤ ومات بطريق مكة سنة ٣٧٥. سير أعلام النبلاء ٤٦/١٧ وانظر أيضاً تاريخ بغداد ١٠٩/٤، تذكرة الحفاظ ٩٩٩/٣، النجوم الزاهرة ١٤٧/٤، طبقات الحفاظ ٣٩٦، شذرات الذهب ٨٤/٣.

(٢) أدب الإملاء والاستملاء ص ١١ ط لندن ١٩٥٢م.

(٣) عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني أبو أحمد المعروف بين علماء الحديث بابن عدي علامة بالحديث ورجاله، أخذ عن أكثر من ألف شيخ وكان يعرف في بلده بابن القطان، له كتب في الحديث، وكان ضعيفاً في العربية يلحن أحياناً وهو من الأئمة الثقات في الحديث توفي سنة ٣٦٥هـ الأعلام ١٠٣/٤، سير أعلام النبلاء ١٦/١٥٤. وأما كتابه المذكور فأورده، حاجي خليفة باسم: الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة قال إنه ٦٠ جزءاً. وقال عنه: وهو أكمل كتب الجرح والتعديل وعليه اعتماد الأئمة، قال السبكي: طابق اسمه معناه ووافق لفظه فحواه بصحته حكم للحكمون وبما قال رضي المتقدمون والمتأخرون وقال حمزة السهمي سألت الدارقطني أن يصنف كتاباً فقال كتابي لا يزيد عليه وقال الحافظ ابن عساكر: كتاب ابن عدي ثقة على لحن فيه. قال الذهبي: وأما في العلل والرجال فابن عدي حافظ لا يجارى. كشف الظنون ٢/١٣٣. وطبع الكتاب في بيروت طبعين كل منهما في ستة أجزاء سنة ١٤٠٤ وستة ١٤٠٥ باسم الكامل في ضعفاء الرجال.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي بن ثعلب بن زراع النخيلي روى عن هشيم وغيره، حافظ ثقة توفي سنة ٢٣٤هـ. تهذيب التهذيب ١٦/٦.

(٥) هُشَيْم بن بشير السلمي أبو معاوية الواسطي، محدث ثقة. تاريخ بغداد ١٤/٨٥، الفهرست ٣٣٢، ميزان الاعتدال ٤/٣٠٦.

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال ١٠٦/١ ط بيروت ١٤٠٥.

(٧) مرت ترجمة ابن سيّد الناس في الصفحة ٨٦.

ومن نص على ذلك الإمام أحمد، فذكر ابن السمعاني في كتابه المذكور أن أبا القاسم البغوي^(١) - وناهيك به، لكن كان ذلك في ابتداء أمره - قال: «سألت الإمام أبا عبد الله أحمد بن حنبل يكتب لي كتاباً إلى سويد بن سعيد الحدثاني^(٢)، فكتب: هذا رجل يكتب الحديث. فقلت: يا أبا عبد الله، لو قلت: من أهل الحديث! فقال: أهل الحديث عندنا من يستعمل الحديث»^(٣).

وذكر الخليلي^(٤) في (الإرشاد) بسنده إلى الدوري، قال: «كتب لي يحيى بن معين^(٥) وأحمد بن حنبل، إلى أبي داود الطيالسي^(٦) كتاباً، فقالا فيه: إن هذا مما يكتب الحديث. وماقالا: إنه من أهل الحديث».

وقال الإمام أبو يحيى زكريا الساجي في كتابه^(٧) (اختلاف الفقهاء): «حدثنا

(١) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أبو القاسم البغوي، حافظ، أصله من بغشور والنسبة إليها بغوي وتقع بين هراة ومرو الروذ ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٣١٧ هـ كان محدث العراق في عصره. وله كتاب معجم الصحابة وغير ذلك. الأعلام ١١٩/٤ وانظر معجم البلدان: بغشور، وميزان الاعتدال ٧٢/٢، ولسان الميزان ٣٣٨/٣، وتاريخ بغداد ١١٠/١، والرسالة المستطرفة ٥٨. وسير أعلام النبلاء ١٤/٤٤٠.

(٢) سويد بن سعيد بن سهل الحدثاني أبو محمد الأنباري سكن الحديثة بلدة على الفرات تحت غابة فوق الأنبار روى عن جماعة منهم مالك وحفص بن ميسرة ومسلم بن ميسرة وثقه جماعة وضعفه آخرون. قال البخاري مات سنة ٢٤٠. تهذيب التهذيب ٤/٢٣٩، سير أعلام النبلاء ١١/٤١٠.

(٣) أدب الإملاء والاستملاء ص ١١٠ ط ليدن ١٩٥٢.

(٤) خليل بن عبد الله بن أحمد أبو يعلى الخليلي، قاض حافظ سير أعلام النبلاء ١٧/٦٦٦، الرسالة المستطرفة ٩٧. وكتابه الإرشاد في علماء البلاد ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه.

(٥) يحيى بن معين بن عون المري بالولاء البغدادي، أبو زكريا ولد بقرية نقياً قرب الأنبار وكان أبوه على خراج الري، خلف له ثروة كبيرة أنفقها في طلب الحديث. مؤرخ حافظ، سماه الذهبي سيد الحفاظ وقال عنه العسقلاني إنه إمام الجرح والتعديل وقال الإمام أحمد بن حنبل: أعلمنا بالرجال. وكتب ألف ألف حديث، له معرفة الرجال والتاريخ والعلل في الرجال عاش ببغداد وتوفي بالمدينة حاجاً سنة ٢٣٣ سير أعلام النبلاء ١١/٧١ والأعلام ٨/١٧٢ نقلاً عن تاريخ بغداد ١٤/١٧٧، طبقات الختابة ٢٦٨ وفيات الأعيان ٢/٢١٤ وغيرها.

(٦) سليمان بن داود بن الجارود مولى قریش أبو داود الطيالسي من كبار حفاظ الحديث فارسي الأصل سكن البصرة وتوفي فيها سنة ٢٠٤ هـ وكان يحدث من حفظه، سَمِعَ يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر، وله المسند المعروف، جمعه بعض الحفاظ الخراسانيين. الأعلام ٢/١٢٥ عن تاريخ بغداد، معجم المطبوعات ٣١٠، الباب ٩٦/٢. وانظر سير أعلام النبلاء ٩/٣٧٨.

(٧) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الضبي البصري الساجي، أبو يحيى، محدث البصرة في عصره، كان من الحفاظ الثقات، له كتاب علل الحديث، وكتاب اختلاف الفقهاء المذكور، توفي بالبصرة سنة ٣٠٧ هـ. الأعلام ٣/٤٧ عن الرسالة المستطرفة ١١١ وغيرها. وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/١٩٧.

أحمد بن محمد^(١)، سمعت يحيى بن معين يقول: يحتاج المحدث إلى أربع خلال: الشهرة بطلب العلم، والبراءة من البدع، ويكون صدوقاً، ولا يعمل بشيء من الكبائر. فمن كانت هذه صفته فهو محدث. إذا علم هذا فقد قال النووي -وناهيك به من إمام ديانة وورعاً وعلماً- في (زوائد الروضة)^(٢)، في باب الوقف «والمراد بأصحاب الحديث الفقهاء الشافعية، وبأصحاب الرأي الفقهاء الحنفية» انتهى.

إلا أن كثيراً من أصحابه يجهد نفسه في تهجي الأسماء والمتون وكثرة السماع من غيرهم لما يقرأه، ولا تتعلق فكرته بأكثر من: إني حصلت جزء ابن عرفة عن سبعين شيخاً، [و] جزء الأنصاري عن كذا كذا شيخاً، [و] جزء البطاقة نسخة أبي مسنهر^(٣)، وأنحاء ذلك. وإنما كان السلف يسمعون فيعون فيقرؤون، ويحفظون فيعلمون.

وفي كلام الذهبي^(٤) في وصيته لبعض المحدثين من هذه الطائفة: «ماخط واحد من هؤلاء إلا أن يسمع ليروي فقط. فليعاقب بـتقيض قصده، وليشهره الله

(١) روى عن يحيى بن معين بهذا الاسم اثنان أحدهما؛ أحمد بن محمد بن عبيد الله التمار، أبو الحسن المقرئ (انظر تاريخ ابن عساكر) والثاني أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز (تهذيب التهذيب).

(٢) مرت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤. وكتابه الروضة في فروع الفقه الشافعي اختصره من شرح الوجيز للرافعي. كشف الظنون ٢/٤١٣. ثم زاد فيها تصحيحات واختيارات في أربعة أجزاء. المنهل العذب الروي للسخاوي ط المدينة المنورة ص ٥٧.

(٣) الجزء عند المحدثين: تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم. ومن الأجزاء جزء ابن عرفة وهو أبو علي الحسن بن يزيد العبيدي البغدادي المعمر المتوفى سنة ٢٥٧ وقد جاوز المائة وجزء الأنصاري وهو الأنصاري هو محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي أبو عبد الله وهو شيخ البخاري وكان ثقة توفي سنة ٢١٥ وهو من الأجزاء العالية. وجزء البطاقة من إملأه أبي القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكتاني المصري الحافظ المتوفى سنة ٣٥٧ رواه عنه أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحراني المصري الصواف المتوفى سنة ٤٤١ هـ الرسالة المستطرفة ٨٦ - ٩٠ ط بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦ م وأبو مسهر هو عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي، من حفاظ الحديث، كان شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس وأنساب الشاميين امتحنه الخليفة المأمون وهو في الرقة وأكرهه على القول بخلق القرآن فامتنع فوضعه في النطع فمد رأسه وجرد السيف فأبى أن يعجب، وقيل أجاب فلم يرض المأمون إجابته، فحمل إلى السجن ببغداد، فمات سنة ٢١٨ هـ بعد مائة يوم قضاها فيه. الأعلام ٣/٢٦٩، عن تذكرة الحفاظ ١/٣٤٦، تهذيب التهذيب ٦/٩٨، تاريخ بغداد ١١/٧٢.

(٤) سبقت ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

بعد أن ستره مرات ، وليَبْقَيْنَ مُضْغَةً فِي الْأَلْسِنِ ، وَعِبْرَةٌ بَيْنَ الْمَحْدِثِينَ ، ثُمَّ لِيُطْبَعَنَّ
 اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ» ثُمَّ قَالَ : «فَهَلْ يَكُونُ طَالِبٌ مِنْ طُلَّابِ السُّنَّةِ يَتَهَاوَنُ بِالصَّلَوَاتِ أَوْ
 يَتَعَانَى تِلْكَ الْقَاذُورَاتِ . وَأَنْحَسَ مِنْهُ مُحَدِّثٌ يَكْذِبُ فِي حَدِيثِهِ ، وَيَخْتَلِقُ
 الْقُشَارَ^(١) . فَإِنْ قَوِيَتْ هِمَّتُهُ وَأَلْقَتْهُ إِلَى الْكَذْبِ وَالتَّزْوِيرِ فِي الطَّبَاقِ فَقَدْ اسْتَرَحَ .
 وَإِنْ تَعَانَى سَرَقَةَ الْأَجْزَاءِ أَوْ كَشَطَ الْأَوْقَافِ فَهَذَا لَصٌّ بِسَمْتِ مُحَدِّثٍ ، فَإِنْ كَمَلَ
 نَفْسُهُ بَتْلُوطٍ أَوْ قِيَادَةٍ فَقَدْ تَمَّتْ لَهُ الْإِفَادَةُ . وَإِنْ اسْتَعْمَلَ مِنَ الْمَعْلُومِ قَسْطاً فَقَدْ أَزْدَادَ
 مَهَانَةً وَحَبْطاً^(٢) . إِلَى أَنْ قَالَ : فَهَلْ مِثْلُ هَذَا الضَّرْبِ خَيْرٌ ! لَا كَثُرَ اللَّهُ مِنْهُمْ .
 وَبَعْضُهُمْ :

إِنَّ الَّذِي يَرُوي وَلَكِنَّهُ يَجْهَلُ مَا يَرُوي وَمَا يَكْتُبُ
 كَصَخْرَةٍ تَنْبُعُ أَمْوَاهُهَا تَسْقِي الْأَرْضِي وَهِيَ لَا تَشْرَبُ
 وَقَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ فِي الْوَاحِدِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ : «إِنَّهُ قَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُخْبِرَةِ ،
 يَمْشِي وَمَعَهُ أَوْرَاقٌ وَمُحْبَرَةٌ ، مَعَ أَجْزَاءٍ يَدُورُ بِهَا عَلَى شَيْخٍ عَجُوزٍ ، لَا يَعْرِفُ مَا يَجُوزُ
 مِمَّا لَا يَجُوزُ» شَعْرُ :

وَمُحَدِّثٌ قَدْ صَارَ غَايَةً عِلْمِهِ أَجْزَاءُ يَرُويهَا عَنِ الدِّمِيَّاطِيِّ^(٣)

(١) قَالَ الْفَيْرُوزِيَادِيُّ : الْقُشَارُ : الَّذِي تَسْتَعْمَلُهُ الْعَامَّةُ بِمَعْنَى الْهَذْيَانِ ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ :
 فُشِّرَ .

(٢) حَبَطَتِ الدَّابَّةُ حَبْطاً بِالتَّحْرِيكِ : إِذَا أَصَابَتْ مَرْعَى طَيِّباً ، فَأَفْرَطَتْ فِي الْأَكْلِ حَتَّى تَتَفَنَّقَ فَنَمُوتَ . ذَكَرَ ذَلِكَ فِي
 النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ : حَبَطَ فِي مَعْرِضٍ شَرَحَهُ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَأَنْ مِمَّا يَنْبَغُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ
 حَبْطاً» وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ : إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِثْلُ الْحَرِيصِ وَالْمَفْرُطِ فِي الْجَمْعِ وَالْمَنْعِ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبِيعَ يَنْبَغُ أَحْوَارُ
 الْعُشْبِ الَّتِي تَحُلُو لَهَا الْمَاشِيَةُ فَتَسْتَكْثِرُ مِنْهَا حَتَّى تَتَفَنَّقَ بِطَوْنِهَا وَتَهْلِكَ ، ذَلِكَ مِثْلُ الَّذِي يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَيَحْرُصُ
 عَلَيْهَا . لِسَانُ الْعَرَبِ : حَبَطَ .

(٣) هُوَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلْفِ الدِّمِيَّاطِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ شَرَفُ الدِّينِ ، حَافِظٌ ، مِنْ أَكْبَارِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَلَدَ بِدِمِيَّاطٍ ، وَتَنَقَّلَ فِي
 الْبِلَادِ ، وَتَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٧٠٥ هـ . كَانَ مَلِيحَ الْهَيْئَةِ ، حَسَنَ الْخَلْقِ ، بِسَاماً ، فَصِيحاً ، لُغَوِيّاً ، مُقَرَّئاً ، جَيِّدَ
 الْعِبَارَةِ ، كَبِيرَ النَّفْسِ ، مُفِيداً فِي الذَّاكِرَةِ . قَالَ الْمِزِّي : مَا رَأَيْتُ أَحْفَظَ مِنْهُ . لَهُ مَعْجَمٌ لَشَيْخِهِ وَهُوَ نَحْوُ ١٣٠٠ فِي
 ٤ مَجْلَدَاتٍ وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ . الْأَعْلَامُ ٣١٨/٤ ، عَنْ قَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ ١٧/٢ ، وَالرِّسَالَةُ الْمُسْتَطَرَفَةُ ١٠٣ ، الْبَدَايَةُ
 وَالنِّهَايَةُ ٤٠/١٤ ، طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ ١٠/٤ ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ١٢/٦ ، الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٤١٧/٢ ، وَانْظُرْ سِيرَ
 أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٨٠/١٥ .

وفلانٌ تروي حديثاً عالياً وفلانٌ يروي ذاك عن أسباط^(١)
والفرق بين عزيزهم وعزيرهم وافصح عن الخياط والخنّاط
وأبو فلان ما اسمه؟ ومن الذي بين الأنام ملقب بسنّاط؟
وعلومٌ دينٍ الله نادى جهرّة هذا زمانٌ فيه طيُّ بساطي

[٤٨] - منصب الحفاظ

قد روينا عن الحافظ الثقة الحجة أبي بكر الخطيب البغدادي^(٢) مائنه: «إنّ من صفات الذي يجوز إطلاق هذا اللفظ في تسميته أن يكون عارفاً بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بصيراً بطرقها، مميزاً لأسانيدھا، يحفظ منها ما أجمع أهل المعرفة على صحته، وما اختلفوا فيه للاجتهاد في حال نقلته، يعرف فرق ما بين قولهم: فلان حجة، فلان ثقة، ومقبول، ووسط، ولا بأس به، وصدوق، وصالح، وشيخ، ولين، وضعيف، ومتروك، وذهب الحديث، وتمييز الروايات في تغاير العبارات نحو: فلان، وأن فلاناً، ويعرف اختلاف الحكم في ذلك، بين أن يكون المسمى صحابياً، أو تابعياً، والحكم في قول الراوي: قال فلان، وعن فلان، وأن ذلك غير مقبول من المدلسين دون إثبات السماع على اليقين، ويميز الألفاظ التي أدرجت في المتن، فصارت بعضها، لاتصالها بها، ويكون قد أمعن النظر في حال الرواة بمعانة علم الحديث دون سواه؛ لأنه علم لا يعلق إلا لمن وقف نفسه عليه، ولم يضم غيره من العلوم إليه».

(١) اشتهر بهذا الاسم اثنان أحدهما أسباط بن نصر الهمداني الكوفي، أبو يوسف، مفسر من رجال الحديث، خرّج له البخاري في تاريخه ومسلم والأربعة، وتوقف الإمام أحمد في الرواية عنه توفي سنة ١٧٠ هـ. الأعلام ٢٨٢/١ عن تهذيب التهذيب ٢١١/١، شذرات الذهب ٢٧٩/١، الجمع بين رجال الصحيحين ٤٦، الكنى والأسماء ١٦٠/٢. وهناك أسباط بن محمد بن أبي نصر القرشي الكوفي، أبو محمد، إمام محدث، وثقة جماعة، وضعفه آخرون، له ٣ آلاف حديث. توفي سنة ٢٠٠ هـ سير أعلام النبلاء ٣٥٥/٩، طبقات ابن سعد ٣٩٣/٦، شذرات الذهب ٣٥٨/١.
(٢) مرت ترجمة الخطيب في الصفحة ٨٦.

ثم ساق أن الشافعي مربيوسف بن عمرو بن يزيد وهو يذكر شيئاً من الحديث ، فقال : يايوسف ، تريد أن تحفظ الحديث وتحفظ الفقه ! هيهات .

قال السخاوي^(١) : وأخبرني الشيخ أبو محمد اللخمي شفاهاً بمكة حرسها الله تعالى ، عن أبيه ، عن أبي الفتح بن سيد الناس اليعمري^(٢) الحافظ ، قال - وقد سأله الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبيك^(٣) عن حدّ المحدث والحافظ - مانصّه : المحدث في عصرنا ، وساق ما أسلفته عنه . ثم قال : « فإن انبسط في ذلك ، وعرف أحوال من تقدمه [من] شيوخه ، وشيوخهم ، وشيوخ شيوخهم ، طبقة طبقة ، بحيث تكون السلامة من الوهم في المشهورين غالبية عليه ، ويكون ما يعلمه من أحوال الرواة في كل طبقة أكثر مما يجهله ، فهو حافظ » .

وأنبأني الإمام أبو محمد النحوي ، عن أبي حفص الدمشقي ، أنه سمع الحافظ أبا الحجاج المزني^(٤) وقد سئل عن الحدّ الذي إذا انتهى إليه الرجال جاز أن يطلق عليه الحافظ ؟ فأجاب : بأنه يرجع إلى أهل العرف . فقيل له : وأين أهل العرف ؟ قال : هم قليل ، لكن أقل شيء أن تكون الرجال الذين نعرفهم ، ونعرف تراجمهم وأحوالهم وبلدانهم ، أكثر من الذين لانعرفهم ، ليكون الحكم للغالب . فقيل له : إن هذا عزيز في الزمان ، فهل أدركت أحداً كذلك ؟ فقال : مارأينا مثل الشيخ شرف الدين ، يعني الدمياطي^(٥) . ثم قال : وابن دقيق العيد^(٦) كان له في هذا مشاركة جيدة ، ولكن أين الثريا من الثرى ! فقيل له : هل كان يصل إلى هذا الحد ؟ فقال :

(١) مرت ترجمة السخاوي في الصفحة ٨٨ .

(٢) مرت ترجمة ابن سيد الناس في الصفحة ٨٦ .

(٣) أحمد بن إبيك بن عبد الله ، أبو الحسين ، شهاب الدين الحسامي الدمياطي ، مؤرخ محدث . سمع في القاهرة والاسكندرية ودمشق ومات بالطاعون بمصر سنة ٧٤٩هـ . الأعلام ١٠٢/١ وانظر الدرر الكامنة ١٠٨/١ .

(٤) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج المزني محدث ولغوي ، ولد بظاهر حلب ونشأ بالمرّة - من ضواحي دمشق - وتوفي بدمشق ٧٤٢هـ ، صنف كتباً منها تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، والمنتقى من الأحاديث . الأعلام ٣١٣/٩ عن فهرس الفهارس : ١٠٧ : ١ ، والقلائد الجوهريّة ٣٢٩ ، والدرر الكامنة ٤٥٧ : ٤ وغيرها .

(٥) مرت ترجمة شرف الدين الدمياطي في الصفحة ٩٨ .

(٦) مرت ترجمة ابن دقيق العيد في الصفحة ٤٨ .

ماهو إلا إذا كان يشارك مشاركة جيّدة في هذا، أعني الأسانيد. وكان في المتون أكثر لأجل الفقه والأصول.

وقرأت بخط ابن حجر^(١) مانصه: «للأئمة شروط إذا اجتمعت في الراوي سموه حافظاً، وهي: الشهرة بالطلب، والأخذ من أفواه الرجال، لا من الصحف، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم، والمعرفة بالجرح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره، مع استحضار الكثير من المتون. فهذه الشروط إذا اجتمعت في الراوي سموه حافظاً». ولشيخه حافظ الوقت^(٢) في ذلك كلام حسن؛ كتب به إليه، وقد سأله عن الحدّ الذي إذا بلغه الطالب في هذا الزمان الآخر استحق أن يسمّى حافظاً، وهل يُتسامح بنقص بعض الأوصاف التي ذكرها الحافظان أبو الحجاج^(٣) وأبو الفتح^(٤) في ذلك لنقص الزمان أم لا؟. فأجابه بما نصّه كما قرأته من خطّه: «الاجتهاد في ذلك مختلف باختلاف غلبة النظر، في وقت بلوغ بعضهم الحفظ، وغلبته في وقت آخر، وباختلاف من يكون كثير المخالطة، للذي نصفه لذلك أو قليل المخالطة. ومن ذلك اختلاف المتقدمين أيضاً في التوثيق والتجريح حتى يقع من الشخص الواحد اختلاف في توثيق واحد، أو جرحه، كالإمام أحمد، ويحيى بن معين^(٥)، وابن حبان^(٦). فذكر جماعة في الضعفاء وذكرهم في الثقات، وقد يتساهل

(١) مرت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨.

(٢) هو الحافظ العراقي عبد الرحيم بن حسين المتوفى سنة ٨٠٦هـ وقد مرت ترجمته في الصفحة ٢٧ وقد سماه بحافظ الوقت الإمام الأسنوي، كما ذكر تلميذه ابن حجر في مرثيته له. إنباه الرواة ٢/٢٧٩.

(٣) مرت ترجمة أبي الحجاج المزني في الصفحة ٩٩.

(٤) مرت ترجمة أبي الفتح بن سيد الناس في الصفحة ٨٦.

(٥) مرت ترجمة يحيى بن معين في الصفحة ٩٥.

(٦) محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي ويقال له ابن حبان، مؤرخ جغرافي محدث قاض، ولد في بلدة بست من بلاد سجستان وتنقل في الأقطار فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة وتولى قضاء سمرقند مدة ثم رجع إلى نيسابور ومنها إلى بلده حيث توفي سنة ٣٥٤هـ كان أحد المكثرين في التصنيف وأخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره وكانت الرحلة إلى خراسان لأجل مصنفاته. جمع مؤلفاته في دار خاصة بها في بست ووقفها على المطالعين وقرئ عليه أكثرها. سير أعلام النبلاء ١٦/٩٢، الأعلام ٦/٧٨ نقلاً عن معجم البلدان ٢/١٧١ وشذرات الذهب ٣/١٦ وطبقات السبكي ٢/١٤١، لسان الميزان ٥/١١٢، مرآة الجنان ٢/٣٥٧، ميزان الاعتدال ٣/٣٩، تذكرة الحفاظ ٣/١٢٥.

بعضهم في التوثيق، كالحاكم^(١)، وابن حبان. وقد يشدد إماماً باعتبار اشتراط أوصاف لم يشترطها بعضهم. وكلام الحافظ أبي الحجاج المزني^(٢) في ذلك فيه ضيق؛ بحيث إنه لم يسم ممن رآه بهذا الوصف إلا الدمياطي^(٣). وأما كلام أبي الفتح اليعمري^(٤) فهو أسهل بأن يتبسّط بعد معرفة شيوخه إلى شيوخ شيوخه وما فوق. ولا شك أن جماعة من الحفاظ المتقدمين كانوا شيوخهم التابعين أو أتباع التابعين، وشيوخ شيوخهم الصحابة أو التابعين، فكان الأمر في ذلك الزمان أسهل، باعتبار تأخر الزمان.

فإن اكتفي بكون الحافظ يعرف شيوخه وشيوخ شيوخه أو طبقة أخرى، فهو سهل لمن جعل فيه ذلك دون غيره من حفظ المتون والأسانيد، ومعرفة أنواع علوم الحديث كلها، ومعرفة الصحيح من السقيم، والمعمول به من غيره، واختلاف العلماء، وانبساط الأحكام، فهو أمر ممكن، بخلاف ماذكر من جميع ماذكر، فإنه يحتاج إلى فراغ وطول عمر وانتفاء الموانع.

قلت ويقرب من كلام أبي الفتح بن سيد الناس في تسهيل الأمر فيمن يطلق عليه الحافظ، قول الحافظ الزكي المنذري^(٥) قلت للحافظ أبي الحسن

(١) محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي الشافعي النيسابوري الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البعّ حافظ، قاض. ولد بنيسابور، وتوفي بها عام ٤٠٥ هـ، رحل إلى العراق وخراسان وماراء النهر وأخذ عن نحو ألفي شيخ، وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ هـ ثم قضاء جرجان فامتنع، وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. له مؤلفات كثيرة. الأعلام ٦/ ٢٢٧ عن طبقات السبكي ٣/ ٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٤، تبين كذب المفترى ٢٢٧، الرسالة المستطرفة ١٧، تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣ الوافي بالوفيات ٣/ ٤٢٠.

(٢) مرت ترجمة الحافظ المزني في الصفحة ٩٩.

(٣) مرت ترجمة الدمياطي في الصفحة ٩٧.

(٤) مرت ترجمة أبي الفتح ابن سيد الناس في الصفحة ٨٦.

(٥) عبد العظيم بن عبد القوي، زكي الدين المنذري، ولد بمصر وتوفي بها سنة ٦٥٦، وهو أحد الحفاظ المؤرخين، عالم بالعربية تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة وانقطع بها نحو عشرين سنة عكف فيها على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث وله آثار كثيرة. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٩، الأعلام ٤/ ٣٠ نقلاً عن البداية والنهاية ١٣/ ٢١٢، فوات الوفيات ١/ ٢٩٦، طبقات الشافعية ٥/ ١٠٨.

المقدسي^(١) - هو ابن المفضل - أقول: حدثنا القاسم بن علي الحافظ، بالكسر نسبة إلى والده، فقال: بالضم. فإني اجتمعت به بالمدينة، فأملى عليّ أحاديث من حفظه، ثم سیر إلى الأصول، فقابلتها كما أملاها.

وفي بعض هذا يطلق عليه الحفظ، لكن قال الحافظ الذهبي^(٢) عقب حكايته: «وليس هذا هو الحفظ العرفي». ثم قال العراقي^(٣): «وقد وقفت في كلام الزهري [على ما] يدل على قلة من يوصف بالحفظ. ذكره ابن أبي حاتم^(٤) في الجرح والتعديل، في ترجمة الوليد بن عبد الله فقال: «روى عن الزهري^(٥) أنه قال: لا يولد الحافظ إلا في كل أربعين سنة. روى عمار بن رجاء عن محمد بن بشير بن عطاء بن مروان الكندي عنه^(٦)» هكذا في نسختي من الجرح والتعديل، ولعله عن محمد بن بشير بن مروان الكندي، هكذا ذكره ابن الجوزي^(٧) في [كتاب] الضعفاء

(١) علي بن المفضل بن علي، أبو الحسن المقدسي، ثم الاسكندراني، المالكي، الإمام المفتي، الحافظ، المتقن، برع في الفقه وسمع من الحافظ أبي طاهر السلفي ولزمه سنوات وأكثر عنه وأخذ عن غيره. جمع وصنف وتصدر للاشتغال وناب في الحكم بالاسكندرية مدة ثم درس بمدرسته التي هناك ثم تحول إلى القاهرة فدرس بها إلى أن مات سنة ٦١١ له تصانيف كثيرة وكان ذا ورع ودين وعدالة وأخلاق رضية وأخذ عنه الحافظ المنذري وحدث عنه هو والأرموي والبرزالي وغيرهم كثير. سير أعلام النبلاء ٢٢/٦٦ وانظر شذرات الذهب ٥/٤٧، وفيات الأعيان ٣/٢٩٠، النجوم الزاهرة ٦/٢١٢.

(٢) سبق ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

(٣) تقدمت ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧.

(٤) ابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، حافظ للحديث من كبارهم، كان منزله بدرب حفظه بالري وإليهما نسب، له تصانيف، من أشهرها الجرح والتعديل ٨ مجلدات، وله في التفسير والفرق والتاريخ. الأعلام ٣/٣٢٤، عن تذكرة الحفاظ ٣/٤٦، فوات الوفيات ١/٢٦٠، طبقات الحنابلة ٢/٥٥ وغيرها.

(٥) محمد بن مسلم بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، نسبة لبني زهرة بن كلاب من قريش، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة كان يحفظ ٢٢٠٠ حديث نصفها مستند. وكان يكتب كل ما يسمع. نزل الشام واستقر بها، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة منه. مات بشغب على حدود الحجاز مع فلسطين سنة ١٢٤ هـ. الأعلام ٧/٩٧ عن تذكرة الحفاظ ١/١٠٢، وفيات الأعيان ١/٤٥١، تهذيب التهذيب ٥/٤٤٥، حلية الأولياء ٣/٣٦٠، تاريخ الذهبي ٥/١٣٦، صفة الصفوة ٢/٧٧. وانظر سير أعلام النبلاء ٥/٣٦.

(٦) انظر الجرح والتعديل مج ٤/٢ ص ٩. ترجمة الوليد بن عبد الله.

(٧) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٥٩٧ هـ ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالها، له نحو ٣٠٠ مصنف، الأعلام عن وفيات الأعيان ١/٢٧٩، البداية والنهاية ١٣/٢٨، مفتاح السعادة ١/٢٠٧، ذيل الروضتين ٢١، مرآة الزمان ٨/٤٨١.

[والمتروكين]، والذهبي في الميزان^(١): «قال فيه يحيى: ليس بشقة. وقال الدارقطني: ليس بالقوي في حديثه»^(٢) فعلى هذا لم يصح هذا الكلام عنه، وعلى تقدير صحته فيكون المراد رتبة الكمال في الحفظ والإتقان، وإن وجد في زمانه من يوصف بالحفظ، فكم من حافظ وغيره أحفظ منه! انتهى.

وقد ظفرت بما يستأنس به، لما روي عن المزهرى^(٣)، من حديث الزهرى نفسه، فذكر المزياني^(٤)، عن أحمد بن محمد العروضي^(٥)، أن أبا محكم كان يقول: لزم ابن عيينة، فلم أفارق مجلسه، فقال لي: أراك حسن الملازمة، ولا أراك تخطئ بشيء، لأنك لا تكتب. فقلت: أنا أحفظ. قال: فكل ما حدثت به حفظته؟ قلت: نعم. فأخذ دفتر إنسان فقال لي: أعد علي ما حدثت به اليوم، فما خرمت منه حرفاً. فأخذ مجلساً من الماضي، فأمرته عليه. فقال: حدثنا الزهرى، عن عكرمة^(٦)، قال ابن عباس: يقال: إنه يولد في كل سبعين سنة من يحفظ كل شيء.

قال ابن عيينة^(٧): إدراك صاحب السبعين ونحوه قول الخطيب^(٨). ولقلة من يوجد من أهل الحفظ والإتقان قيل: إن أحدهم يولد بعد برهة من الزمان. ثم أسند

(١) مرت ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

(٢) الضعفاء والمتروكين ٢/ ٤٤، ط بيروت ١٤٠٦/ ١٩٨٦، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٢ ط القاهرة ١٣٨٢.

(٣) مرت ترجمة الزهرى في الصفحة ١٠٢.

(٤) محمد بن عمران بن موسى، أبو عبد الله المزياني، راوية إخباري كاتب، كان صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات كثير السماع روى عن البيهقي وطبقته، وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة. قال عن نفسه: كان في دارى خمسون مابين لحاف ودواج [نوع من اللحف] لمعدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي، وله كتب كثيرة في الأدب من أشهرها الموشح. توفي سنة ٣٧٨ أو ٣٨٤. إرشاد الأريب ١٨/ ٢٦٨.

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد العروضي، عالم بالعروض علم أولاد الخليفة الراضى بالله وله كتاب في العروض توفي بعد سنة ٣٣٦. إرشاد الأريب ٤/ ٢٣٣، معجم المؤلفين ٢/ ٧٣.

(٦) عكرمة البربري، أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس وأصله من البربر، روى عن مولاه وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم وروى عنه إبراهيم النخعي ومات قبله وهو ثقة لملازمته ابن عباس وأجمع عامة أهل الحديث على الاحتجاج بحديثه. تهذيب التهذيب ٧/ ٢٣٤.

(٧) سبقت ترجمة ابن عيينة في الصفحة ٩٢.

(٨) تقدمت ترجمة الخطيب البغدادي في الصفحة ٨٦.

من طريق موسى بن داود^(١)، عن أبي معشر، قال: الحافظ يولد في الزمان. وغن هشيم، قال: من يحفظ الحديث قليل. ثم قال: هم أقل من ذلك. انتهى.

ولهذا قال أبو محمد السمرقندي: سمعت أبا بكر الخطيب يقول: لم أر أحداً أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين؛ أبو نعيم الأصبهاني^(٢)، وأبو حازم العبدوي. ثم إن الوصف بالحافظ - كما قاله الحافظ الخطيب - عند الإطلاق ينصرف إلى أهل الحديث خاصة، وهو سمة لهم، لا يتعداهم، ولا يوصف بها أحد سواهم؛ لأن الراوي يقول: حدثنا فلان الحافظ، فيحسن منه إطلاق ذلك إذ كان مستعملاً عندهم، يوصف به علماء أهل النقل ونقادهم. ولا يقول القارئ: لقيني فلان الحافظ، ولا النحوي: علمني فلان الحافظ. فهي أعلى صفات المحدثين، وأسمى درجات الناقلين، من وجدت فيه قبلت أقاويله، وسلم له تصحيح الحديث وتعليقه. غير أن المستحقين لها يقل معدودهم، ويعزّ، بل يتعذر وجودهم، فهم في قلتهم بين المنتسبين إلى مقاتلتهم، أو من مذهب السنة بين سائر الآراء والنحل، وأقل من عدد المسلمين في مقابلة جميع الملل. وكذا قال الحافظ أبو سعد بن السمعاني^(٣)، أنه لقب لجماعة من أئمة الحديث لحفظهم له ومعرفتهم إياه. ونحوه قول ابن حجر^(٤): هو لقب من مهر في علم الحديث.

(١) موسى بن داود أبو عبد الله الضبي الطرسوسي الكوفي، نزيل بغداد، تولى قضاء طرسوس والثغور، وكان صاحب حديث مأموناً وأكثر من التصنيف وثقه غير واحد واحتج به مسلم سمع شعبة وسفيان وحمام بن سلمة وغيرهم وحدث عنه أحمد بن حنبل، كان زاهداً ثقة. وهو عالم طرسوس مات بها سنة ٢١٧. سير أعلام النبلاء ١٠/١٣٦، وانظر طبقات ابن سعد ٧/٣٤٥، تذكرة الحفاظ ١/٣٨٧، شذرات الذهب ٢/٣٨، تاريخ بغداد ٣٣/١٣.

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني، إمام حافظ ثقة، شيخ الإسلام، كان عالي الإسناد، تفرد في الدنيا بشيء كثير من العوالي، وهاجر إليه الحفاظ. ولما صنف كتابه حلية الأولياء حُمل إلى نيسابور حال حياته فاشترى هناك بأربعمئة دينار. وقيل إنه بقي أربعة عشر عاماً بلا نظير. توفي سنة ٤٣٠ هـ في أصبهان. سير أعلام النبلاء ١٧/٤٥٣، الأعلام ١/١٥٧.

(٣) مرت ترجمة السمعاني في الصفحة ٩٣.

(٤) سبقت ترجمة الحافظ ابن حجر في الصفحة ٤٨.

وحكى ابن السمعاني عن شيخه أبي القاسم التيمي^(١) صاحب (الترغيب) مامعناه أنه كتبها لأبي زكريا يحيى بن منده^(٢) فرأه أبو عبد الله الدقاق^(٣)، فقال: يا أبا الدقاق، فقال: يا أبا القاسم، أما تستحيي! وكيف تستجيز وصف يحيى بذلك! وإيش يحفظ هو في الحديث! فقلت له: إن ظننت يا شيخ أن الحافظ لا يكتب إلا لمن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ألا يكتب هذا لأحد، وإن كانت تُكتب لمن يحفظ البعض دون البعض، فأنا ويحيى وأنت والكل فيه سواء، فسكت ولم يقل شيئاً.

ثم قال ابن السمعاني: وقد لقب بها جماعة من أهل بغداد ممن لا يعرف من الحديث شيئاً، لكن لحفظهم الثياب في الحمامات، لقبوا بذلك، إذ عندهم من يحفظ الثياب، يقال له الحافظ.

قلت: وقد أفرد الحافظ بالتأليف، وأجمع كتاب وقفت عليه في ذلك مع إعواز كثير، كتاب الحافظ أبي عبد الله الذهبي^(٤)، رتبته على الطباق، وأفرد

(١) أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، سمع بمكة وجاور بها سنة وأملى، وصف. والدته من ذرية طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة، قال المديني: إمام الأئمة في وقته، حافظ، أستاذ علماء عصره. كان نزه النفس عن المطامع، لا يدخل على السلاطين، ولا على من اتصل بهم. أخلى داراً من ملكه لأهل العلم مع قلة ذات يده، أملى ٣٥٠٠ مجلس، وكان يملئ على البديهة. قليل الكلام، ليس في وقته مثله. توفي سنة ٥٣٥هـ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٨٠. وكتابه الترغيب والترهيب، استوعب زكي الدين المنذري غالب ما فيه في كتابه المسمى باسمه. كشف الظنون ١/٢١٦.

(٢) يحيى بن أبي عمرو بن عبد الوهاب بن الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن إسحاق، ابن الحافظ محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، أبو زكريا. بكر به والده فسمعه الكثير. قال السمعاني: شيخ جليل القدر، وافر الفضل، واسع الرواية، ثقة حافظ، مكث، صدوق، كثير التصانيف، حسن السيرة، بعيد عن التكلف، أوحده بيته في عصره. توفي سنة ٥١١هـ سير أعلام النبلاء ١٩/٣٩٥.

(٣) محمد بن عبد الواحد، أبو عبد الله الدقاق الأصبهاني، وقد عرف بين الطلبة بالدقاق نسبة لصديقه أبي علي الدقاق، ولد بمحلة جرواءن بأصبهان، فسمع من أبي القاسم بن منده وغيره، ورحل إلى نيسابور وطوس وسرخس ومرو وهراة وبلخ وجرجان وبخارى وسمرقند وكرمان ولكنه لم يصل إلى العراق. كان مكثراً محدثاً حافظاً أثرياً متبعاً فقيراً متعففاً، حدث عنه السلفي والمديني وغيرهما. توفي سنة ٥١٦هـ سير أعلام النبلاء ١٩/٤٧٤، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٥، عيون التواريخ ١٣/٤١٥، شذرات الذهب ٤/٥٦، طبقات الحفاظ ٤٥٦.

(٤) مرت ترجمته في الصفحة ٤٧. وكتابه تذكرة الحفاظ في أربعة أجزاء وعليه ذيل تذكرة الحفاظ لتلميذ الذهبي وهو أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن المتوفى بدمشق سنة ٧٦٥هـ. وصنع عليه ذيلاً للحافظ تقي الدين معجم بن فهد المكي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٨٧١ وللسيوطي ذيل ثالث عليه (ت ٩١١). انظر مقدمة ذيل تذكرة الحفاظ.

ابن حجر^(١) منه من ليس في تهذيب الكمال في مجلد رأيته، واستدرك بعضاً مما فاته، بل قرأت بخطه أنه رتب الكتاب على حروف المعجم، بيّض منه نصفه الأول، وذيّل عليه غير واحد، واختصره آخرون نظماً ونثراً.

قلت: وأحسن من هذا الكتاب طبقاتهم للمحافظ أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي^(٢)، وهي نظم سمّاها (بديعة البيان عن موت الأعيان) ثم شرحها، وسمّاها (البيان). ورأيت جزءاً مختصراً جداً في ذلك للمحافظ أبي الفرج بن الجوزي^(٣)، رتبه على الحروف، وافتتحه على الأبواب. أولها: في الحث على حفظ العلم. وثانيها: في صفة من هو أهل للحفظ من حيث الصورة والخلقة. وثالثها: في الأدوية المعينة عليها. ورابعها: في أحكام المحفوظ وثبوته. وخامسها: في ذكر الأوقات التي يكرر فيها محفوظه. وسادسها: فيما ينبغي تقديمه من المحفوظات.

وكذا جمع أبو الوليد الدبّاغ^(٤) الحافظ كتاباً في الحفاظ، بدأ فيه بالزهري^(٥)، وختم بأبي طاهر السلفي^(٦)، لكن لم أقف عليه.

واعلم أنه ينبغي ألا يقبل الوصف بذلك إلا من موصوف به؛ فربّ من يسند ويسرد كثيراً من الأنساب والمتون من هو قاصر في تخريج الحديث، وتمييز صحيحه من سقيم، ومعرفة علله، وقصور عباراته، وجمود فهمه عند من لا تمييز له، فيصفه بذلك ظناً منه أن ذلك بمجرد كاف، وهذه غفلة. إنما الحفظ المعرفة.

(١) سبقت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨.

(٢) سبقت ترجمة ابن ناصر في الصفحة ٧٢.

(٣) سبقت ترجمة ابن الجوزي في الصفحة ١٠٢.

(٤) يوسف بن عبد العزيز بن يوسف اللخمي، أبو الوليد بن الدبّاغ مؤرخ، كان محدث الأندلس في عصره توفي بدائية سنة ٥٤٦ هـ ودفن في مرسية وهو من أهل أندلس من قرى بلنسية. الأعلام ٢٣٨/٨، عن الصلة لابن بشكوال ٦٢١، وفهرس الفهارس ٣٠٨/١. قال الذهبي: في ترجمته نقلاً عن ابن الزبير أنه أحد الأئمة المتقين وجهابذة النقاد كان سمحاً يؤثر على نفسه مع قلة ذات يده وأنه ولي قضاء دانية. وعن ابن بشكوال أنه كان من أنبل أصحاب الحديث في زمنه وأعرفهم بالحديث وأسماء الرجال وأحوالهم. سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٢٠ وقال عنه الذهبي أيضاً في تذكرة الحفاظ: له جزء لطيف في أسماء الحفاظ. التذكرة ١٣١٠/٤.

(٥) مرت ترجمة الزهري في الصفحة ١٠٢.

(٦) مرت ترجمة أبي طاهر السلفي في الصفحة ٥١.

هذا إن حصل الوثوق به فيما يسرده مما لا يعلمه إلا النقاد. فأما إذ لم يكن كذلك فتلك الطامة، قال السخاوي^(١): وقد كان في شيوخ شيوخنا العلامة تقي الدين الدجوي، مالقيت أحداً ممن أخذ عنه إلا وذكر عنه أمراً عجيباً في الحفظ، ومع ذلك فقد قلل فيه ابن حجر^(٢) مانصه: كان يستحضر الكثير من هذا الفن. إلا أنه ليس له فيه عمل القوم، ولا كانت له عناية بالتخريج، ولا معرفة العالي والنازل من الأسانيد، وقدم الحافظ جمال الدين الشرايحي عليه لتحقيقه بذلك، وكذا قال شيخني، حيث ذكر في ترجمة العراقي^(٣) شيخه أن من أخص جماعته به صهره الهيثمي^(٤)، «وهو الذي دربه، وعلمه كيفية التخريج والتصنيف، وهو الذي يعمل له خطب كتبه، ويسميها له، وصار الهيثمي لشدة ممارسته أكثر استحضاراً للمتون من شيخه، حتى يظن من لا خبرة له أنه أحفظ منه، وليس كذلك؛ لأن الحفظ المعرفة»^(٥). انتهى.

ونحوه صنع السبكي الكبير^(٦) في تقديم ابن رافع^(٧) على ابن كثير^(٨)، وتبعه

(١) سبقت ترجمة السخاوي في الصفحة ٨٨.

(٢) مرت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨.

(٣) انظر ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧.

(٤) علي بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين، أبو الحسن الهيثمي، صاحب الشيخ زين الدين العراقي وهو صغير، فسمع معه من ابتداء طلبه بنفسه على عدد من شيوخ مصر والشام ورحل معه في جميع رحلاته وحج معه جميع حجاجه ولم يكن يفارقه حضراً ولا سقراً. وتزوج ابنته وتخرج به في الحديث وقرأ عليه أكثر تصانيفه وكتب عنه جميع مجالس إملاته وخرج زوائد الكتب الستة ورتب الحلية على الأبواب وصار كثير الاستحضار للمتون لكثرة الممارسة كان هيناً ليناً ديناً خيراً لا يسأم من خدمة شيخه وكتابة الحديث، وكان سليم الفطرة محتملاً للأذى خصوصاً من جماعة الشيخ. توفي سنة ٨٠١ هـ. انباء الرواة ٧٧/٢، ٣٠٩.

(٥) إنباء الغمر بأبناء العمر ١٧٢/٥.

(٦) انظر ترجمته في المقدمة.

(٧) محمد بن رافع بن هجرس، أبو المعالي، تقي الدين، مؤرخ، فقيه، من حفاظ الحديث حوراني الأصل ولد في مصر وانتقل به أبوه إلى دمشق وأخذ يتردد بين مصر والشام ثم استقر بدمشق فتوفي بها سنة ٧٧٤ هـ، وله معجم خرج له لنفسه في ٤ مجلدات يشتمل على أكثر من ألف شيخ وذيل على تاريخ بغداد لابن النجار ٤ أجزاء وغير ذلك الأعلام ٦/١٢٤ وانظر شذرات الذهب ٦/٢٣٤ وإنباء الغمر بأبناء العمر ١/٤٧ والدرر الكامنة ٣/٤٣٩.

(٨) إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه ولد في بصرى الشام وانتقل مع أخيه إلى دمشق ورحل في طلب العلم وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ كتب البداية والنهاية في التاريخ ١٤ مجلد وتفسير القرآن الكريم وجامع المسانيد والفصول في اختصار سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأعلام ١/٣٢٠ وانظر الدرر الكامنة ١/٣٧٣، وإنباء الغمر بأبناء العمر ١/٣٩.

ابن حجر^(١)، حيث قال إنّ: «الإنصاف أن ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير، لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات دون ابن كثير، وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء، لمعرفته بالمتون الفقهية والتفسيرية، دون ابن رافع، فيجمع منهما حافظ كامل»^(٢). قال: «وقلّ من جمعهما بعد أهل العصر الأول، كابن خزيمة^(٣)، والطحاوي^(٤)، وابن حبان^(٥)، والبيهقي، وفي المتأخرين بشيخنا العراقي»^(٦).

قلت: وشيخنا القائل ملحق بالأواخر بالأوائل. ولقد رأى رحمه الله بخطي طبقة وصفت فيها بعض السامعين أو القارئ بذلك، فعمل بخطه الحاء فاءً، والفاء ضاداً وحول الظاء لاماً، تنبيهاً للسالك. هذا، وقد وصف بخطه ذي الجودة والبهاء جماعة من الآخذين عنه بها جرياً على سنن الشيوخ في تنشيط طلبتهم، ونظراً إلى أنهم أبرع بالنسبة لمن في طبقتهم. على أنني لست أحب بثّ ما عندي هنا في هذا أجمع، وإن كان حيث وجد الإخلاص يوم القصاص القول أنفع، لكن في التلويح ما يغني عن التصريح. ولم يكن ابن حجر بالمتساهل في الوصف بهذه اللفظة، غير أن العذر عنه ما قدمته، مع ما كان هو يحكيه لخواصه في تأويل ذلك، وللناس أعذار لا يُطلع عليها.

وإذا تأملت قوله في ترجمة الحافظ ناصر الدين بن عبد الرحمن بن زريق الدمشقي^(٧) من معجمه مانصّه: «ولم أر في دمشق من يستحق اسم الحافظ

(١) تقدمت ترجمته في الصفحة ٤٨.

(٢) انظر النص في إنباء الغمر بانباء العمر ٤٩/١، ط القاهرة ١٣٨٩/١٩٦٩ م.

(٣) محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر السلمي، إمام نيسابور في عصره فقيه مجتهد، عالم بالحديث. ولد بنيسابور وبها توفي سنة ٣١١هـ، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر ولقبه السبكي بإمام الأئمة. تزيد مصنفاته عن ١٤٠ مؤلفاً منها صحيح ابن خزيمة، ٣ مجلدات، الأعلام ٢٩/٦، عن طبقات الشافعية للسبكي ١٣٠/٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي.

(٤) مرت ترجمة الطحاوي في الصفحة ٣٠.

(٥) مرت ترجمة ابن حبان في الصفحة ١٠٠.

(٦) مرت ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧.

(٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد الدمشقي الصالحي الحنبلي المعروف بكسلفه بابن زريق ناصر الدين العمري الخطابي القرشي المقدسي. حافظ فقيه، رتب المعجم الأوسط للطبراني على الأبواب وكذا صحيح ابن حبان، =

غيره^(١) مع أنه كان بها ابن الشرايحي الماضي، والشهاب الحسباني^(٢) الذي شهد فيه البلقيني أنه أحفظ أهل دمشق، والشهاب بن حجي^(٣)، وغيرهم، علمت أنه لا يثبتها لإبراهيم العجلوني^(٤) ونحوه، ويترك هؤلاء الفحول، فرجع الأمر إلى باب التأويل، والله الموفق. انتهى كلام السخاوي.

قلت: وكان فيها حينئذ من هو أعظم من هؤلاء، وهو الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين^(٥)، ولم يثبت له اسم الحفظ، لما في نفس الأقران من احتقار بعضهم بعضاً. وقد كتبه الحافظ شمس الدين المذكور، وهو القطب الخيضي^(٦). وقد كان شيخنا المحدث ناصر الدين بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زريق الصالح^(٧)، ابن أخي الحافظ ناصر الدين المتقدم ذكره ينكر على من يكتب اسم الحافظ للبرهان البقاعي^(٨)، والبرهان الناجي^(٩). والذي يظهر أن الأمر فيهما وهو الإنصاف،

= الأعلام ١٩٣/٦. كان يقطاً عارفاً بفنون الحديث، ذاكراً للأسماء والعلل، وعرف بالديانة والخير والصبانة مات بدمشق سنة ٨٠٣هـ أسفاً على ولده أحمد. الضوء اللامع ٣٠٠/٧.

(١) الضوء اللامع ٣٠١/٧.

(٢) أحمد بن إسماعيل بن خليفة الثابلسي، شهاب الدين الحسباني الدمشقي الشافعي، أبو العباس، عالم مشارك في العلوم، ولي قضاء دمشق، وتوفي بها سنة ٨١٥هـ وله تأليف في التفسير والنحو والحديث والفروع. الضوء اللامع ٢٣٧/١. شذرات الذهب ١٠٨/٧، معجم المؤلفين ١٦٤/١.

(٣) أحمد بن حجي بن موسى السعدي الحسباني، شهاب الدين، ويعرف بابن حجي أبو العباس، مؤرخ فقيه، ولد بظاهر دمشق، درس وأفتى وناب في الحكم. توفي سنة ٨١٦هـ وله مؤلفات. الضوء اللامع ٢٦٩/١، شذرات الذهب ١١٦/٧، القلائد الجوهريّة ١١٢. معجم المؤلفين ١٨٨/١.

(٤) إبراهيم بن محمد بن عيسى الدمشقي الشافعي، برهان الدين، أبو إسحاق، فقيه، ولد بعمجلون وتوفي بدمشق سنة ٨٢٥هـ وله مؤلفات. الضوء اللامع ١٥٦/١، معجم المؤلفين ١٠٣/١.

(٥) سبقت ترجمة ابن ناصر في الصفحة ٧٢.

(٦) محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر، قطب الدين، أبو الخير بن الخيضي الزبيدي الدمشقي الشافعي قاض من العلماء بالتراجم والأنساب والحديث أصله من عرب البلقاء ولد بي بيت لها من قرى دمشق وقرأ بدمشق وبعليك والقدس ومصر ومكة المكرمة وولي قضاء الشافعية وكتابة السر بدمشق توفي بالقاهرة سنة ٨٩٤هـ وله كتب الأعلام ٥١/٧ عن الدارس ٧/١، والرسالة المستطرفة ٩٤ ونظم العقيان ١٦٢ والبدر الطالع ٢٤٥/٢، الضوء اللامع ١١٧/٩.

(٧) مرت ترجمة ابن زريق الصالح في الصفحة ١٠٨.

(٨) إبراهيم بن عمر بن حسن، أبو الحسن، برهان الدين البقاعي نسبة لأن أصله من البقاع في سورية مؤرخ أديب، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ وله عدد من المؤلفات من أهمها عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ٤ مجلدات وأسواق الأشواق اختصار مصارع العشاق. الأعلام ٥٦/١ عن الضوء اللامع ١٠١/١، شذرات الذهب ٣٣٩/٧ البدر الطالع ١٩/١.

(٩) برهان الدين المعروف بالناجي هو إبراهيم بن محمد بن محمود الدمشقي القبيباتي [نسبة إلى محلة القبيبات بالميدان] الشافعي، أبو إسحاق، من محدثي دمشق، مات سنة ٩٠٠هـ، وله مؤلفات منها رسالة في الشفاعة =

كالأمر في ابن رافع وابن كثير؛ يجتمع فيهما حافظ كامل، فإن البقاعي أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من الناجي، لعنايته بالوفيات والتخريج. والناجي أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بمتون الأحاديث وتحريرها، وتفسيرها.

وقد رأيت جماعة من الأروام^(١) قصارها النظر في (مشارك الأنوار) للصاغاني^(٢)، فإن ترفعت ارتفعت إلى (مصاييح البغوي)^(٣). ظن بعضهم أنه وصل بهذا القدر إلى درجة المحدثين، والبعض الآخر إلى درجة الحفاظ؛ وماذا إلا لجهلها بالحديث، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب، وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثاً، فضلاً عن حافظ، ولا يصير بذلك محدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط^(٤). فإن رامت بلوغ الغاية في الحديث على زعمها

= ورسالة تحذير الإخوان فيما يورث الفقر والسيان وغير ذلك. معجم المؤلفين ١٠٦/١.
(١) انظر التعليقة (١) في الصفحة ٧٧.

(٢) مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية للصاغاني، جمع فيه من الأحاديث الصحاح عدداً على تعداد الشارح الكازروني وهو ٢٢٤٦ حديثاً وبين في أول كل باب أو نوع عدد أحاديثه. وقال: هذا كتاب ارتضيه واستضيه لضياته والعمل بمقتضاه ألفته لخزاة المستنصر بن الظاهر بن الناصر به المستضيء العباسي. وجعله اثني عشرة باباً. وللكتاب شروح كثيرة. كشف الظنون ٢/٢٦٨. والصاغاني هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني الحنفي، رضي الدين أعلم أهل عصره في اللغة وكان فقيهاً محدثاً ولد في لاهور من مقاطعة البنجاب بباكستان ونشأ بغزنة من بلاد السند ودخل بغداد ورحل إلى اليمن وتوفي ببغداد سنة ٦٥٠ ودفن بها وكان أوصى أن يدفن بمكة فنقل إليها ودفن بها له تصانيف كثيرة من أشهرها العباب معجم في اللغة ألفه لابن العلقمي وزير المستعصم والتكملة في ٦ مجلدات كمل به صحاح الجوهرى وشرح صحيح البخاري وغير ذلك الأعلام ٢/٢١٤ عن النجوم الزاهرة ٧/٢٦ وأبجد العلوم ٨٩٠ والجواهر المضية ٢٠١/١ وغيرها.

(٣) مصاييح السنة للبغوي قال جلبي زاده: قيل عدد أحاديثه ٤٧١٩ حديثاً، منها المختص بالبخاري ٣٢٥ حديثاً وبمسلم ٨٧٥ والمتفق عليه ١٠٥١ حديثاً والباقي من كتب أخرى. ولم يسم المؤلف كتابه هذا بالمصاييح نصاً منه وإنما صيّر علماً له بالغلبة لقوله في المقدمة: هذا كتاب مصاييح... الخ. وترك ذكر الأسانيد اعتماداً على نقل الأئمة وقسم أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان وعنى بالصحاح ما أخرجه الشيخان وبالحسان ما أورده أبو داود والترمذي وغيرهما وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشار إليه وأعرض عن ذكر ما كان منكراً أو موضوعاً، واعتنى العلماء كثيراً بهذا الكتاب. كشف الظنون ٢/٢٧٢. وصاحب الكتاب هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء، أبو محمد ويلقب بحمي السنة البغوي، فقيه، محدث، مفسر نسبته إلى بغا من قرى خراسان، بين هراة ومرو ومن كتبه الجمع بين الصحيحين. الأعلام ٢/٢٥٩ عن وفيات الأعيان ١/١٤٥ وغيره.

(٤) يشير بذلك إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا، لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف، الآية ٤٠.

اشتغلت بـ (جامع الأصول) لابن الأثير^(١)، وإن ضُمَّت إليه كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح^(٢)، أو مختصره المسمّى بـ (التقريب والتيسير) للنووي^(٣)، ونحو ذلك، وحينئذ يُنادَى من انتهى إلى هذا المقام بمحدث المحدثين، وبخاري العصر، وما يناسب هذه الألفاظ الكاذبة. والله أعلم.

(١) جامع الأصول لأحاديث الرسول ذكر منه ابن الأثير أنّه مبني على ثلاثة أركان الأول في المبادي والثاني في المقاصد والثالث في الخواتيم وأورد في الأول مقدمة وأربعة فصول وذكر في المقدمة أن علوم الشريعة تنقسم إلى فرض ونفل والفرض إلى فرض عين وفرض كفاية وأن من أصول فروض الكفايات علم أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وأثار الصحابة التي هي ثاني أدلة الأحكام وله أصول وأحكام وقواعد واصطلاحات ذكرها العلماء يحتاج طالبها إلى معرفتها وذكر في الفصل الأول انتشار علم الحديث ومبدأ جمعه وتأليفه وفي الفصل الثاني اختلاف أغراض الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث، وفي الفصل الثالث اقتداء المتأخرين بالسالفين وسبب اختصار كتبهم وتأليفها وفي الفصل الرابع خلاصة الفرض من جمع الكتاب. وقد ضم الكتاب كتب الأحاديث الستة بدون أسانيد الأحاديث ولم يثبت إلا اسم الصحابي راوي الحديث كشف الظنون ١/ ٢٧٥ وابن الأثير هو المبارك بن محمد الجزري أبو السعادات، مجد الدين محدث لغوي أصولي ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل فقاتل بصاحبها فكان من أخصائه وأصيب بالقرص فبطلت حركة يديه ورجليه ولازمه مرضه حتى توفي في قرى الموصل سنة ٦٠٦ هـ وقيل إن تصانيفه كلها زمن مرضه إملاء على طلابه وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة. الأعلام ٥/ ٢٧٢ عن بغية الدعاة ٣٨٥، وفيات الأعيان ١/ ٤٤١، ارشاد الأريب ٦/ ٢٣٨، طبقات الشافعية ٥/ ١٥٣ وغيرها.

(٢) قال جليبي زادة: علوم الحديث أحسن تصنيف فيه وقد حصر ذلك في خمسة وستين نوعاً، واعتنى به العلماء في زمانه إلى هذا الزمان وقيل إن ابن الصلاح أملى كتابه هذا إملاء فكتبه في حال الإملاء جمع جم فلم يقع مرتباً على ما في نفسه. كشف الظنون ٢/ ٣٦. واسم كتاب ابن الصلاح كاملاً (معرفة أنواع علم الحديث) واشتهر بمقدمة ابن الصلاح وهو عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان النصري، الشهرزوري الكردي الشرخاني، أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ولد في شرخان قرب شهرزور وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية وانتقل إلى دمشق فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث وتوفي فيها سنة ٦٤٣، له عدد من الكتب أشهرها كتابه المذكور الأعلام ٤/ ٢٠٧ عن وفيات الأعيان ١/ ٣١٢، طبقات الشافعية ٥/ ١٣٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٢١ وغيرها.

(٣) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث لخص فيه كتابه الإرشاد الذي اختصره من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح. قال جليبي زاده: فصار زبدة خلاصته. وله شروح منها شرح العراقي وشرح القباقي وشرح السيوطي المعروف بتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي كشف الظنون ١/ ٢٤٤. وقد تقدمت ترجمة الإمام النووي في الصفحة ٢٤.

[٤٩] - منصب الفقهاء (١)

فمنهم من يأخذه في الفروع الحمية لبعض المذاهب، ويركب الصعب والدُّكُول في العصبية، وهذا من أسوأ أخلاقهم. ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب، بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض، إلى غير ذلك مما يستقبح ذكره. ويأويح هؤلاء! أين هم من الله! ولو كان الشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما حين لشدداً النكير على هذه الطائفة. وليت شعري لم لا تركوا أمر الفروع التي العلماء فيها على قولين؛ من قائل: كل مجتهد مصيب، وقائل: المصيب واحد، ولكن المخطئ يؤجر، واشتغلوا بالردّ على أهل البدع والأهواء، حتى إن محض التعصب والتحاسد يُلجئهم إلى حمل الناس على مذهب واحد، وهؤلاء لا يقبله الله منهم.

ولعمر الله، لا أحصي عدد من رأيته يشمر عن ساعد الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يسمي، أو حنفي يلمس ذكره ولا يتوضأ، أو مالكي يصلي ولا يسمّل، أو حنبلي يقدم الجمعة على الزوال، وهو يرى من العوام، ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى. يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضربُ العنق، ولا ينكرون عليه، بل لو دخل واحد منهم بيته لرأى كثيراً من الناس يتركون الصلاة وهو ساكت عنهم. فيالله والمسلمين! أهدأ فقيه على الحقيقة! قبح الله مثل هذا الفقيه.

ثم ما بالكم تنكرون مثل هذه الفروع، ولاتنكرون المكوس (٢) والمحرمات المجمع عليها، ولاتأخذكم الغيرة لله فيها، وإنما تأخذكم الغيرة للشافعي وأبي

(١) معيد النعم ٧٤.

(٢) مكس في البيع مكساً من باب ضرب: نقص الثمن. والمكس غلب على ما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء قال الشاعر:

وفي كل أسواق العـراق إتاوة وفي كل أسواق مـصر مكسٌ درهم

(المصباح المنير).

حنيفة! فيؤدي ذلك إلى افتراق كلمتكم، وتسلب الجهال عليكم، وسقوط هيبتكم عند العامة، وقول السفهاء في أعراضكم مالا ينبغي، فتهلكون السفهاء بكلامهم فيكم، لأنّ لحومكم مسمومة على كل حال، لأنكم علماء^(١). وتهلكون أنفسكم بما ترتكبون من العظائم.

ومنهم فرقة غايتها البحث في (الحاوي الصغير) لعبد الغفار القزويني^(٢)، و(الوقاية) لصدر الشريعة^(٣)، والكتابان المذكوران أعجوبتان في بابيهما، بالغان في الحسن أقصى الغايات. إلا أنّ المرء لا يصير بهما فقيهاً، ولو بلغ عنان السماء. وهذه الطائفة تضيع في تفكيك ألفاظهما وفهم معانيهما زماناً، لو صرفته إلى حفظ نصوص الشافعي، وكلام أصحابه، وحفظ فروع أبي حنيفة وتلامذته، لحصلت على جانب عظيم من الفقه. ولكن التوفيق بيد الله تعالى.

ومنهم طائفة صحيحة العقائد، حسنة المعرفة للفروع، إلا أنّها لم ترع جانب الله سبحانه حق الرعاية، فكان عملها وبالأعلى عليها في الحقيقة؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشدّ الناس عذاباً عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه»^(٤). وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «أول ماتسعر النار يوم القيامة رجل عالم، فتندلق أقتابه في النار، فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا هذا،

(١) أي إنّ المغتاب آكل لحم أخيه، كما ورد في سورة الحجرات، الآية ١٢ «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم، ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله إنّ الله ذو تاب رحيم»، ولحوم العلماء مسمومة تؤذي من يقع فيها.

(٢) الحاوي الصغير في الفروع، قال جلبي زاده هو من الكتب المعتبرة بين الشافعية قالوا هو كتاب وجيز اللفظ بسيط المعنى محرر المقاصد مذهب المباني، حسن التأليف والترتيب، جيد التفصيل في التوبيع ولذلك عكفوا عليه بالشرح ونظمه ابن الوردي في ٥ آلاف بيت باسم بهجة الحاوي. مؤلفه عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني، نجم الدين، عالم بالحساب، من فقهاء الشافعية من أهل قزوين. توفي سنة ٦٦٥ هـ، الأعلام ٣١/٤ عن طبقات الشافعية ١١٨/٥، ومعجم المطبوعات ٢٨٣.

(٣) وقاية الرواية في مسائل الهداية صنفه صدر الشريعة لابن بنته صدر الشريعة الثاني، اعتنى به العلماء قراءة وتدرساً وحفظاً وشرحاً. كشف الظنون ٢/٢٤١. والمصنف أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم الحبوبي النيسابوري، من فقهاء الحنفية. معجم المؤلفين ٣٠٨/١.

(٤) رواه الطبراني في الصغير ١/١٨٣، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/١٢٧، كما ورد في كنز العمال برقم ٢٨٩٧٧، ومعجم الزوائد ١/١٨٥.

ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! فيقول: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية». وفي الحديث أيضاً: «إن أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان؛ رجل علم علماً فيرى غيره يدخل به الجنة لعمله به، وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به، ورجل جمع المال من غير وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير فيرى غيره يدخل به الجنة، وهو يدخل به النار».

وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي^(١) رحمه الله يستعيز بالله من مثل هذا العلم حيث كان يقول: نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا، وينشد:

علمت ما حلل المولى وحرمة فاعمل بعلمك إن العلم للعمل

وفي مثل هذه الطائفة يقول الشاعر^(٢):

يأيتها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم!
تصف الدواء من السقام الذي الضنى	ومن الضنى - مذ كنت - أنت سقيم
مازلت تلقح بالرشاد عقولنا	صفة وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يقبل إن وعظت ويقتدى	بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلقي وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

(١) أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي الشيرازي، علامة مناظر ولد في فيروز آباد بفارس وانتقل منها إلى شيراز فقرأ على علمائها وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد فأنتم بها مايدأ به من الدرس والبحث وظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره اشتهر بقوة الحجج في الجدل والمناظرة وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة فكان يدرس فيها ويديرها وعاش فقيراً صابراً وكان طلق الوجه فصيحاً ينظم الشعر وله تصانيف في فقه الشافعية وأصول مذهبهم وفي الجدل مات ببغداد سنة ٤٧٦ هـ وصلى عليه المقتدي العباسي الأعلام ٥١/١ عن طبقات السبكي ٨٨/٣، وفيات الأعيان ٤/١.

(٢) الأبيات منسوبة لأبي الأسود الدؤلي وللمتوكل الليثي والسابق البربري والأخطل وحسان بن ثابت والطرماح، وليست في دواوين هؤلاء الثلاثة انظر حماسة البحري ١٧٤، والأغاني ١٥٦/١٢، وخزانة الأدب ٦١٧/٣ ومغني اللبيب برقم ٦٧١، وشرح ابن عقيل ١٢٥/٢ وعني التحوين بالبيت الأخير منها.

فهذه الطائفة ، إذا واخذها^(١) الله تعالى فلا ينبغي أن تعتب وتقول : نحن أهل العلم ، فإن صنّعها ليس بصنع أهل العلم ، الذين هم أهل العلم ، بل هؤلاء كما قال الله تعالى : ﴿ لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . . . ﴾^(٢) . فما قوبلوا إلا بعدل من الله تعالى .

ومنهم^(٣) فرقة لا تترك الصلاة ، ولكنها أحبت العلم والمناظرة ، وأن يقال : فلان اليوم فقيه البلد ، حبّاً اختلط بلحمها وعظمها ، فاستغرقت فيه أكثر أوقاتها ، واستهانت بالنوافل ، ونسيت القرآن المجيد بعد حفظه ، وشمخت بأنافها مع ذلك ، وقالت : نحن العلماء . وإذا قامت لصلاة الفريضة قامت أربعاً لا تذكر الله تعالى فيها إلا قليلاً ، مزجت صلاتها بالفكر في دقائق الجنيات . وربما جاء ليقول : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾^(٤) فسبق لسانه إلى ما هو فيه مفكراً من جزئيات الفروع ، فينطق به .

ثم إذا سألت واحداً منهم : أصليت سنة الظهر ؟ قال لك : قال الشافعي رضي الله عنه : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة . أخشعت في صلاتك ؟ قال لك : ليس الخشوع من شرائط صحة الصلاة . أنسيت القرآن ؟ قال لك : لم يقل إن نسيانه كبيرة إلا صاحب (العدة)^(٥) . وما الدليل على ذلك ، وأنا لم أنس الجميع ، فإني أحفظ الفاتحة وكثيراً من القرآن غيرها .

فقل له : أيها الفقيه ! كلمة حق أريد بها باطل ؛ إن الشافعي لم يعن ما أردت ، ولكلامه تقرير ، لسنا له الآن ، ويخشى على من هذا شأنه المروق^(٦) من الدين رأساً .

(١) آخذه مؤاخذه عاقبه على ذنبه ويبدل المدّ وأوأي لغة اليمن فيقال : واخذه مؤاخذه . وقرأ بعض السبعة ﴿ لا يواخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ [البقرة ، الآية ٢٢٥] على هذه اللغة (المصباح المنير) .

(٢) الأيتان ٦ ، ٧ من سورة الروم وتماها : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ .

(٣) معبد النعم ٨٤ .

(٤) الفاتحة ، الآية ٤

(٥) العدة في فروع الشافعية لابراهيم بن علي الطبري الروياني ، كشف الظنون ٢ / ٢٠ وفي طبقات الشافعية ٤ / ٢٤٤ ذكر السبكي في ترجمة عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الطبري ت ٥٣١ أنه ابن صاحب العدة .

(٦) مرق السهم من الرمية مروقاً من باب قعد : خرج منه من غير مدخله . ومنه قيل : مرق من الدين إذا خرج منه . المصباح المنير .

أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمري ، عن أم يوسف خديجة ابنة علي بن أبي عمر ، أنبأنا الحافظ أبو العباس بن المظفر ، أنا أحمد بن هبة الله بن عساكر بقراءتي عليه ، أنا الإمام القاسم بن الإمام أبي سعد ، عبد الله بن عمر الصفار^(١) إجازة ، أنا جدي عصام الدين أبو حفص ، عمر بن أحمد بن منصور بن الصفار^(٢) ، قال : سمعت جدي يقول : سمعت الأستاذ أبا القاسم القشيري^(٣) يقول : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق^(٤) يقول : « من استهان بأدب من آداب الإسلام ، عوقب بحرمان السنة ، ومن ترك السنة عوقب بحرمان الفريضة . ومن استهان بالفرائض قبيض الله له مبتدعاً يوقع عنده باطلاً ، فيوقع في قلبه شبهة » . وبلغنا^(٥) أن الإمام الغزالي أم مرة بأخيه أحمد في صلاة ، فقطع أخوه أحمد الاقتداء به ، فلما قضى الصلاة سأله الغزالي ، فقال : لأنك كنت متضمخاً بدماء

(١) شهاب الدين ، القاسم بن عبد الله بن عمر ، أبو بكر النيسابوري المعروف بابن الصفار الشافعي ، مفتي خراسان . سمع من جده ومن أبيه ومن غيره . ومن مسموعات مسند أبي عوانه من أبي الأسعد بن القشيري ، حدث عنه البرزالي والضياء وابن الصلاح ومحمد بن محمد الاسفراييني والمرسي وغيرهم . استشهد بنيسابور سنة ٦١٨ هـ على يد الترك لما دخلوها . سير أعلام النبلاء ١٠٩/٢٢ . وأما والده فهو عبد الله بن عمر بن أحمد ، فخر الإسلام ، أبو سعد الصفار ، إمام علامة معمر ، سمع من جده لأمه الإمام أبي نصر بن القشيري ، وكان آخر من روى عنه ، وسمع من غيره ، وحدث عنه إسماعيل بن ظفر وابنه المذكور ، وجماعة . كان من الأئمة العلماء الأثبات . توفي سنة ٦٠٠ هـ . سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٢١ .

(٢) عصام الدين ، عمر بن أحمد بن منصور أبو حفص الصفار حدث عنه خلق منهم حفيده المذكور . قال أبو سعد السمعاني : إمام بارع مبرز جامع لأنواع الفضل من العلوم ، شديد السيرة ، مكثر في الحديث ، دين ورع ، أحد وجوه الفقهاء توفي سنة ٥٥٣ هـ . سير أعلام النبلاء ٣٣٧/٢٠ . وانظر العبر ١٥٣/٤ ، طبقات السبكي ٧/٢٤٠ ، النجوم الزاهرة ٣٢٩/٥ ، شذرات الذهب ١٦٨/٤ .

(٣) أبو القاسم ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري زين الإسلام صاحب الرسالة القشيرية في التصوف ، كان شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين ، أقام بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤٦٥ هـ وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه وله كتب في التفسير وغيره . الأعلام ٥٧/٤ عن طبقات السبكي ٣/٢٤٣ ، وفيات الأعيان ٢٩٩/١ ، تاريخ بغداد ٨٣/١١ ، مفتاح السعادة ٤٣٨/١ وغيرها .

(٤) الحسن بن محمد بن علي ، أبو علي الدقاق . كان إمام فقه ، منقطع النظر في زمانه في الزهد وغيره ، ذابيان ولسان فصيح في التصوف ، رأى كثيراً من مشايخ الصوفية وصحبهم ، وكان مريداً للنصرآبادي . حمدت سيرته وبرع في الأصول والفقه والعربية حتى شددت إليه الرحال ، وهو أستاذ القشيري صاحب الرسالة . وله كرامات ومكاشفات ظاهرة . توفي بنيسابور سنة ٤٠٥ هـ . كشف المحجوب ٣٧٧ ، ط القاهرة ١٣٩٤ وانظر : فحاح الأنس ٢٩١ ، سفينة الأولياء ١٥٩ ، تذكرة الأولياء ١٧٧/٢ ، شذرات الذهب ١٨٠/٣ وفيه أنه توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٥) انظر معيد النعم ٨٦ .

الحيض . ففكر الغزالي ، فذكر أنه عرضت له في الصلاة فكرة في مسألة من مسائل الحيض . فانظر ! فهؤلاء أهل الله الذين هم أعرف به منك أيها الفقيه ، قد عرفوك أن ماتعتمده يجرّك إلى الكفر . والعياذ بالله تعالى .

ومنهـم^(١) طائفة سلّمت من جميع ما ذكرناه ، إلّا أنّها استهانت ببعض صفات الذنوب كالغيبة ، والاستهزاء بخلق الله تعالى ، وغير ذلك ، أو كان لها معصية ابتلاها الله سبحانه بها ، فلم تستتر ، وقالت : علمنا يغطي معصيتنا . وهذا جهل لا علم ؛ فالصغيرة تكبر من العالم ، فإن هو تجاهر بها ازداد أمرها ، والمعصية مع العلم فوق المعصية مع الجهل من وجوه ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله »^(٢) الحديث . فالعالم أولى أن يستتر ، إن لم يرجع ؛ فإنه قدوة . ولذلك كان بعض العارفين لا يظهر لتلميذه إلّا على أشرف أحواله ، خوفاً أن يقتدي به في سيئها ، أو يسوء ظنه ، فلا ينتفع به .

فينبغي للعالم الفقيه الكفّ عن صفات المعاصي وكبائرها ، فإن هو لم يكفّ فلا أقل من التستر ؛ صيانة لمنصب العلم . وإلى هذا المعنى أشار الشيخ الجليل فتح بن علي بن منصور الدميّاطي^(٣) ، فأشدد لنفسه :

أَيُّهَا الْعَالَمُ يَاكَ الزَّلُّ	واحذر الهفوة والخطبُ جَلَلُ
هَفْوَةُ الْعَالَمِ مُسْتَعْظَمَةٌ	إِذْ بِهَا أَصْبَحَ فِي الْخَلْقِ مَثَلُ
وَعَلَى زَلَّتِهِ عُمِدَتُهُمْ	فَبِهَا يَحْتَجُّ مَنْ أَخْطَأَ وَزَكُّ
لَا تَقُلْ يَسْتُرْ عِلْمِي زَلَّتِي	بَلْ بِهَا يَحْصُلُ فِي الْعِلْمِ خَلَلُ
إِنْ تَكُنْ عِنْدَكَ مُسْتَحْقَرَةٌ	فَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ جَبَلُ
لَيْسَ مَنْ يَتَّبِعُهُ الْعَالَمُ فِي	كُلِّ مَادَقٍّ مِنَ الْأَمْرِ وَجَلُ
مِثْلٍ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ جَهْلُهُ	إِنْ أَتَى فَاَحْشَى قَيْلٍ جَهْلُ

(١) انظر معيد النعم ، المرجع السابق .

(٢) لم نقع على هذا الحديث بمطأته .

(٣) فتح بن محمد بن علي السعدي الدميّاطي الشافعي ، أبو المنصور ، المتعوت بالنجيب ، فاضل له اشتغال بالحديث والأدب ، وله شعر ، من أهل دميّاط وبها توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وله مصنفات وديوان شعر الأعلام ١٣٤/٥ . وهو غير الدميّاطي عبد المؤمن بن خلف الحافظ المتوفى سنة ٧٠٥ والذي مرّت ترجمته في الصفحة ٩٧ .

انظر الأنجم مَهْمَا سَقَطَتْ مَنْ رَأَاهَا وَهِيَ تَهْوِي لَمْ يُبَلِّ
 فإذا الشمسُ بدت كاسفةً وَجَلَّ الخَلْقُ لَهَا كَلَّ الوجَلُ
 وتراءتْ نحوَهَا أَبْصَارُهُمْ فِي انزِعَاجٍ واضطرابٍ وَوَجَلُ
 وسرى النقصُ لَهُمْ مِنْ نَقْصِهَا فَغَدَتْ مَظْلَمَةً مِنْهَا السُّبُلُ
 وكذا العَالَمُ فِي زَلَّتِهِ يَفْتِنُ الْعَالَمَ طَرّاً وَيُضِلُّ

ومنهم فرقة^(١) سلمت من جميع مذكرناه، إلا أنه غلب عليها الطعن في أمة قد سلفت، والاشتغال بعلماء قد مضوا، وغالب ما يؤتى هؤلاء من المخالفة في العقائد؛ فقل أن ترى من يبيل إلى الحنابلة إلا ويضع من الأشاعرة. وهذا الذهبي^(٢) كان سيد زمانه في الحفظ مع الورع والتقوى، ومع ذلك يعمد إلى أئمة الإسلام من الأشاعرة رضي الله عنهم. فيظهر عليه من التعصب عليهم ماتنفر القلوب عنه، وإلى طائفة من المجسمة، فيظهر عليه من نصرتهم ما يوجب سوء الظن به، وما كان والله إلا تقياً نقياً، ولكن حملة التعصب، واعتقاده أن مخالفه على خطأ. وقل أن ترى أشعرياً من الحنفية والشافعية والمالكية إلا ويبالغ في الطعن على هؤلاء، ويصرح بتكفيرهم. وإذا كانت الأئمة المعتبرون كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأشعري على أننا لانكفر أحداً من أهل القبلة. فلم هذا التعصب؟ ومالنا لانسكت عن أقوام مضوا إلى ربهم؟ ولم ندر على ماذا ماتوا؟ وإن يُبد لنا أخذ بدعته قابلناه. وأما الأموات فلم ننبش عظامهم؟ هذا والله مالا ينبغي. ومنهم فرقة متنسكة تجري على ظواهر الشرع، وتحسن امثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، إلا أنها تهزأ بالفقراء وأهل التصوف، ولا تعتقد فيهم شيئاً، ويعيبون عليهم السماع، وأموراً كثيرة. والسماع قد عُرِف اختلاف الناس فيه. وتلك الأمور قل أن يفهمها من يعيها. والواجب تسليم أحوال القوم إليهم. وإننا لانأخذ أحداً إلا بجريمة ظاهرة، ومتى أمكننا تأويل كلامهم، وحملة على

(١) معيد النعم ٨٧

(٢) مرت ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

محمل حسن لانعدل عن ذلك ؛ لاسيما من عرفناه منهم بالخير ولزوم الطريقة . ثم إن بدرت لفظة من غلطة أو سقطة ، فإنها عندنا لاتهدم ماضى .

وهذه الطائفة من الفقهاء التي تنكر على الصوفية مثلها مثل الطائفة من الترك التي تنكر على الفقهاء . وقد جربنا ، فلم نجد فقيهاً ينكر على المتصوفة إلا ويهلكه الله تعالى ، وتكون عاقبته وخيمة ، ولا وجدنا تركياً يهزأ بالفقهاء إلا ويهلكه الله ، وتكون عاقبته شديدة .

فسبيل هذه الطائفة التوبة إلى الله ، وحسن الظن بخلق الله ، لاسيما من انقطع إلى الله ، واعتكف على عبادته ، ورفض الدنيا وراء ظهره .

هذا علاج هذه الطائفة ، وماأظنهم يبرأون ، فلإني جربت فوجدت القلوب منقسمة إلى قابل للصالح وطريق الفقراء وذلك تراه منقاداً لطريق الفقراء ، معتقداً من غير تعليم ، وغير قابلة ولا تراها تنقاد ، وإن انقادت في الظاهر لم يفدها الانقياد ، لأن هؤلاء القوم لايعاملون بالظواهر ، ولايفيد معهم إلا الباطن ومحض الصفاء ، وهم أولياء الله وخاصته . نفعنا الله بهم . وأكثر من يقع فيهم لايفلح .

[٥٠] - منصب المفسرين^(١)

فمنهم طائفة - وأكثرهم من الأروام^(٢) - نظرت في كتاب الكشف للزمخشري ، وقالوا : نحن متشرعون وعارفون بتفسير كتاب الله تعالى . وقد قال التاج بن السبكي : « . . . أن (الكشاف)^(٣) كتاب عظيم في بابه ، ومصنفه إمام في فنه ، إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته ، يضع من قدر النبوة كثيراً ، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما في كتابه الكشف من ذلك كله . ولقد كان الشيخ الإمام - يعني والده - يقرئه ، فلما انتهى إلى كلامه على قوله تعالى في سورة التكوين : «إنه لقول رسول كريم»^(٤) الآية أعرض عنه صفحاً ، وكتب ورقة حسنة سمّاها : (سبب الانكفاف عن إقراء الكشف) ، وقال فيها : قد رأيت كلامه على قوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك ﴾^(٥) . وكلامه في سورة النجوى ، في الزلزلة^(٦) ، وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرضتُ عن إقراء كتابه حياء من الله تعالى ، ومن النبي صلى الله عليه وسلم ، مع ما في كتابه من الفوائد والنكت

(١) معيد النعم ٨٠ ، ٨١

(٢) انظر التعليقة عن الأروام ص ٧٧ .

(٣) مرت ترجمة الزمخشري في الصفحة ٥١ .

(٤) وذلك أنه فسّر قوله تعالى ﴿ رسول كريم ﴾ على أنه هو جبريل عليه السلام ، وفضّله على النبي صلى الله عليه وسلم في الآية المذكورة وما بعدها . وفي هذا شطط . الآية ١٩ من سورة التكوين وما بعدها .

(٥) التوبة ، الآية ٤٣ . وتماها : ﴿ عفا الله عنك ﴾ ، لم أذنت لهم حتى يتيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ قال الزمخشري : «﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن الجناية ؛ لأنّ العفو رادف لها ومعناه : أخطأت وبشس مافعلت » وهذا سوء أدب بالغ منه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، يستهجن مثله منه .

(٦) قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : في الآية الأولى من سورة التحريم : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ، تبغني مرضاة أزواجك ، والله غفور رحيم ﴾ بعد تعقيبه على بعض الروايات التي تقول إنه صلى الله عليه وسلم حرم على نفسه جاريته مارية القبطية رضي الله عنها ، أو حرم أن يأكل العسل : فقال : «وكان هذا زلة منه ، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحلّ الله ، لأن الله عز وجل إنما أحلّ ما أحلّ الحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله ، فإذا حرمّ كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زلت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به » فزل بذلك الزمخشري بإساءة الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم .

البديعة، فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برز في جميع العلوم، وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار منقولاً ومعقولاً، في حق هذا الكتاب الذي اتخذت الأعاجم دراسته في هذا الزمان ديدنها. والقول عندنا فيه: أنه لا ينبغي أن يُسمح بالنظر فيه، إلا لمن صار على منهاج السنة، لاترحرزه شبهاً القدريّة». انتهى^(١).

قلت المفسرون قوم برعوا في علوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه؛ فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه، كأبي حيّان في (البحر) و(النهر)^(٢). والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفائها، سواء كانت صحيحة أم باطلة، كالثعلبي^(٣). والفقيه يكاد يسرد فيه من أبواب الطهارة إلى الفرائض، وربما استطرّد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية أصلاً. والجواب عن أدلة المخالفين، كالقرطبي^(٤). وصاحب العلوم العقلية - خصوصاً الإمام فخر الدين الرازي^(٥) - قد ملأ تفسيره بأقوال

(١) معيد النعم ٨٠ - ٨١.

(٢) أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي، الغرناطي الأندلسي الجياني، أثير الدين، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ولد في غرناطة ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها سنة ٧٤٥هـ بعد أن كف بصره. وقد اشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، كتب في القراءات والنحو والتصريف والأدب والطبقات وله ديوان شعر الأعلام ٧/١٥٢ عن الدرر الكامنة ٤/٣٠٢، بغية الوعاة ١٢١، فوات الوفيات ٢/٢٨٢، شذرات الذهب ٦/١٤٥، النجوم الزاهرة ١٠/١١١، طبقات السبكي ٦/٣١ وغيرها. وكتابه البحر المحيط في التفسير قال كاتب جلبي: كتاب عظيم في مجلدات اختصره في مجلدين وسماه النهر الماد من البحر. كشف الظنون ١/١٤٥.

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسّر من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ من كتبه عرائس المجالس في قصص الأنبياء، ويعرف تفسيره باسم تفسير الثعلبي، واسمه الكشف والبيان في تفسير القرآن. الأعلام ١/٢١٢ عن ابن خلكان ١/٢٢، إنباء الرواة ١/١١٩، البداية والنهاية ١٢/٤٠ وغيرها.

(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبّد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقرّ بمجنية ابن خضيب شمال أسبوط بمصر وتوفي بها سنة ٦٧١هـ وكتابه المشهور الجامع لأحكام القرآن في عشرين جزءاً يعرف بتفسير القرطبي وله مؤلفات. كان ورعاً متعبداً طارحاً للتكلف يمشي ثوب واحد وعلى رأسه طاقيته. الأعلام ٥/٣٢٢.

(٥) فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبد الله إمام مفسر أوجد زمانه في المعقول والمتقول وعلوم الأوائل وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته ويقال له: ابن خطيب الري رحل إلى خوارزم وماوراء النهر وخراسان وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ وأقبل الناس على كتبه في حياته وكان يحسن الفارسية وتفسيره مفاتيح الغيب في ثمان مجلدات وله آثار كثيرة وشعر بالعربية والفارسية. الأعلام ٦/٣١٣ عن طبقات الأطباء ٢/٢٣، الوافي بالوفيات ١/٤٧٤، مفتاح السعادة ١/٤٤٥، ذيل الروضتين ٦٨، لسان الميزان ٤/٤٢٦، البداية والنهاية ١٣/٥٥، طبقات الشافعية ٥/٣٣ وغيرها.

الحكماء والفلاسفة وشُبَّهَها، وخروجه من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجب من عدم المورد للآية. قال أبو حيان في البحر: «جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير».

والمبتدع ليس قصده إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد؛ متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال؛ ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾^(١) وأي فوز أعظم من دخول الجنة! أشار به إلى عدم الرؤية.

وأما الملحد فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله، كقول من قال في [قوله تعالى] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(٢): «ما على العباد أضر من ربهم؛ وعلى هذا وأمثاله يحمل ما أخرجه أبو يعلى وغيره، عن حذيفة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي أُمَّتِي قَوْماً يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، يَنْثُرُونَهُ نَثْرَ الدَّقْلِ، يَتَأَوَّلُونَهُ غَيْرَ تَأْوِيلِهِ»^(٣).

وعليك بتفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري^(٤)، الذي أجمع العلماء المعبرون على أنه لم يؤلف في التفاسير مثله. قال النووي في تهذيبه^(٥): «كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله». انتهى.

(١) آل عمران، الآية ١٨٥

(٢) الأعراف، الآية ١٥٥

(٣) المطالب العالية برقم ٣٥٢٨. والدقل أردأ التمر.

(٤) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، مؤرخ، مفسر، إمام، ولد في أمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، عرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى، له آثار من أشهرها جامع البيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الطبري وأخبار الرسل والملوك المشهور بتاريخ الطبري وغير ذلك، كان غزير العلم مجتهداً في الدين لا يقلد أحداً ومحققاً كان أسمر، أمين، نجلاً فصيحاً. الأعلام ٦٩/٦ عن إرشاد الأريب ٦/٤٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/٣٥١، الوفيات ١/٤٥٦، طبقات السبكي ٢/١٣٥ وغير ذلك. قال كاتب جلبي: قال السيوطي في الاتقان: وكتابه [تفسير الطبري] أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين. وقال النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري وعن أبي حامد الاسفرائيني أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً. وروي أن ابن جرير قال لأصحابه: أنتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره فقال: ثلاثون ألف ورقة. قالوا: هذا عما في الأعمار قبل تمامه. فاخصره في نحو ٣ آلاف ورقة. كشف الظنون ٢٣٣/١.

(٥) سبقت ترجمة الإمام النووي ص ٢٤. وقد أشرنا إلى قوله المنصوص ضمن الحاشية السابقة.

وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير . قال ابن الصلاح في فتاويه^(١) :
« وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي^(٢) المفسر ، أنه قال : صنف أبو عبد
الرحمن السلمي (حقائق التفسير)^(٣) فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر » . قال
ابن الصلاح : « وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم
يذكره تفسيراً ، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد
سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك منهم لنظير ماورد به القرآن ؛ فإن النظير يذكر
بالنظير ، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك ، لما فيه من الإيهام والإلباس » .
وقال النسفي في عقائده^(٤) : « النصوص على ظواهرها ، والعدول عنها إلى معان

(١) سبقت ترجمة ابن الصلاح صاحب المقدمة في علوم الحديث في الصفحة ١١١ . وأما كتابه الفتاوى المعروف
بفتاوى ابن الصلاح فقد جمعها بعض طلابه وهي في مجلد كثير الفوائد وبعض نسخ الكتاب مرتب على
الأبواب كشف الظنون ٢/٢٦٢ .

(٢) علي بن أحمد بن محمد الواحدي ، أبو الحسن ، مفسر عالم بالأدب قال عنه الذهبي إمام علماء التأويل ، كان
من أولاد التجار أصله من ساوة بين الري وهمذان ولد بنيسابور وتوفي بها سنة ٤٦٨ هـ وله تصانيف في التفسير
والواحدي نسبة إلى الواحد بن الدليل بن مهرة الأعلام ٤/٢٥٥ عن النجوم الزاهرة ٥/١٠٤ ، الوفيات
١/٣٣٣ ، إنباه الرواة ٢/٢٢٣ .

(٣) أبو عبد الرحمن السلمي ، محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي النيسابوري ، من علماء المتصوفة ، قال
الذهبي : شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم بلغت تصانيفه مائة أو أكثر ولد في نيسابور
وتوفي بها سنة ٤١٢ هـ الأعلام ٦/٩٩ عن طبقات الصوفية ١٦ ، الرسالة المستطرفة ٤١ مفتاح السعادة ١/٤٥١ ،
ميزان الاعتدال ٣/٤٦ تاريخ بغداد ٢/٢٤٨ وغيرها . وكتابه حقائق التفسير مختصر على طريقة أهل التصوف .
(٤) عمر بن محمد بن أحمد ، أبو حفص ، نجم الدين النسفي ، عالم بالتفسير والأدب والتاريخ من فقهاء الحنفية ،
ولد بنسف وإليها نسبته وتوفي بسمرقند سنة ٥٣٧ هـ . قيل : له نحو مائة مصنف في عدد من العلوم كالتفسير
والأدب والفقه والطبقات الأعلام ٥/٦٠ عن الفوائد البهية ١٤٩ ، الجواهر المضية ١/٣٩٤ ، لسان الميزان
٤/٣٢٧ ؛ إرشاد الأريب ٦/٥٣ . وكتابه العقائد يعرف بعقائد النسفي اعتنى به جمع من العلماء فشرحه
الفتنازاني وقال عنه : إن المختصر المسمى بالعقائد يشتمل على غرر الفوائد في ضمن فصول هي للدين قواعد
وأصول مع غاية من التنقيح والتهديب وعلى الفتنازاني حاشية أحمد بن موسى الخيالي . كشف الظنون ١/٢٨ .

يدعيها أهل الباطن إلحاداً. وقال التفتازاني^(١) في شرحه: «سميت الملاحدة باطنية لدعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم. وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية» قال: «وأما ما يذهب إليه بعض المحققين، من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك لا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان، ومحض العرفان»^(٢).

[٥١] - منصب حكماء الإسلام^(٣)

وهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر الفارابي^(٤)، وأبي علي بن سينا^(٥)، وغيرهما من الفلاسفة الذين نشأوا في هذه الأمة، واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم، وسموها «الحكمة الإسلامية»، ولقبوا أنفسهم «حكماء الإسلام» وهم أحق بأن يُسموا سفهاء جهلاء، [من أن يسموا حكماء]^(٦)؛ إذ هم أعداء

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين من أئمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان من بلاد خراسان وأقام بسرخس وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند فتوفي فيها سنة ٧٩٣هـ ودفن بسرخس. وكانت في لسانه لكثرة كتب في البلاغة عديدة، وفي الصرف والمنطق. الأعلام ٧/٢١٩ عن بغية الدعاة ٣٩١، مفتاح السعادة ١/١٦٥ الدرر الكامنة ٤/٣٥٠ وغيرها، واشتهر شرحه على عقائد النسفي.

(٢) انظر شرح التفتازاني على العقائد النسفية ص ١٤٨ ط مصر دار الكتب العربية الكبرى.

(٣) انظر معيد النعم ٧٧ وما بين معقوفتين مستدرك منه.

(٤) محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني فيلسوف تركي الأصل مستعرب ولد في فاراب على نهر جيحون وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها وألف بها أكثر كتبه ورحل إلى مصر والشام واتصل بسيف الدولة الحمداني وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في زمنه ويقال إنه هو الذي ابتكر آلة القانون وعرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو المعلم الأول. كان زاهداً لا يحفل بأمر مسكن ولا مكسب يميل إلى الانفراد بنفسه ولم يكن يوجد غالباً في مدة إقامته بدمشق إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض. له نحو مائة كتاب. الأعلام ٧/٢٠ عن وفيات الأعيان ٢/٧٦، طبقات الأطباء ٢/١٣٤، البداية والنهاية ١١/٢٢٤ وغيرها.

(٥) حسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، لقب بالفيلسوف الرئيس له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات أصله من بلخ ومولده في إحدى قرى بخارى وبها نشأ وتعلم ثم طاف البلاد وناظر العلماء واتسعت شهرته حتى تقلد الوزارة في همذان وثار عليه عسكروا ونهبوا بيته فتواري ثم سار إلى أصفهان وصنف بها أكثر كتبه وعاد في أواخر أيامه إلى همذان فمرض في الطريق ومات بها سنة ٤٢٨هـ. قال ابن قيم الجوزية: كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين وقال =

أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، والمحرفون لكلم الشريعة المطهرة عن مواضعه، عكفوا على دراسة ترهات هؤلاء الأقوام، وسموها الحكمة، واستجملوها من عري عنها، ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآناً ولا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعمر الله إن هؤلاء لأضرّ على عوام المسلمين من اليهود والنصارى؛ لأنهم يلبسون لباس المسلمين، ويدّعون أنهم من علمائهم، فيقتدي العامي بهم، وهم لا يعتقدون شيئاً من دين الإسلام، بل يهدمون قواعده، وينقضون عراه، عروة عروة. شعر:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا
لصون ديمائهم الأتسالا
فيأتون المناكر في نشاطٍ
ويأتون الصلاة وهم كسالى

قال التاج بن السبكي^(١): «وأما طائفة في زماننا هذا، وقبله بيسير، عكفت على هذه الحكمة المقيمة، من حيث نشأت لاتدري شيئاً سواها، اشتبه عليها أقوال كفارها بأقوال علماء الإسلام وتصرفت بينها بعقل خفيف^(٢)، لم تأتم بكتاب وسنة، ولم يضي لها نور بيرهان من النبوات، ثم تعتقد أنها على شيء، فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضلة. فالحذر الحذر منهم.

وقد أفتى جماعة من أئمتنا ومشيختنا، ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال في الفلسفة انتهى.

= ابن تيمية: تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبويات والمعاد والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغت علوهم فإنه استفادها من المسلمين وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم بأمر الله. صنف نحو مئة كتاب ونظم الشعر الفلسفي من أشهر كتبه القانون الذي بقي معولاً عليه في الطب ستة قرون وترجم إلى اللغات الأجنبية. الأعلام ٢/٢٤٢ عن وفيات الأعيان ١/١٥٢، تاريخ حكماء الإسلام ٢٧، تاريخ ابن العبري ٣٢٥، خزنة الأدب للبغداد ٤/٤٦٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٠٣، لسان الميزان ٢/٢٩١ وأغاثة اللفهان لابن الجوزي ٢/٢٦٦ وغير ذلك.

(١) انظر معيد النعم ٧٩.

(٢) خسفت العين إذا ذهب ضوءها. وخسفت عين الماء غارت. المصباح المنير. ولعل هذا منه.

[٥٢] - منصب المناطقة

قال الجلال السيوطي في كتابه (إنعام الدراية لقرء النقاية)^(١): «وتحرم علوم الفلسفة، كالمنطق، بإجماع السلف، وأكثر المعبرين من الخلف. ومن صرح بذلك ابن الصلاح^(٢) والنووي^(٣) وخلق لا يحصون. وذكر الحافظ سراج الدين القزويني^(٤) من الحنفية في كتاب ألفه في تحريمه: أن الغزالي رجع إلى تحريمه بعد ثنائه عليه في أول (المستصفى)^(٥). وجزم السلفي^(٦) من أصحابنا، وابن رشد^(٧) من المالكية بأن المشتغل فيه لا تقبل روايته» انتهى.

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الحضير السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة نشأ في القاهرة يتيماً ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس جميعاً فألف أكثر كتبه وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه وبقي كذلك حتى توفي سنة ٩١١ هـ وقيل إنه كان يلقب بابن الكتب لأن أباه كان طلب من أمه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض فولدته وهي بين الكتب. الأعلام ٣/٣٠١ عن الكواكب السائرة ١/٢٢٦، شذرات الذهب ٨/٥١، الضوء اللامع ٤/٦٥ وغيرها. وكتابه إنعام الدراية المذكور يضم علوماً مختلفة ذكر كاتب جلبي أنها ١٤ علماً مع زبدة مسائلها وهو شرح لكتابه النقاية والشرح في ٤ مجلدات. كشف الظنون ٢/٣٩٩ وانظر النص في إنعام الدراية ص ٢٤٠ مطبوع على هامش كتاب مفتاح العلوم للسكاكي القاهرة ١٣١٧ هـ.

(٢) تقدمت ترجمة ابن الصلاح في الصفحة ١١١.

(٣) سبقت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤.

(٤) سراج الدين القزويني، عمر بن علي بن عمر، أبو حفص، محدث العراق في عصره، ولد بقزوين ونشأ بواسط واشتهر ببغداد وبها توفي سنة ٧٥٠ هـ. الأعلام ٥/٥٦ عن غاية النهاية ١/٥٩٤، الدرر الكامنة ٣/١٨٠، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٥٨.

(٥) انظر ترجمة الغزالي في المقدمة. وكتابه المستصفى في أصول الفقه: ورتبه على مقدمة وأربعة أقطاب، القطب الأول في الأحكام والثاني في الأدلة والثالث في طريقة الاستثمار والرابع في المستثمر كشف الظنون ٢/٢٦٢. سبقت ترجمة السلفي في الصفحة ٥١.

(٧) هو محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة. من أعيان المالكية وهو جد ابن رشد الفيلسوف، له مؤلفات وفتاوى مولده ووفاته بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ. الأعلام ٥/٣١٦ عن قضاة الأندلس ٩٨، الصلة ٥١٨، بغية الملتبس ٤٠، أزهار الرياض ٣/٥٩ وغيرها.

وقال التاج بن السبكي^(١) : «والذي نقوله : إنه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه ، ويمتلى جوفه من عظمة هذا النبي الكريم وشرعته ، ويحفظ الكتاب العزيز ، وشيئاً كثيراً جداً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة المحدثين ، ويعرف من الفروع ما به يسمى فقيهاً مفتياً ، مشاراً إليه بين أهل مذهبه ، إذا وقعت حادثة فقهية أن ينظر^(٢) في الفلسفة . وأيما فقيه وصل إلى هذا المقام فله النظر فيه للردّ على أهلها ، ولكن بشرطين : أحدهما ؛ أن يثق من نفسه بأنه وصل إلى درجة لا تززعها رياح الأباطيل ، وشبه الأضاليل ، وأهواء الملاحدة . والثاني ؛ ألا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام ؛ فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الحكماء بكلام المسلمين ، وأدى الحال إلى طعن المشبهة وغيرهم من رعا الخلق في أصحابنا ، وما كان ذلك إلا في زماننا وقبله بيسير ، منذ نشأ نصير الطوسي ومن تبعهم لحياتهم الله تعالى .

«فإن قلت^(٣) فقد خاض حجة الإسلام الغزالي والإمام فخر الدين الرازي رحمهما الله تعالى في كلام الفلاسفة ، ودوناها وخلطهاها بكلام المتكلمين فهلاً ينكر عليهما ! قلت : إن هذين إمامان جليان ، ولم يخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين ، وضربت الأمثال باسمهما في معرفة علم الكلام على طريقة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم . فإياك أن تسمع شيئاً غير ذلك ، فتضلّ ضلالاً مبيناً . فهذان إمامان عظيمان ، وكان حقاً عليهما نصر المؤمنين ، وإعزاز هذا الدين ، بدفع ترهات أولئك المبطلين . فمن وصل إلى مقامهما لا ملام عليه بالنظر في الكتب الفلسفية ، بل هو مثاب مأجور .

(١) انظر معيد النعم ٧٨

(٢) المصدر المؤول فاعل حرام المذكور .

(٣) معيد النعم ٧٨ .

[٥٣] - منصب علماء أصول الدين (١)

هؤلاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة - ولله الحمد - في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون بالله سبحانه بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري (٢)، لا يحيد عنها إلا رَعَا ع من الحنفية والشافعية؛ لحقوا بأهل الاعتزال والتعطيل، وغير المحققين من الحنابلة؛ لحقوا بأهل التجسيم. وبرأ الله المالكية؛ فلم تر مالكيًا إلا أشعري العقيدة.

وبالجملة: عقيدة الأشعري هي ماتضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي (٣) الحنفي رحمه الله، التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة، هي وعقيدة أبي القاسم القشيري (٤)، والعقيدة المسماة بالمرشدة (٥) مشتركات في أصول أهل السنة والجماعة.

فقل لهؤلاء المتعصين في الفروع ويحكم! ذروا التعصب، ودعوا عنكم هذه الأهوية (٦)، ودافعوا عن دين الإسلام، وشمروا عن ساق الاجتهاد في حسم مادة من يسبب الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي نزل القرآن ببراءتها، وغضب الرب تعالى لها، حتى كادت السماء تقع على الأرض، ومن يطعن في القرآن وصفات الرحمن. فالجهاد في هؤلاء واجب فهلاً شغلتم أنفسكم به!

(١) معيد النعم ٧٥

(٢) مرت ترجمة الأشعري في الصفحة ٣٠.

(٣) مرت ترجمة الطحاوي في الصفحة ٣٠.

(٤) مرت ترجمة القشيري في الصفحة ١١٦.

(٥) العقيدة المرشدة لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨ هـ. كشف الظنون

. ٣٤ / ٢

(٦) انظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة ١٨.

ويأيتها الناس، بينكم النصاري واليهود قد ملأوا بقاع البلاد. فمن الذي انتصب منكم للبحث معهم، والاعتناء بإرشادهم. بل هؤلاء أهل الذمة في البلاد الإسلامية تتركونهم هملًا، تستخدمونهم، وتستطبونهم، ولا نرى فيكم أحداً يجلس مع ذمي ساعة واحدة يبحث معه في أصول الدين؛ لعل الله تعالى يهديه، على يديه، وكان من فروض الكفايات ومهمات الدين أن تصرفوا بعض هممكم إلى هذا النوع؛ فمن القبائح أن بلادنا ملأى من علماء المسلمين، ولا نرى فيها ذمياً دعاه إلى الإسلام مناظرة عالم من علمائنا، بل إنما يُسلم من يُسلم منهم، إما لأمر من الله تعالى لمدخل لأحد فيه، أو لعرض دنيوي.

ثم ليت من يُسلم من هؤلاء، ترى فقيهاً يمسكه ويحدثه ويعرفه دين الإسلام، لينشرح صدره لما دخل فيه، بل -والله- يتركونه هملًا، لا يُدرى ما بابطنه، هل هو كما يظهر من الإسلام، أو كما كان عليه من الكفر! لأنهم لم يُروه من الآيات والبراهين ما ينشرح صدره. فيا أيها العلماء! في مثل هذا فاجتهدوا وتعصبوا.

وقال التاج بن السبكي^(١): «وقد اعتبرت -لاينبئك- مثل خبير - فلم أجد أضّر على أهل عصرنا، وأفسد لعقائدهم من نظرهم في الكتب الكلامية التي أنشأها المتأخرون بعد نصير الدين الطوسي^(٢) وغيره. ولو اقتصروا على مصنفات القاضي أبي بكر بن الباقلاني^(٣) والأستاذ أبي بكر إسحاق الإسفراييني، وإمام

(١) معيد النعم ٧٩.

(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي، فيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والرياضيات علت منزلته عند هولاء فكان يطيعه فيما يشير به عليه، ولد بطوس قرب نيسابور وبنى في مراغة قبة ومرصداً عظيماً واتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة اجتمع فيها نحو أربعمئة ألف مجلد وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافاً تقوم بمعاشرهم وكان هولاء يمدونه بالأموال، وصنف كتباً كثيرة وله شعر كثير بالفارسية. توفي سنة ٦٧٢ هـ ببغداد. الأعلام ٣٠/٧ عن فوات الوفيات ١٤٩/٢ والوافي ١٧٩/١، شذرات الذهب ٣٣٩/٥، مفتاح السعادة ٢٦١/١ وغيرها.

(٣) محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلاني، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣ هـ. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، وكتابه المشهور اعجاز القرآن وغير ذلك. الأعلام ١٧٦/٦ عن وفيات الأعيان ٤٨١/١، تاريخ بغداد ٣٧٩/٥ وغيرها. ومن كتبه مناقب الأئمة، ودقائق الكلام، والملل والنحل، وهداية المرشدين، والاستبصار، وتمهيد الدلائل، والبيان عن الفرق، وكشف أسرار الباطنية، والتمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والخوارج والمعتزلة.

الحرمين أبي المعالي الجويني^(١) ، وهذه الطبقة ، لما جرى إلا الخير . ورأيي فيمن أعرض عن الكتاب والسنة ، واشتغل بمقالات ابن سينا^(٢) ، ومن نحانحوه ، وترك قول المسلمين : قال أبو بكر ، وقال عمر رضي الله عنهما ، وقال أبو حنيفة ، وقال الشافعي ، وقال الأشعري^(٣) ، وقال القاضي أبو بكر^(٤) ، إلى قوله : قال الشيخ الرئيس - يعني ابن سينا - وقال خواجه نصير^(٥) ، ونحو ذلك أن يضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق ، ويُنادى عليه : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة ، واشتغل بأباطيل المبتدعين .

أوما يستحي من يتخذ من قول ابن سينا وتعظيمه شعاراً من الله تعالى إذا رأى قوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبِ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ ﴾^(٦) ويذكر إنكار ابن سينا لحشر الأجساد وجمع العظام . انتهى .

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين ، الملقب بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين وذهب إلى المدينة فافتى ودرّس جامعاً طرق المذاهب ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها وكان يحضر دروسه أكابر العلماء . له مصنفات كثيرة في أصول الدين وأصول الفقه وغيرها توفي سنة ٤٧٨ هـ الأعلام ٤ / ١٦٠ عن وفيات الأعيان ١ / ٢٨٧ ، مفتاح السعادة ١ / ٤٤٠ ، تبين كذب المفتري ٢٧٨ وغيرها . وقد أشار ابن طولون قبل قليل إلى كتابه المسمى بالعقيدة المرشدة .

(٢) مرت ترجمة ابن سينا في الصفحة ١٢٤

(٣) مرت ترجمة الأشعري في الصفحة ٣٠ .

(٤) أي الباقلاني المذكور آنفاً .

(٥) أي نصير الدين الطوسي المذكور آنفاً .

(٦) القيامة ، الأيتان ٣ ، ٤

فمنهم طائفة استغرق حب اللغة قلبها، وملا فكرها، فأدأها إلى التعرف في الألفاظ، وملازمة حوشي^(٢) اللغة بحيث خاطبت من لا يفهمه. ونحن لاننكر أن الفصاحة فن مطلوب، واستعمال غريب اللغة عزيز حسن ولكن مع أهله ومن يفهمه؛ كما حكى أن أبا عمرو بن العلاء^(٣) قصده طالب ليقراً عليه، فصادفه بكلاً^(٤) البصرة وهو مع العامة، يتكلم بكلامهم، لا يفرق بينه وبينهم، فنقص من عينه. ثم لما نجز شغل أبي عمرو مما هو فيه، تبعه الرجل إلى أن دخل الجامع، فأخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان، فعظم في عينه، وعلم أنه كَلَّمَ كل طائفة بما يناسبها من الألفاظ، فهذا هو الصواب؛ فإن كل أحد يكَلِّم على قدر فهمه. ومن اجتنب اللحن وارتكب العالي من اللغة والغريب منها، وتحدث بذلك مع كل أحد عن قصد، فهو ناقص العقل.

وربما أتى بعض هذه الطائفة من ملازمة هذا الفن بحيث اختلط بلحمهم ودمهم فسبق لسانهم إليه، وإن كانوا يخاطبون من لا يفهمه؛ كما أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عمر المصري في كتابه، منها عن أم محمد عائشة بنت محمد المقدسية^(٥) أنا أحمد بن علي الجزري، عن محمد بن عبد الهادي^(٦)، عن الحافظ

(١) معيد النعم ٩٠

(٢) حوشي الكلام: وحشية وغريبه (مختار الصحاح).

(٣) أبو عمرو بن العلاء هو زبَّان بن عَمَّار التميمي المازني البصري، ويلقب أبوه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب، أحد القراء السبعة ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة ١٥٤هـ، وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية. الأعلام ٤١/٣ عن فوات الوفيات ١/١٦٤، نزهة الألباء ٣١، غاية النهاية ٢٨٨/١ وغيرها.

(٤) الكلاء ككتان: مرأى السفن، وموضع بالبصرة، وساحل كل نهر. القاموس: كلاً.

(٥) عائشة بنت محمد بن عبد الهادي، أم محمد المقدسية الأصل الصاحبية أسمعت على الحجَّار أربعين الطائي وأربعين الحجَّار وغير ذلك وأسمعت صحيح مسلم على جماعة وشاركت أختها فاطمة في كثير من المسموعات وحصلت على إجازات عدد من العلماء. كانت سهلة الإسماع سهلة الجانب ماتت سنة ٨١٦هـ وسمع منها الرحالة فأكثرُوا. إنباء الرواة ٢٥/٣

(٦) مرت ترجمة محمد بن عبد الهادي في الصفحة ٥١.

أبي طاهر السلفي^(١)، أنا المبارك بن عبد الجبار^(٢)، أنا عبد الكريم بن محمد المحاملي، أنا إسماعيل بن سعيد المعدل، ثنا محمد بن أحمد بن قطر السمسار، قال: قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الوراق: ازدحموا على عيسى بن عمر^(٣) النحوي، وقد سقط عن حمارة وغشي عليه، فلما أفاق، وأخذ في الاستواء للجلوس، قال: «مالككم تكأكم علي ولا تكأكم على ذي جنة، افرنقوا عني». (ومعنى تكأكم تجمعتن. وافرنقوا: تنحوا بلغة أهل اليمن).

فهذا الرجل كان إماماً في اللغة، وكانت هذه الحالة منه لا تقتضي أنه يقصد هذه الألفاظ، بل هي دأبه، فسبق لسانه إليها.

وحكي أن علي بن الهيثم^(٤) كان لما غلب عليه من ذلك، تأتيه العامة أفواجا لسماع كلامه، وأنه مر به مرة فارسي قد ركب حماراً، خلفه جحش، ويده عذق قد ذهب بسرّه^(٥) إلا قليلاً، يقوده بقرعة يتبعها عجل لها، فناداه علي بن الهيثم: يا صاحب البیدانة القمرء، يتلوها تولب، بيده شملول يطبي به خزومة يقفوها عجول، أنقايض بعجولك جُحجُحاً زهما؟ قال فالتفت إليه الفارسي، وقال: «يا بابا! فارسي هم ندائم^(٦)». (البیدانة: الأتان. والقمرء: البيضاء الوجه).

(١) مرت ترجمة السلفي في الصفحة ٥١.

(٢) المبارك بن عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسين البغدادي الصيرفي، ابن الطيوري محدث عالم مفيد مكثر أمين صدوق صحيح الأصول رصين ورع وقور حسن السمعت كثير الخير. توفي سنة ٥٠٠ هـ سیر أعلام النبلاء ٢١٣/١٩.

(٣) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان، من أئمة اللغة، وهو شيخ الخليل بن أحمد وسيبويه وابن العلاء، أول من هذب النحو ورتبه، وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه، وهو من أهل البصرة، ولم يكن ثقفياً، وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم. وكان صاحب تقعر في كلامه، مكثراً من استعمال غريب اللغة، له نحو ٧٠ مصنفات احترق أكثرها. توفي سنة ١٤٩ هـ الأعلام ١٠٦/٥ عن طبقات النحويين للزيدي ٣٥، وفيات الأعيان ٣٩٣/١، إرشاد الأريب ١٠٠/٦، خزنة الأدب للبغدادي ٥٦/١، نزهة الألبا ٢٥ وغيرها.

(٤) علي بن الهيثم اللغوي الكاتب الأنباري ويعرف بجونقا. كان فاضلاً أديباً، كثير الاستعمال لعويص اللغة، تولى الكتابة في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء العباسيين قال المأمون: أنا أتكلم مع الناس كلهم على سجيته، إلا علي بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته، لأنه يغرق في الإغراب. بغية الوعاة ٢/٢١٢ ط القاهرة ١٣٨٤. وله قصص عجيبة في الإغراب ذكرها في إرشاد الأريب ١٥/١٣٤.

(٥) العذق: قنو النخلة. والبسر: الثمر قبل إرطابه. القاموس عذق ويسر.

(٦) معناها بالفارسية: وحتى الفارسية فإني لأعرفها. أي فكيف تكلمني بالوعر من العربية؟ وأنا لا أكاد أعرف الفارسية.

والتَّوَلَّبَ : ولد الحمار . والشُّمْلُولُ : العذق . ويَطْبِي : يدعو . والخَزْوَمة : البقرة الوحشية . والجُحْجُوحُ : الكبش . والزَّهْمُ : السمين . فهذا علي بن الهيثم إن لم يكن قصد المؤانسة لبعض الحاضرين ولم يكن بدرت هذه الألفاظ عن غير قصد فهو خسيف العقل^(١) .

ولا يُنكر أنهم يأتون بالألفاظ الغريبة لكثرة استعمالهم لها ، وغلبتها على ألسنتهم ، ظناً منهم أن كلَّ أحد يعرفها ، وإلا فكيف يذكرونها في وقت لا يظهر فيه لاستعمالها وغلبتها سبب غير ذلك كما أسلفنا ! .

كما يحكى^(٢) أن أبا علقمة الواسطي عرض له مرض شديد ، فأتاه أعين الطبيب^(٣) فسأله عن سبب علته ، فقال : أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطسئتُ طسأةً ، فأصابني وجع بين الوابلة إلى داية العنق ، فما زال يتمأى ويتمي ، حتى خالط الخلب ، وتألّت له الشراسيف . فقال له أعين الطبيب : خذ شرفقاً وشبرقاً ، فزهزقه ودقده .

فقال أبو علقمة : أعد عليّ ، فإنّي ما فهمت . قال الطبيب : قبّح الله أقلنا إفهاماً لصاحبه .

(الجوازل : فراخ الحمام ، الواحد جَوْزَل . والطسأة : الهیضة . والوابلة : طرف الكتف ، وهو رأس العضد . وداية العنق : فقرها . ويتمأى : يتمدد . وينمي : يتزايد . والخلب بالكسر : حجاب القلب ، ويقال : مضغة فوق الكبد . والشراسيف : غضاريف متصلة بالأضلاع) .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة ١٢٥ .

(٢) معيد النعم ٩٢ .

(٣) أعين بن أعين ، طبيب حسن المعالجة ، كان متميزاً في الطب بمصر له مؤلفات الأعلام ١/ ٣٣٥ عن طبقات الأطباء ٨٧/ ٢ .

وحكى ابن دريد^(١) أن الأصمعي^(٢) ذكر أن رجلاً مشجوجاً جاء إلى صاحب الشرطة، فشكى أن امرأ شجّه، فأمر بإحضاره، فلما حضر سئل، فأنكر. فقال المشجوج: لي أعرابي بالسوق يشهد لي. فلما حضر الأعرابي سئل، فقال: بينا أنا على كودن يّضهزني، إذ مررت بوصيد دار، فإذا أنا بهذا الأخيشب، يدعُ هذا دعاً متراًسفاً، فعلاه بمنّساته، فقهر، ثم بدّره بمثلها فقطر، ثم أدبر، وبرأسه جديع يشج نجيعاً على كتّده. فقال صاحب الشرطة: شجني وأعفني من سماع شهادة هذا الأعرابي.

(الكودن: البرذون^(٣)). يّضهزني: يحركني. الوصيد: الباب. الدّع: الدفع. والأخيشب: تصغير الأخشب وهو الغليظ. المنّساة: العصا. قهقر: رجع القهقري. قَطْرَة: ألقاه على إحدى قُطْرِيه، وهما جانباه. السّح: الصب. النجيع: الدم. الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر، وهو بُعيد مفرز العنق).

وحكى أبو القاسم الراغب^(٤)، قال: ابتاع تلميذ ليعقوب بن إسحاق

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عُمان من قحطان، أبو بكر من أئمة اللغة والأدب وكانوا يقولون ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء وهو صاحب المقصورة الدريدية ولد في البصرة وانتقل إلى عُمان فأقام اثني عشر عاماً وعاد إلى البصرة ثم رحل إلى نواحي فارس فقلده آل ميكال ديوان فارس ومدحهم بقصيدته المقصورة ثم رجع إلى بغداد فاتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه كل شهر خمسين ديناراً فأقام بها إلى أن توفي سنة ٣٢١هـ وله آثار عديدة من أشهرها الجمهرة في اللغة ٣ مجلدات. الأعلام ٦/ ٨٠ عن إرشاد الأريب ٦/ ٤٨٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٩٧، طبقات الشافعية ٢/ ١٤٥، تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥ وغيرها.

(٢) عبد الملك بن قُريب الأصمعي، أبو سعيد، راوية العرب، أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبته إلى جده أصمعي ولد بالبصرة وتوفي بها سنة ٢١٦هـ طوف كثيراً في البوادي وتلقى أخبارها وعلومها وأتخف بها الخلفاء فكافأوه بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر، وكان يحفظ ١٠ آلاف أرجوزة وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب. الأعلام ٤/ ١٦٢ عن جمهرة الأنساب ٢٣٤، ابن خلكان ١/ ٢٨٨، تاريخ بغداد ١/ ٤١٠، نزهة الألبا ١٥٠، إنباه الرواة ٢/ ١٩٧ وغيرها.

(٣) البرذون: دابة من الخيول الجافية الغليظة الأعضاء العظيمة الحلقة، لها جلد على السير في الشعاب والوعر. تاج العروس: برذن.

(٤) أبو القاسم الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصفهان، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي من كتبه محاضرات الأدباء مجلدان ويسمى محاضرات الراغب، والأخلاق ويسمى أخلاق الراغب توفي سنة ٥٠٢ الأعلام ٢/ ٢٥٥ عن تاريخ حكماء الإسلام ١١٢ وروضات الجنات ٢٤٩، سفينة البحار ١/ ٥٢٨، بغية الوعاة ٣٦٦ وغيرها.

الكندي^(١) جارية فاعتاصت عليه، فشكا خالها إلى يعقوب فقال له: جثني بها. فلما حضرت عنده قال لها: ياهذه اللُّغُوبَةُ^(٢)، ماهذه الاختبارات الدالات على الجهالات! أما علمت أن فرط الاعتباطات من الموبقات على طالبي المودّات مؤذّات بعدم المعقولات! فقالت الجارية حيّاها الله: أما علمت أن هذه العشوبات المنتشرات على صدر ذوي الرقاعات محتاجات إلى المواسي الحالقات. فقال يعقوب: لله درها! لقد قسّمت الكلام تقسيماً.

والحكايات في هذا الباب كثيرة، وتقتضي الخروج من الجدّ إلى ضرب من الهزل. والحاصل أن ما كان الحامل عليه غلبة هذه الصناعة مذموم من جهة أنّ ذا الصناعة كان ينبغي أن يقوم قلبه ودينه قبل أن يقوم ألفاظه. فاللحن في اللفظ، ولا اللحن في الدين.

وقد غلب على كل ذي فن فنهم؛ بحيث إنّ بعض الأكابر كان آخر كلامه: هاتوا القَبَاءَ^(٣) الفلاني. وسأل بعضهم أبا طاهر الزيادي^(٤)، وهو في التَّزَعُّعِ عن ضمان الدَّرَك. وحكاية أبي زرعة فيمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة شهيرة، وهي أنه سئل وهو في التَّزَعُّعِ عن هذا الحديث، فسأقه بإسناده إلى أن وصل

(١) يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف، فيلسوف، أحد أبناء الملوك من كنده، نشأ بالبصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك وألف وترجم وشرح كتباً عديدة يزيد عددها على ٣٠٠ مؤلف وشي به إلى الخليفة المتوكل فضرب وأخذت كتبه ثم ردت إليه وأصاب عند المأمون والمعتصم منزلة وإكراماً توفي نحو سنة ٢٦٠ هـ. الأعلام ٨/ ١٩٥ عن طبقات الأطباء ١/ ٢٠٦، تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٤١، طبقات الحكماء والأطباء لابن جليجل ٧٣، لسان الميزان ٦/ ٣٠٥ وغيرها.

(٢) اللُّغُوبَةُ: الحمقاء. انظر لسان العرب: لغب.

(٣) القباء من الثياب: المشقوق الذي يُضم طرفاه. تاج العروس: قبا.

(٤) محمد بن محمد بن محمّش، أبو طاهر الزيادي، إمام المحدثين والفقهاء بنيسابور في زمانه، كان شيخاً أديباً عارفاً بالعربية، والزيادي نسبة إلى زياد بعض أجداده، أو لأنه سكن ميدان زياد بنيسابور. وضمن الدَّرَك رد الثمن للمشتري عند استحقاق المبيع بأن يقول تكفلت بما يدرك في هذا المبيع، أو هو الحق الواجب للمشتري والبائع عند إدراك المبيع، أو الثمن مستحقاً وهو الثمن أو المبيع. وقد قال الزيادي عندما سئل عن ذلك: إن قبض الثمن فيصح، وإلا فلا يصح. قال لأنه بعد قبض الثمن يكون ضمان ماوجب. طبقات الشافعية ٣/ ٨٢ وجامع العلوم ٢/ ٢٧٠، والقاموس الفقهي ٢٢٥. وتوفي الزيادي بعد سنة ٣٢٨ هـ.

لا إله إلا الله ، ومات قبل أن يقول : دخل الجنة ؛ فلقد نفعه الله بعلم الحديث^(١) .
ومن أكثر من شيء ظهر على فلتات لسانه ، وكل إناء بالذي فيه ينضح^(٢) .

ومنهم من شغل نفسه بالألفاظ وأعرض عن معانيها بحيث انتهى به الحال إلى ضرب غريب من الخطأ ؛ قال أبو حيان التوحيدي^(٣) : إياك أن تقيس اللغة ، فلقد رأيت نبيها من الناس وقد سئل عن قوم ، فقال : هم خروج . فقيل : ماتريد بهذا ؟ قال : قد خرجوا . فكأنه أراد : خارجون . فقيل : هذا ماسمع ! فقال : كما قال تعالى : ﴿ إذ هم عليها قعود ﴾^(٤) أي قاعدون . فضحك به . وسئل أبو الفرج البغدادي : هل يقال لعارف اللغة لغوي ، بفتح اللام أو ضمها ؟ فقال بفتحها ، أما سمعتم قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ قال له موسى إنك لغوي ﴾^(٥) فضحكوا منه . إلى غير ذلك .

(١) أبو زرعة الرازي هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد ، إمام حافظ متقن ثقة مكث ، وهو محدث الري ونسبته إليها ، جالس أحمد بن حنبل ، وكان يشبه به . توفي نحو سنة ٢٦٤ . وقصته هذه مشهورة عنه . ذكرها الخطيب البغدادي ٣٣٥ / ١٠ . وهي في سير أعلام النبلاء ٦٥ / ١٣ . وأخرج الحديث المذكور أبو داود برقم ٣١١٦ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في الجنائز باب التلقين ، والحاكم في المستدرک ٣١٥ / ١ وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه كذلك أحمد بن حنبل في مسنده ٢٣٣ / ٥ .

(٢) قال الميداني : « كل إناء يرشح بما فيه . ويروي ينضح بما فيه أي يتحلب » مجمع الأمثال ١٩٢ / ٢ ط بيروت ١٤٠٨ هـ .

(٣) علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، أبو حيان ، فيلسوف ، متصوف معتزلي ، ولد في شيراز أو نيسابور وأقام مدة ببغداد وانتقل إلى الري فصحب ابن العميد والصاحب بن عباد ، فلم يحمد ولاهما ووشي به إلى الوزير المهلب فطلبه ، فاستتر منه ومات في استتاره سنة ٤٠٠ هـ قال ابن الجوزي : زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندي والتوحيدي والمعري وشرهم التوحيدي لأنهما صرحا ولم يصرح . ولما انقلبت به الأيام رأى أن كتبه لم تنفعه وضم بها على من لا يعرف قدرها فأحرقها ولم يسلم منها غير مانقل قبل الإحراق وهي مشهورة كالمقابس والصدقة والصديق والإمتاع والمؤانسة . الأعلام ٣٢٦ / ٤ عن طبقات السبكي ٢ / ٤ ، بغية الوعاة ٣٤٨ ، إرشاد الأرباب ٣٨٠ / ٥ ، ميزان الاعتدال ٣ / ٣٥٥ وغيرها .

(٤) البروج ، الآية ٦ .

(٥) القصص ، الآية ١٨ ، وتماها : ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين ﴾ .

فمنهم طائفة استولى حب النحو على قلبها، وملأ ذهنها، فأدّاها إلى التمشّدق^(٢) بالألفاظ، بحيث خاطبت به من لا يعرفه، فعذّ ذلك من جهلها، كما حكى أن طبيباً دخل إلى نحوي مريض، فقال: ما كان أكلك أمس؟ قال: أكلت لحم عَطُط، وساقه خرّنت، وجوّجُو حَيْقُطان اقتنصه بازي، فلما كان الدجى أصبتُ منه مغمّة في الحشا، وقرقرة في المعى. فقال الطبيب للحاضرين: هذه خفة ارتفعت إلى الدماغ، فأصلحو الغذاء له، قبل أن يُجنّ. (العطط: الجدي. الخرّنت: ولد الأرنب. الجوّحُو: الصدر. الحَيْقُطان بالطاء المهملة: الدراج الذكر). وغالبهم^(٣) شغل نفسه بالألفاظ، وأعرض عن معانيها، فقال بعضهم في قول الشاعر:

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم^(٤)
هذا لحن؟ فأين فعلا لما؟ وعلام نصب [لفظ الجلالة]، ولأي شيء فتح الدال من عبد؟.

وجوابه: أنه لم يتأمل؟ أما عبد فترخيم عبدة وأما [لفظ الجلالة] فنصب على الإغراء. وأما فعلا لما؛ فسقاؤنا [فاعل] مرفوع بفعل محذوف فسرّه قوله: وهى، أي ضَعُف. والجواب محذوف تقديره: قلت؛ بدليل قوله: أقول. وقوله: شم، فعل أمر من قولك: شمتُ البرق إذا نظرت إليه. والمعنى: أقول لما سقط سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس، قلت لعبدة احذري الله شمي^(٥) البرق.

(١) انظر معيد النعم ٩٤

(٢) لعله أراد التشّدق: وهو من تشدّق إذا لوى شدقه للتفصّح، انظر القاموس: شدق.

(٣) معيد النعم ٩٧

(٤) البيت من شواهد ابن هشام في مغني اللبيب ط٦ بيروت ١٩٨٥ م، الشاهد رقم ٥١٢. وقد أوردته هناك بجزء عبد الله في اللفظتين.

(٥) في الأصل شم يحذف ياء المخاطبة.

وفي قول الآخر:

عافت الماء في الشتاء فقلنا برّديه، تصادفيه سخينا^(١)
كيف تبرده فتصادفه سخينا؟! وهذه غفلة، والأصل: بل رديه، ثم كتب جملة
واحدة لأجل الإلغاز.

وفي قول الآخر:

لما رأيت أبا يزيد مقاتلاً أدع القتال وأشهد الهيجاء^(٢)

أين جواب لما؟ وم انتصب أدع؟ وهذه غفلة أيضاً؛ فالأصل: لن ما، ادغمت
النون في الميم للتقارب، ووصلا في الخط للإلغاز، وحقهما أن يكتبتا منفصلين.
وأما انتصاب أدع فبلن. وما الظرفية وصلتها ظرف له، فاصل بينه وبين لن
للضرورة. فيسأل حيثذ: كيف يجتمع قوله: لن أدع القتال، [مع قوله: لن أشهد
الهيجاء؟ والهيجاء مشتجر الحرب؟ والجواب أن أشهد ليس معطوفاً على أدع، بل
نصبه بأن مضمرة، وأن والفعل عطف على القتال] ^(٣)؛ أي لن أدع القتال وشهود
الهيجاء؛ على حدّ قول الشاعر^(٤):

للبس عباءة وتقرّ عيني أحب إليّ من لبس الشفوف

وفي قول الآخر:

ويح من لام عاشقاً في هواه! إن لومّ المحب كالإغراء^(٥)

كيف ارتفع (الإغراء) بعد كاف التشبيه؟ والجواب: أن الكاف ضمير
المخاطب متصلة بالمحب، والألف واللام في (المحب) بمعنى الذي [أحبّ]،

(١) هذا البيت من شواهد ابن هشام في مغني اللبيب برقم ٥١٥.

(٢) أورده ابن هشام في المغني برقم ٥١٤.

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من معيد النعم.

(٤) أورده ابن هشام في المغني برقم ٤٧٩، ٦٧٠، ٨٦٤، ٩٤٨. وهو منسوب لميسون بنت بحدل الكلبيّة تزوجها
معاوية فولدت له يزيد وقد سمعها كما قيل تنشد أبياتاً منها هذا البيت تحنّ فيها إلى حياة البادية فطلقها.
والشفوف: الثياب الرقيقة. وتقر: منصوب بأن مضمرة والمصدر المؤول منهما معطوف على لبس وهو من
شواهد ابن عقيل ١٢٧/٢، خزائن الأدب ٣/٥٩٢، ٦٢١.

(٥) أورده البيت الحسن بن أسد الفارقي (ت ٤٨٧) في كتابه الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ص ٧١.
وقال: كما تقول: هذا الضارب زيداً والشاتم عمراً بمعنى الذي ضرب زيداً.

و(الإغراء) خبر إنّ، والمعنى: إنّ لوم الذي حبك إغراء. وحق الكاف أن توصل في الخط بالمحب، ولكن فصلت للغز.

وفي قول الآخر:

يا صاحب ملك [الفؤاد] ^(١) عشية زار الحبيبُ بها خليل نائي
لما بدا لم أدرِ بدر دجّة أو وجه من أهواه طرفي رائني
كيف جر صاحب، وهو منادى مفرد؟ وجوابه: أنه يا صاحب مرخم؛ وبن فعل
أمر من بان يبين، إذا فارق. وكتبت هكذا على نحو صاحب، [لأجل] الإلغاز.
ويقال: علام نصبت بدر في قوله: بدر دجّة، وما قبل الاستفهام لا يعمل فيه؟
وجوابه أنه منصوب براء. والمعنى: لم أدر، طرفي رأى بدر دجّة أم وجه من
أهواه.

وفي قول الآخر:

لا تقنطن وكن في الله محتسباً فيينما أنت ذا [يأس] أتى الفرجا ^(٢)

كيف نصب الفرج، وهو فاعل أتى؟ والجواب: أنه مفعول، والعامل فيه اسم
الفاعل وهو محتسب، والتقدير: وكن في الله محتسباً الفرج، فيينما أنت ذا يأس
أتى. وفي قول الآخر:

فرعون مالي، وهامان الألى زعموا أني بخلت بما يُعطيه قارونا ^(٣)
كيف نصب فرعون وقارون؟. وجوابه: أنّ فر فعل أمر من وفر له العطية،
ومنه قوله ^(٤) «عطاء موفورا». وعونة: امرأة رخمها، فقال عون. والمعنى: أعطي
عونة مالي. وأما وهما فدعاء من وهى يهي إذا ضعف. ومان: جمع مائة: البطن،
وهي أسفل السرة. يقول: ضعف مان الذين زعموا أني بخلت. وقارون مفعول

(١) في الأصل القوي والصواب ما أوردناه.

(٢) الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ١٣٦، وما بين معقوفتين في الأصل عشر.

(٣) الإفصاح ٣٦٢. ومعيد النعم ١٠٠

(٤) في الأصل «قوله تعالى»، متوهماً أنّ المثال آية كريمة، وليس في القرآن الكريم عطاء موفوراً بل قوله تعالى: ﴿فمن تبعك منهم فإن جزاءكم جزاء موفوراً﴾ الآية ١٧ من سورة الإسراء.

ثانٍ ليعطيه، و[المفعول] الأول الهاء العائدة إلى ما الموصولة، وفاعل يعطيه مضمَر
للعلم به. كأنه [قال] ^(١): يعطيه الله قارون.

وفي قول العباس بن مرداس ^(٢):

ومن قبلُ أمتاً - وقد كانَ قومُنا يُصلُّونَ للأوثانِ قبلُ - محمداً

[قال مرة طالب نحوي] ^(١): كيف نصب محمداً وهو مضاف إليه؟ [ف قيل له

قبل] ^(١) الجواب: هل صلى المسلمون قط لمحمد صلى الله عليه وسلم، أو لربه

تعالى؟ فقال: بل لربه تعالى. ف قيل له: فكّر؛ فإن أحداً لم يصل قط للنبي صلى

الله عليه وسلم، لا قبل الأوثان ولا بعدها. والجواب أن أمتاً في البيت معناه

صدقنا. ومحمداً: مفعول أمتاً. أي: ومن قبلُ صدقنا محمداً، وقد كان قومنا

يصلون للأوثان قبل. وقبل مقطوعة عن الإضافة ^(٣)، بنيت على الفتح. واللغة

الغالبة بناؤها على الضم. وقيل أراد النكرة، أي قبلاً، ثم حذف التنوين اضطراراً.

وهذا بحر لا ساحل له.

وبعضهم راعى المعاني، فأتى من قبل الألفاظ؛ ألا ترى إلى قول بعضهم في

[قوله تعالى]: ﴿وَمُودٌ فَمَا أَبْقَى﴾ ^(٤): إنَّ مُمودَ مفعول مقدم، وهو خطأ؛ فإن

لما النافية الصدر، فلا يعمل مابعداً فيما قبلها.

والأمثلة في هذا كثيرة.

(١) ما بين معقوفتين مستدرك من معيد النعم.

(٢) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي من مضر، شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة

أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبيل فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ويدعى فارس الغبيد ومو فرسه وكان

بدوياً قحاً وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية ومات في خلافة عمر نحو سنة ١٨هـ وهذا البيت أورده الفارقي في

الإفصاح ١٦٢، ومعيد النعم ٩٩. انظر الأعلام ٣/ ٢٦٧ وخزانة الأدب ١/ ٧٣

(٣) حكى ثعلب عن القراء أن العرب قد بنت (قبل) على الفتح وكذلك (بعد) و(حيث) الإفصاح ١٦٢. وانظر

توضيح البيت هناك.

(٤) النجم، الآية ٥١.

[٥٦] - منصب الأدباء (١)

فمنهم من تعمق في الأدب، وصار أكثر كلامه مسجوعاً، حتى انتهى به الحال إلى أن وقع في الكنيف، فجأؤوه بكتّافين^(٢)، فكلّمه أحدهما لينظر أهو حي؟ فقال: اطلبالي حبلاً دقيقاً، وشدّاني شدّاً وثيقاً، واجذباني جذباً رقيقاً. فقال أحدهما: أنا والله لا أنقذه، فإنّه في الخرا إلى الحلق، ولا يدع الفضول. حكاه صاحب البصائر^(٣).

[٥٧] - منصب العروضيين^(٤)

فمنهم من غلب عليه معرفة الوزن، حتى حكى أن امرأة جاءت إلى عروضي بقال، فقالت: أريد بذّي القطعة زيتاً، وبذّي البيضة حناً، فشغل كلامها عن مبايعتها، وأخذ يقطعه ويقول:

وبذّي القطعة زيتاً فاعلاتن فاعلاتن

فقالت المرأة: أملك الفاعلة، وشتّمته، وانصرفت.

(١) معيد النعم ١٠١

(٢) الكنيف: الساتر، وقيل للمرحاض كنيف لأنه يستتر قاضي الحاجة. (المصباح المنير) أراد هنا حفرة المجاري. والكثاف من يعمل بتنظيفها.

(٣) بصائر القدماء وبشائر الحكماء المعروف بالبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ومرة ترجمته في ص ١٣٦.

(٤) معيد النعم ١٠١

[٥٨] - منصب الإفتاء^(١)

وقد خَصَّصَ كِتَابُ أَدَبِ الْفَتَا بالتصنيف . وذكر الفقهاء مالا طائل في إعادته ، لكننا ننبه على ماكثر في بعض المفتين ، فنقول : منهم من يسهل أمر الشرع ، ويتناهى إلى أن يفتي ببعض مالا يعتقده من المذاهب ، ويرخص لبعض الأمراء [ما لم يرخص فيه لعموم الخلق ، بعض العلماء]^(٢) ؛ فيقول مثلاً لمن سأله عن انتقاص الوضوء من مس الذكر لا ينقض عند أبي حنيفة ، وعن لعب الشطرنج ، [وأكل لحوم الخيل] حلال عند الشافعي ، وعن مجاوزة الحد في التعزيرات جائز عند مالك ، وعن بيع الوقف إذا خرب وتعطلت منفعته ، ولم يكن له ما يعمر به حلال عند أحمد بن حنبل . وهذا فليت شعري ، بأي مذهب أفتى هذا المفتي؟! وعلى أي طريقة جرى؟! وبأي إمام تعلق؟! فلقد ركب لنفسه من مجموع هذه الأمور مذهباً لم يقله أحد .

فإن قلت : أليس قد ذهب بعضهم إلى جواز تتبع الرخص؟ فالجواب : ذلك على ضعفه لا يوجب إغراء السفلة بدين الله تعالى ، وتخصيص الأمراء دون غيرهم . وقائل هذه المقالة يخصص بها من شاء ، ولا يعتقدها أيضاً؛ فإنه لو اعتقدها لم يخصص بها ، وهذا من علامة الاستهانة بدين الله تعالى . نعوذ بالله من الخذلان . وما هذا المفتي إلا ضال ، خارق لحجاب الهيبة ، مسقط لأبهة الشرع ، مفسد لنظام الدين . أنشدت لبعض سفهاء الشعراء ، ويقال إنه أبو العلاء المعري :

الشافعي من الأئمة قائلٌ اللعبُ بالشطرنج غيرُ حرامٍ
وأبو حنيفة قال وهو مصدقٌ في كل ما يروي من الأحكام

(١) معيد النعم ، المرجع السابق ، وما بين معقوفين في النص مستدركه منه .

(٢) في الأصل : ما رخص فيه بعض العلماء لعموم الخلق . والتصحيح من معيد النعم .

شَرِبُ المثلث والمربع^(١) جائز فاشرب على أمنٍ من الآثام
وأباح مالك الفقاح^(٢) تكرماً في ظهري جارية وظهري غلام
والخبز أحمد حل جلد^(٣) عميرة وبذلك يستغنى عن الأرحام
فاشرب ولط وازن وقامر واحتجج في كل مسألة بقول إمام
فقلت: رأيي في مثل هذا الشاعر أن يضرب بالسياط، ويطاف به في
الأسواق، فقبحه الله وأخزاه، لقد اجتراً على أئمة المسلمين، وهداة المؤمنين. وقد
افتري على مالك فيما عزا إليه، وعلى الكل في تسمية الشطرنج قماراً. وإطلاق
الشرب والمواط والزنا على ماسمائه. ومن هذه حاله يؤول - والعياذ بالله تعالى -
إلى الزندقة. ولعل الأصل في هذا قول أبي نواس^(٤):
أباح العراقي النبيذ وشربه وقال: حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سأخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها، لا فارق الوازر الوزر

(١) المثلث العنبي: ماء العنب الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه، ثم يوضع حتى يغلي ويشد ويقذف بالزبد. وكذا إن صب فيه الماء حتى يرق بعدما ذهب ثلثاه، ثم يطبخ أدنى طبخة، ثم يترك إلى أن يغلي ويشد ويقذف بالزبد يسمى مثلثاً أيضاً إلا أنه مخالف لعامة الكتب فإنه يسمى بأسماء آخر كالجهموري لاستعمال الجهمور والحميدي منسوب إلى حميد الذي صنعه وأبا يوسف ويعقوبي وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله مالم يسكر خلافاً لحمد ومالك والشافعي رحمهم الله. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/ ٢١٢. ولم نجد معنى المربع ولعله على شاكلته، وقد وردت كلمة المربع في الأصل: والمنصف.

(٢) الفقه: الدبر، والجمع الفقاح، القاموس: فقح.

(٣) جلد عميرة كناية عن الاستملاء باليد القاموس عمر.

(٤) لم نجد الأبيات في المطبوع من ديوان أبي نواس، وإنما هي في ديوان ابن الرومي ٧٨/١ ط القاهرة بتحقيق كامل كيلاني والرواية فيه:

أحل العراقي النبيذ وشربه وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد فحلت لنا بين اختلافهما الخمر

وابن الرومي هو علي بن العباس بن جريج الرومي، شاعر كبير من طبقة بشار والمتني، رومي الأصل، كان جدّه من حوالي بني العباس ولد ونشأ ببغداد، ومات بها مسموماً سنة ٢٨٣. قال المرزباني: لأعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مؤوس إلا وعاد إليه، فهجاه، فلذلك قلت فائدته من قول الشعر، وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاة. الأعلام ٤/ ٢٩٧ عن وفيات الأعيان ١/ ٣٥٠ معاهد التنصيص ١/ ١٠٨، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢.

ومعنى هذا أن أبا حنيفة - وهو العراقي - أباح النبيذ إذا لم يسكر وحرّم المسكر مطلقاً، نبيذاً كان أم خمراً، والخمر مطلقاً مسكراً كان أم غير مسكر. وأن الشافعي - وهو الحجازي - قال: الشرابان واحد: النبيذ والخمر فيحرّم قليل كل منهما وكثيره. فركّب هو من بين قوليهما قولاً ثالثاً، لكنه رافع للمجمع عليه؛ وهو وفاق الشافعي على أن الشرابين واحد، لكن لا في الحرمة، بل في الحلّ، فهو مع أبي حنيفة في تحليل النبيذ غير المسكر، ومع الشافعي في أن المسكر والخمر مثل النبيذ، ومخالف له في حرمة المثلث فيقول مثله، لكن في الحلّ. والشافعي يقول مثله، لكن في الحرمة.

فهذا أبو نواس لم يقصد - إن صح عنه ذلك - إلا نوعاً من المجون الذي لم يخل عنه الأدباء. ولكن المجون في هذا الباب قبيح جداً؛ لأنه تلاعب بدين الله تعالى.

ومنهم طائفة^(١) تصلبت في أمور دينها؛ فجزأها الله خيراً، تنكر المنكر، وتشدّد فيه، وتأخذ بالأغلظ، وتتوقى مظان التهم، غير أنها تبالغ، فلا تذكر لضعفة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب، فيؤدي ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم.

فمن حق هؤلاء الملاطفة وتسهيل مافي تسهيله فائدة لمثل هؤلاء إلى الخير، إذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقاً، كما أن من حقها التشديد فيما ترى أنه في تسهيله ما يؤدي إلى ارتكاب شيء من حرّمات الله؛ فقد روي أن سائلاً جاء إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فسأله: هل للقاتل توبة؟ فقال: لا توبة له. وسأله آخر، فقال: له توبة. فسئل ابن عباس عن ذلك، فقال: أمّا الأول، فرأيت في عينيه إرادة القتل فمنعته، وأمّا الثاني فجاء مسكيناً، قد قتل، فلم أقنطه.

قال التاج بن السبكي^(٢): قلت: ومن ثم قال الصيمري^(٣): إن سأل سائل،

(١) معيد النعم ١٠٣.

(٢) معيد النعم ١٠٤.

(٣) عبد الواحد بن الحسين، أبو القاسم الصيمري الشافعي ت ٣٨٦، والاسم مطموس في الأصل. واستدرك من معيد النعم.

فقال: إن قُتِلت عبيدي، فهل عليّ قصاص؟ فواسع أن يقول: إن قُتِلته قتلناك؛ فعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل عبده قتلناه»^(١). ولأنَّ القتل له معانٍ. وهذا كله إذا لم يترتب على إطلاقه مفسدة.

ومنهم من يتسرع إلى الفتيا، معتمداً على ظواهر الألفاظ، غير متأول فيها، فيوقع الخلق في جهل عظيم، ويقع هو في إثم كبير، وربما أداه ذلك إلى إراقة الدماء بغير حق. وأنا أذكر أمثلة مما تصلح للألغاز، منبهاً على أجوبتها.

فمنها^(٢) ما حكى أن شخصاً أحب الاجتماع بالمأمون أمير المؤمنين، فأعياه السعي في ذلك، ولم يصل إليه، فقام في ملا من الناس، وقال: أيها الناس، اثبتوا عليّ، فلست بسائل. اعلّموا أن عندي ماليس عند الله، ولي ماليس لله، ومعى مالم يخلق الله، وإنّي أحبّ الفتنة، وأكره الحق، وأقول: إن اليهود قالت حقاً، وإنّ النصراني قالت حقاً، ومعى زرع ينبت بغير بذّر، وسراج يضيء بغير نار، وأنا أحمد النبي، وأنا ربكم أرفعكم وأضعكم. فقاموا إليه، وكادوا يأتون على نفسه، وقالوا: لا كفر فوق هذا الكفر، وصاروا به إلى المأمون. فلما مثّل بين يديه قال له: مالذي قلت؟ فقال: لي حاجة إلى أمير المؤمنين، ولم أصل إليه، وعرفت أنّي إن أقلّ مثلاً هذا أمثّل بين يديه، وأعاد القول، ثم أخذ يتأوّل؛ فقال: أمّا قولِي: عندي ماليس لله، فإنّ لي صاحبة وولداً، وليس لله سبحانه وتعالى صاحبة ولا ولد. وأمّا [قولِي]: عندي ماليس عند الله، فعندي الظلم والجور. [وقولِي]: ومعى مالم يخلق الله: القرآن^(٣). والفتنة: المال والولد. والحق: الموت. والزرع بغير بذّر: شعر الرأس. والسراج المضيء بلا نار: العينان. والحق الذي قالته اليهود والنصارى ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وقالت اليهود ليست

(١) وتتمّة الحديث: ومن جدع عبده جدعناه. أخرجه الترمذي برقم ١٤١٤ في الديات، والنسائي ٢١/٨ في القسامة، باب القود من السيد للمولى، وزاد في رواية: ومن خصى عبده خصيناه وأبو داود برقم ٤٥١٥، ٤٥١٦، ٤٥١٧، ٤٥١٨ في الديات، باب من قتل عبده أو مثله به، ونص الحديث مطموس في الأصل.

(٢) معيد النعم ١٠٤

(٣) مما يجعل هذه القصة مختلفة قوله عن القرآن غير مخلوق في حضرة المأمون الذي أظهر القول بخلق القرآن على المعروف. وإذا كانت صحيحة فربما تكون في بدايات حكمه لأنّ المأمون امتحن الناس بمذهبه هذا في أخريات أيامه.

النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴿١﴾. وأما قولي :
وأنا أحمد النبي ، فلا لفظ [النبي منصوب على المفعولية ، فأننا أحمدُ نبينا صلى الله
عليه وسلم وأشكره . وأنا ربكم : صاحبُكُمْ ، أرفع ذلك الكُفَّ وأضعه .
فاستحسن المأمون ذلك منه ، وأصغى إلى كلامه ، وقضى حاجته .

قال التاج بن السبكي ^(٢) : قلت : وهذا الإطلاق الذي أطلقه هذا الملغز
مستهجن مستقبح ، ولا يجوز عندي ذكره مطلقاً ، لما فيه من إيهام الكفر . ولكن
بتقدير إطلاقه لا ينبغي الإقدام على التكفير من غير تأمل وفحص .

[٥٩] - منصب المدرس ^(٣)

وحقُّ عليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهمه للحاضرين . ثم إن كانوا مبتدئين ،
فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات ، بل يدرّبهم ويأخذهم بالأهون
فالأهون ، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق .
وإن كانوا متتهين فلا يلقي عليهم الواضحات ، بل يدخل معهم في مشكلات
الفقه ويخوض بهم عبابه الزاخر .

ومن أقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب ، ويجلس
يلقيها ، ثم ينهض . فهذا إن كان لا يقدر إلا على هذا القدر فهو غير صالح
للتدريس ، ولا يحلُّ له تناول معلومه ، وقد عطلَّ الجهة ؛ لأنه لا معلوم لها .

وينبغي ألا يستحق الفقهاء المنزلون معلوماً ؛ لأنّ مدرستهم شاغرة عن
مدرّس . وإن كان يقدر على أكثر منه ، ولكنه يسّهل ويتأوّل ، فهو أيضاً قبيح ؛ فإنّ
هذا يطرق العوام إلى رُؤم هذه المناصب ؛ فقل أن يوجد عامّي لا يقدر على حفظ

(١) البقرة ، الآية ١١٣ ، وقامها : ﴿ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ .

(٢) معيد النعم ١٠٥

(٣) معيد النعم ، المرجع السابق .

سطين . ولو أن أهل العلم صانوه ، وأعطى المدرس منهم التدريس حقّه ، فجلس ، وألقى جملة صالحة من العلم ، وتكلّم عليها كلام محقق عارف ، وسأل وسئل ، واعترض وأجاب ، وأطال وأطاب ، بحيث إذا حضره أحد العوام أو المبتدئين أو المتوسطين ، فهم من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به ، وعرف أن العادة أنّه لا يكون مدرّس إلا هكذا والشرع كذلك ، لم تطمح نفسه في هذه المرتبة ، ولم تطمح العوام بأخذ وظائف العلماء .

فإذا رأينا العلماء يتوسعون في الدروس ، ويعطونها حقها ، ويبطلون كثيراً من أيام العمالة ، وإذا حضروا اقتصروا على مسألة أو مسألتين من غير تحقيق [ولاتفهيم ، ثم] ^(١) رأيناهم يقلقون من تسلط من لا يصلح على التدريس ^(٢) ، ويعيبون الزمان وأولياء الأمور ، فالرأي أن يقال لهم : إنتم السبب فيما أصابكم ، فالجناية منكم عليكم .

ومن المهمات مدارس وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقهة ، والمدرس من الحنفية أو المالكية أو الشافعية أو الحنابلة ، فيلقي المدرس في هذه المدرسة تفسيراً أو حديثاً أو نحواً أو أصولاً أو غير ذلك ، إمّا لقصوره عن الفقه ، أو لغرض آخر . وعندي أنّ الذمة لاتبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء إلا بإلقاء الفقه . فإن كان هذا المدرّس لا يلقى الفقه رأساً فهو آكل حرام .

وكذلك نقول في مدرسة التفسير إذا ألقى مدرّسها غير تفسير ، ومدرسة النحو إذا ألقى مدرّسها غير نحو . والأحوط في هذا كلّ الإلقاء من الفن الذي بنيت له المدرسة ؛ فإنّ الواقف لو أراد غيره لسمّى ذلك الفن . وإن كان يلقى الفقه في مدرسة الفقهاء غالباً مثلاً ، ولكنه يُنوّع في بعض الأيام : فيذكر تفسيراً أو حديثاً أو غيره من العلوم الشرعية بقصد التنويع على الطلبة وبعث عزائمهم فلا بأس ؛ غير أنّ الأحوط خلافه .

(١) ما بين معقوفتين مطموس في الأصل والاستدراك من معيد النعم .

(٢) شبه الجملة متعلقة بتسلط .

وهذا كله بشرط أن يكون المسمّى بالمدرسة أهل نوع خاص ، كما مثلناه في مدرسة وقفت على مدرّس شافعي أو حنفي مثلاً ، وفقهاء ومتفقهة من أهل ذلك المذهب ، وألا يكون شرط في المدرّس معرفة غير ذلك الفن . فإن شرط فيه فنون كما في مدارس كثيرة في بلاد الشام وغيرها ، يقفها الواقف على طائفة مذهب معين ، ويشترط في المدرّس أن يعرف مثلاً من العلوم كذا وكذا كالتفسير والحديث ، وغيرهما ، وما هذا شأنه ، رأيي فيه أن ينوع الدرس ، فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه معرفتها ؛ فإنه لولا إرادة ذكرها ، لما اشترطت فيه ، وكان يمكن أن يقال : إنما اشترطت فيه ليكون أكمل في استعداده للأجوبة عن الاعتراضات التي لعلها تعترضه ، ولكن الأحوط ما ذكرناه .

[٦٠] - منصب المعيد^(١)

عليه قدر زائد على سماع الدرس ، من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم ، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة ، وإلا فهو والفقهاء سواء ؛ فما يكون قد شكر نعمة الله على وظيفة الإعادة .

[٦١] - منصب المفيد^(٢)

عليه أن يعتمد ما يحصل به في الدرس فائدة ؛ من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك ، وإلا ضاع لفظ الإفادة وخصوصيتها ، وكان أخذه العوض في مقابلتها حراماً .

(١) معيد النعم ١٠٨

(٢) معيد النعم ، المرجع السابق .

[٦٢] - منصب المنتهي من الفقهاء

عليه من البحث والمناظرة فوق ما على دونه، فإن هو سكت وتناول معلوم المنتهين لكونه في نفسه أعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله سبحانه حق شكرها.

[٦٣] - منصب فقهاء المدرسة

وعليهم التفهم على قدر إفهامهم، والمواظبة إلا بعذر شرعي. ومن أقبح ماير تكبونه تحدث بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة، فلا هم يقرأون القرآن، ولا هم يَسلمون من اللغو في الكلام. فإن انضم إلى ذلك أن قراءة الجزء شرط الواقف عليهم، وأن حديثهم في الغيبة فقد جمعوا محرمات، ولا بد فيهم من سامع. ومنهم من لا يصغي للمادح والداعي، وربما فتح كتاباً ينظر فيه، ولا يلتفت لما يقوله المدرس، بل يجلس بعيداً عنه، بحيث لا يسمعه. وهذا لا يستحق شيئاً من المعلوم، ولا يفيد أنه يطالع في كتاب وهو في الدرس. فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما شرط عليه الحضور.

[٦٤] - منصب قارئ العشر^(١)

وينبغي أن يقدم قراءة العشر، فيكون قبل الدرس، وعقب فراغ الربعة إذا كان الدرس فيه ربعة تدور، كما هو الغالب، وأن يقرأ آية مناسبة للحال.

(١) معيد النعم ١٠٩

[٦٥] - منصب المنشد^(١)

وينبغي أن يذكر من الأشعار ماهو واضح اللفظ ، صحيح المعنى ، مشتملاً على ذكر الله تعالى وآلائه وعظمته وخشية مقتته وغضبه ، وذكر الموت وما بعده ، وكل ذلك حسن ، [وأهمه] مدائح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنها [هي] التي تفهم من إطلاق لفظ المنشد . وإن اقتصر المنشد على ذكر أبيات غزلية أو حماسية فقد أساء الأدب ، لاسيما إذا كان في مجامع العلم .

[٦٦] - منصب كاتب الغيبة^(٢)

وعليه اعتماد الحق ، وألا يكتب على كل من لم يحضر ، ولكن يستفصح عن سبب تخلفه ، فإن كان له عذر بيّنه ، وإن هو كتب على غير بصيرة فقد ظلمه حقه . وإن سامح لمجرد حطام يأخذه من الفقيه فهو على شفير جهنم .

[٦٧] - منصب القراء الذين يقرؤون^(٣) القرآن بالألحان

وعليهم إعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أنزل ، من غير مطمطة ولا عجرفة^(٤) ، بل بلفظ لين .

(١) معيد النعم ، المرجع السابق .

(٢) معيد النعم ١١٠ ، يسجل كاتب الغيبة أسماء الغياب في مجالس العلم . وإذا قرئ الكتاب على شيخ وتغيّب أحد المستمعين ، فيكتب : . . . فاته من باب كذا إلى باب كذا أو يكتب جانب اسمه : « مع فوت » . معجم الألفاظ التاريخية ص ١١٦ .

(٣) معيد النعم ، المرجع السابق .

(٤) العجرفة : جفوة في الكلام ، وغرُق في العمل (مختار الصحاح) .

وقد اشتملت كتب القراء وأهل التجويد على الغَرْص من ذلك . ولو وقف على من يقرئ، وجرت العادة في تلك البلد بترك الإقراء يوم الجمعة مثلاً، قال ابن الصلاح : لا يعتبر بالعادة، وعليه الجلوس يوم الجمعة . وقال التاج بن السبكي : وهذا إن احتمل جريان العادة على زمان الواقف فواضح . وأما إن تحقق وجودها وقت تلفُّظ الواقف ففيه نظر واحتمال .

ومما ننكره عليهم وعلى المنشدين أيضاً أنهم يأتون إلى دور الأمراء وقت حكمهم، فيجلسون في أخريات الناس، وهم لا يؤبه إليهم . ويقرأ أحدهم عُشراً، أو ينشد مدحاً في النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي أمير، أو ديوان، أو أبكم لا يفهم ما يقال، وهو مع ذلك مشغول بحكمه وما هو فيه . وكان المتعین على من منحه الله تعالى القرآن المجيد أو مدح نبيّه صلى الله عليه وسلم أن ينزههما عن هذا المقام .

ومن شكر نعمة الله على ذوي الأصوات الحسنة ألا يستعملوا أصواتهم في الغناء المحرّم ومجالس الخمر والمنكرات، وليجتنبوا مقت الربّ وغضبه .

[٦٨] - منصب خازن الكتب^(١)

وحق عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها إلى الحبك، والضنّة بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء .

وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته، وهو شرط صحيح معتبر؛ فليس للخازن أن يعير إلا برهن . صرّح به السبكي وغيره، وذكر أنه ليس هو الرهن الشرعي^(٢) .

(١) معيد النعم ١١١ .

(٢) المقصود تقي الدين السبكي، وقد ذكره في معيد النعم، المرجع السابق .

[٦٩] - منصب شيخ الرواية^(١)

وعليه أن يُسمع المحدثين، ويستمع لما يقرأونه عليه، لفظة لفظة، بحيث يصحّ سماعهم، وليصبر عليهم كأنهم وفد الله. ومتى وجد جزء حديث أو كتاب تفرد شيخ بروايته كان فرض عين، عليه أن يسمعه.

[٧٠] - منصب ضابط الأسماء عند المسمعين^(٢)

وعليه ضبط أسماء السامعين والحاضرين، وتأمل من سمع ومن لم يسمع، حتى لا يكون كاذباً على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: إن فلاناً سمع، أو لم يسمع.

فإن هو تساهل في ذلك فليتبوأ مقعده من النار، وأن ينبّه على من نعى منهم، وأن ينبّه على الحاضرين في أي سنّ حضر.

[٧١] - منصب الخطيب^(٣)

وعليه أن يرفع صوته بحيث يسمعه أقلّ من تصحّ الجمعة بهم. قال التاج بن السبكي: فلو خطب سرّاً بحيث لم يسمع غيره لم تصحّ على الصحيح. فامتنع سماعه للأصمّ فالأصحّ لاتصحّ أيضاً. وأما الالتفات في الخطبة، والدقّ على درج المنبر في صعوده، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس، والمجازفة في وصف السلاطين عند الدعاء لهم، والمبالغة في الإسراع في الخطبة الثانية، فكل ذلك مكروه.

(١) معيد النعم، المرجع السابق.

(٢) معيد النعم ١١٢.

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

ولا بأس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه، فإنَّ صلاحه صلاح المسلمين .
ولا يطيل الخطبة على الناس؛ فإنَّ وراءه الشيخ والضعيف والصغير وذا
الحاجة، ولا يأتي بالفاظ قلقة يصعب فهمها على غير الخاصة، بل يذكر الواضح
من الألفاظ، ولا يتكلف بالسجع، إلى غير ذلك .

[٧٢] - منصب الوعاظ (١)

فعلى الواعظ نحو ما على الخطيب، فليذكرُ بأيام الله، وليُخفِ القوم في الله،
وينبئهم بأخبار السلف الصالحين، وما كانوا عليه . وأهم ما ينبغي له وللخطيب أن
يتلو هو نفسه: ﴿أناأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ (٢) . ويتذكر قول
الشاعر:

لاتنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم (٣)

واعلم أنَّ الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب؛ فكل خطيب
وواعظ لا يكون عليه سيماء الصلاح قلَّ أن ينفع الله به . وما أحسن قول الشاعر:

مـواعظُ الواعظ لن تُقبَلَا حَتَّى يَعمَهُ قَلْبُهُ أَوَّلَا

يَا قـوم مَنْ أَظْلَمُ مَنْ وَاَعْظُ خَالَفَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي الْمَلَا

أَظْهَرَ بَيْنَ النَّاسِ إِحْسَانَهُ وَبَارَزَ الرَّحْمَنَ لَمَّا خَلَا

وعن أبي عمرو بن مطر (٤) قال: حضرت مجلس أبي عثمان

(١) معيد النعم ١١٣

(٢) البقرة، الآية ٤٤، وتامها: ﴿وأنتم تلون الكتاب، أفلا تعقلون﴾ .

(٣) مر هذا البيت ضمن أبيات في الصفحة ١٠٦ وذكرنا تخريجه هناك .

(٤) محمد بن جعفر بن محمد بن مطر، أبو عمرو بن مطر النيسابوري المزكي، حافظ شيخ العدالة، زاهد رحالة
سمع الكثير، ضابط متقن ورع صبر على الفقر، كان يتجمل بثياب للجمعات ويلبس في بيته فروة ضعيفة،
ويأكل رغيفاً ويصلة أو جزرة، يحبى الليل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . قال الذهبي: لم أر في مشايخنا له
في الاجتهاد نظيراً . توفي سنة ٣٦٠ هـ بعد أن عمّر خمساً وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٦٢، المنتظم =

الحيري^(١) الزاهد، فسكت حتى طال سكوته، ثم أنشد:
وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتَّقَى طبيبٌ يداوي الناسَ وهو مريضٌ
فبكى الناسَ كثيراً.

وعن أبي العباس بن عطاء، أنه كان يقول: الموعظة للعوام، والتذكرة
للخواص، والنصيحة للإخوان، فرض افترضه الله على عقلاء المؤمنين، ولولا
ذلك لبطلت السنة وتعطلت الشريعة.

[٧٣] - منصب القاص^(٢)

وهو من يجلس أو يقف في الطرقات يذكر شيئاً من الآيات والأحاديث وأخبار
السلف.

وينبغي له ألا يذكر إلا ما تفهمه العامة، ويشتكون فيه؛ من الترهيب والترهيب
في الصلاة والصوم وإخراج الزكاة والصدقة، ونحو ذلك. ولا يذكر عليهم شيئاً
من أصول الدين وفنون العقائد وأحاديث الصفات؛ فإن ذلك يجرهم إلى
مالاينبغي.

[٧٤] - منصب قارئ الكراسي^(٣)

وهو من يجلس على كرسي، يقرأ على العامة شيئاً من الرقائق والحديث
والتفسير، فيشارك هو والقاص في ذلك. ويفترقان في أن القاص يقرأ من صدره
وحفظه، ويقف، وربما جلس، ولكن وقوفه وجلسه في الطرقات. أما قارئ

= ٥٦/٧ الرسالة المستطرفة ١٧، النجوم الزاهرة ٦٢/٤، شذرات الذهب ٣/٣١، البداية والنهاية ١١/٢٧١.
(١) سعيد بن إسماعيل بن سعيد، أبو عثمان الحيري الزاهد أصله من الري، ورحل إلى نيسابور، إلى أبي حفص
وصحبه وأخذ عنه طريقته، وهو في وقته أوجد المشايخ في سيرته، ومنه انتشر طريقه في التصوف بنيسابور وقد
توفي فيها سنة ٢٩٨هـ. طبقات الصوفية للسلمي ط ٣ القاهرة ١٤٠٦ ص ١٧٠.

(٢) معيد النعم ١١٣

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

الكراسي فيجلس على كرسي في جامع أو مسجد أو مدرسة أو خانقاه. ولا يقرأ إلا من كتاب.

وينبغي له أيضاً مثل ما ينبغي للقاص، من قراءة ماتفهمه العامة، ولا يخشى عليها منه. ولا بأس بقراءة (إحياء علوم الدين) للغزالي^(١)، وكتاب (سلاح المؤمن في الأدعية) لابن الإمام، ونحوهما. وكتب ابن الجوزي^(٢) في الوعظ لابأس بها. ولا يخفى ما يحذر منه هؤلاء من كتب أصول الديانات ونحوها.

[٧٥] - منصب الإمام^(٣)

ومن حقه النصح للمؤمنين بأن يخلص في صلاته، ويجار في دعائه، ويضرع في ابتهاله، ويحسن طهارته وقراءته، ويحضر إلى المسجد أول الوقت، فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة، وإلا أنتظر الجمع، مالم يُفحش الانتظار.

وبالجملة؛ ينبغي أن يأتي بصلاته على أكمل ما يطيقه من الأحوال، قال التاج بن السبكي: ومما تعم به البلوى إمام مسجد يستنيب في الإمامة بلا عذر. وقد أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(٤) بأنه لا يستحق معلوماً^(٥)؛ لأنه لم يباشر، ولا يستحق نائبه، لأنه غير متولٍ. ووافقه النووي^(٦)، لكن توقف فيه الوالد [تقي الدين السبكي]^(٧).

(١) سبقت ترجمة الغزالي في الصفحة ٢٠.

(٢) مرت ترجمة ابن الجوزي في الصفحة ١٠٢ ومن كتبه في الوعظ المدهش، صولة العقل على الهوى، تلبيس إبليس، الياقوتة، المنهل العذب، أو الموارد العذاب، بحر الدموع، الخدائق لأهل الحقائق ٣ مجلدات. انظر الأعلام ٣/ ٣١٧.

(٣) معيد النعم ١١٤.

(٤) سبقت ترجمة العز في الصفحة ٧٦.

(٥) أي الأجر الراتب من الوقف.

(٦) تقدمت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤.

(٧) انظر ترجمة تقي الدين السبكي في المقدمة.

أما جمع المرء بين إمامة مسجدين ، فالذي أراه أنه لايجوز ؛ لأنه مطالب في كل واحد منهما بأن يصلي أول الوقت ، وتقديمه أحد المسجدين على الآخر تحكّم ، ولا ضرورة إلى ذلك ؛ وذلك كتوليّه مدرستين بشرط حضور كل منهما في وقت معيّن ، يلزم من حضوره في هذه إهمال تلك ، فلا يجوز أيضاً .

[٧٦] - منصب المؤذن^(١)

وعليه معرفة الوقت ، وإبلاغ الصوت ، وأن يكون أميناً غير فاسق ، على طهارة . ولهذا كره أذان الجنب .

ولا يؤذّن حتى يدخل الوقت عند أئمتنا الحنفية ، وعند الشافعية يؤذّن للصبح من نصف الليل ، وعند دخول الوقت ؛ ولذلك يُسنّ عندهم أن يكون للصبح مؤذنان .

[٧٧] - منصب الموقّت^(٢)

ولابد من معرفة علم الميقات ، وليحقّق فنّ الهيئة وجهة القبلة على الخصوص . وقد كثر في هذه الطائفة المنجمون والكهّان ، نعوذ بالله منهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أتى عرافاً ، فسأله عن شيء ، فصدّقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » . أخرجه مسلم^(٣) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس علماً من النجوم ، اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » رواه أبو داود بإسناد صحيح^(٤) . فقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أن النجوم فنّ من

(١) انظر معيد النعم ١١٥ .

(٢) معيد النعم ١١٥ .

(٣) برقم ٢٢٣٠ في السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

(٤) برقم ٣٩٠٥ في الطب ، باب في النجوم ، ورواه أحمد في المسند ١/ ٣٣٧ ، ٣١١ وإسناده قوي .

السحر . ونحن نرى أن نتكلم عن حقيقة السحر والكهانة ، والنجوم ، والسمياء مختصراً ، فالكلُّ من واد واحد ، ويطلق على جميعها اسم السحر ؛ فنقول : حاصل معنى السحر في اللغة يرجع إلى معنى الإزالة وصون الشيء عن وجهه بطريق خفيّ ، ويطلق في عرف المتكلمين على أمور : أحدهما : السعي بين الناس بالنميمة .

وثانيها : تعلُّق القلب - كما يقول بعض المتنبِّلين - لمن في عقله خفة : إنه يعرف الإسم الأعظم ، أو إنَّ الجن طيعه ، فينفع له ضعيف العقل ، وربما أدّاه انفعاله إلى مرض ، أو نحوه ، أو مطاوعة ذلك المتنبِّل فيما يقصده .

وثالثها : الاستعانة بخواصّ الأدوية والمفردات ، كاجتذاب المغناطيس للحديد ، ونحو ذلك . فيعتقد الرائي أنَّ ذلك بفعل الساحر . وقد حُكي أن كنيسة ببلاد الروم عمل في جدرانها الأربعة وسقفها وأرضها ستة حجارة من المغناطيس متساوية في القدر ، وجُعِل في هوائها صليب من حديد بمقدار مايتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستة ، بحيث إنه لا يغلب حجر منها بقيتها في الجذب ، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تمسكه ظاهراً ، فافتتن به قوم من النصارى .

ورابعها : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب الهندسيّة تارة ، وعلى ضرورة الخلاء أخرى كدوران الساعات ، وجرّ الأثقال ، ولها أسباب يقينيّة من اطلع عليها قدر على عمل مثلها .

وخامسها : التخيلات ، والأخذ بالعيون ، وهي الشعبذة المخيَّلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ماهو عليه .

وسادسها : الاستعانة بالجنّ على مايريد بالرقى والعزائم والتسخيرات .

وسابعها : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية التي إذا تجردت وتوجهت نحو شيء أثرت فيه . وأقرب شاهد على ذلك أنَّ في الشريعة المطهرة الإصابة

بالعين . وقد أثبتته النبي صلى الله عليه وسلم وقال إنه حق^(١) . وثبت عن جماعة أنهم يقتلون النفس بالهمة .

وثامنها : الاستعانة على ذلك بالكواكب والتأثيرات التي يحدثها الله تعالى عندها ، وهو سحر الصابئة الذين بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم ، وراداً عليهم .

وتاسعها : السيمياء ؛ وهي أن يركب الساحر شيئاً من خواص أرضية أو صناعية ، كأدهان خاصة ، أو مائعات خاصة ، أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة ، وإدراك الخواص مأكولاً أو مشروباً ، ونحو ذلك ، ولا حقيقة له . كما حكى الأوزاعي^(٢) عن اليهودي الذي لحقه في السفر ، وأنه أخذ ضفدعاً فسحرها حتى صارت خنزيراً ، فباعه من قوم من النصارى ، فلما صاروا به إلى بيوتهم عاد ضفدعاً ، فلحقوا اليهودي وهو مع الأوزاعي ، فلما قربوا منه رأوا رأسه قد سقط ، ففزعوا وولوا هارين ، وبقي الرأس يقول للأوزاعي : يا أبا عمرو ، هل غابوا ؟ إلى أن بعدوا عنه ، فصار الرأس في الجسد .

فهذه الأمور كلها باطلة عندنا ، وأحقها باسم النجوم استخدام الكواكب . ولا يسمى ذلك سحراً بالحقيقة ، وإنما يسمى تنجيماً ، وصاحبه منجماً . وفيه يقول أبو فراس بن حمدان^(٣) :

(١) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : إن العين حق . ونهى عن الوشم . رواه البخاري ١٧٣/١٠ في الطب باب العين ، وفي اللباس ، باب الواشمة ، ومسلم برقم ٢١٨٧ في السلام باب الطب والمرض والرقى ، وأبو داود برقم ٣٨٧٩ في الطب ، باب ماجاء في العين .

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو ، إمام أهل الشام في الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧ هـ عرض عليه القضاء فامتنع ، كان أمره في الشام أعز من أمر السلطان ، له عدد من المصنفات في الفقه وغيره وقدّر ماسئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها ، وكانت الفتيا في الأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام . الأعلام ٣/٣٢٠ عن حلية الأولياء ٦/١٣٥ ، المعارف ٢١٧ ، شذرات الذهب ١/٢٤١ وغيرها .

(٣) أبو فراس الحمداني ، الحارث بن سعيد بن حمدان ، أمير ، شاعر ، فارس ، ابن عم سيف الدولة ، له وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة وكان يجله ويحبه ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه وقلده مدينة منبج وحران وأعمالهما جرح في معركة مع الروم فأسروه فبقي عندهم أعواماً ثم فداء سيف الدولة بأموال عظيمة . قتله أحد أتباع سعد الدولة سنة ٣٥٧ هـ الأعلام ٢/١٥٥ عن وفيات الأعيان ١/١٢٧ ، المنتظم ٧/٦٨ ، يتيمة الدهر ١/٢٢ ، زبدة الحلب ١/١٥٧ . ولم نجد البيتين فيما بين أيدينا من طبعات ديوانه .

دع النجومَ لعِرافٍ يعيشُ بها وانهضْ بعِزمٍ قويٍّ أيُّها الملكُ
إنَّ النبيَّ وأصحابَ النبي نَهَوْا عن النجومِ، وقد أبصرتَ ماملوكوا!
وقال آخر:

لا تركزنَّ إلى مَقالٍ منجِّمٍ وكلِّ الأمورِ إلى القضاءِ وسلِّمِ
واعلمْ بأنَّكَ إنْ جعلتَ لَكوكِبٍ تدبِيرَ حادثةٍ فلستَ بمسلمِ
وأحقها باسم الكهانة الاستعانة بالجن.

وأحقها باسم السحر ما كان بالخواص التي يحدث عندها فعل حقيقي كمرض
ومحبة وبغض وتفريق بين زوجين. ودون هذه المرتبة أن يكون تخيلاً لا حقيقة له،
وهو سحر أيضاً، إلا أنه دون الأول، وبذلك علم السيمياء.
وأما الشعبذة فخيالات مبنية على خفة اليد، والأخذ بالبصر، فهي دون
السيمياء.

وأما تجرد النفوس فليس من السحر الحقيقي في شيء، بل ربما تجردت لخير،
وربما تجردت لشر. وقد حكى أن السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكتكين^(١) لما غزا
الهند انتهى إلى قلعة منيعة عصت عليه مدة، فخرج إليه بعض أهلها، وقال: إنَّكَ
لا تقدر عليها، إلا أن تصنع ما أقول لك، قال: قل. قال: إذا كان وقت مطلع
الشمس مرَّ الجيش بضرب الطبول طبلاً واحداً مزعجاً، وازحف على القلعة أنت
والجيش يدأ واحدة. ففعل، فافتتح القلعة. ثم سأله عن السبب، فقال: إنَّ أهل
هذه القلعة أصحاب همٍّ وتوجهات، وقد صرفوا همَّهم إلى دفعك عنها،
ولا يشوش على نفوسهم ويفرقها شيء كالطبول المزعجة وجلبات العسكر، فلما
فعلت ذلك تفرقت همهم، وشغلوا عن التوجه، فنلت مقصودك.

(١) محمود بن سبكتكين السلطان الغزنوي، أبو القاسم، فاتح الهند وأحد كبار القادة امتدت سلطته من أقاصي
الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة بين خراسان والهند وفيها ولد وبها توفي عام ٤٢١ هـ وهو تركي الأصل
مستعرب كان حازماً صائب الرأي يجالس العلماء وينظرهم وكان من أعيان الفقهاء فصيحاً بليغاً استعان بأهل
العلم على تأليف الكتب الكثيرة في الفنون المختلفة فنسبت إليه الأعلام ١٧١/٧ عن البداية والنهاية ٢٧/٢،
ابن خلكان ٨٤/٢، الجواهر المضية ١٥٨/٢.

[٧٨] - منصب الصوفية

حيّاهم الله وسقامهم ، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم .

وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها ، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجويني^(١) : « لا يصح الوقف عليهم ، لأنه لا حدّ لهم يُعرف ؛ والصحيح صحته ، وأنهم المعرضون عن الدنيا ، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة » . ومن ثمّ قال الجنيد^(٢) : « التصوف كل خُلُق سَنِيٍّ ، وترك كل خلق دَنِيٍّ » وقال أبو بكر الشبلي^(٣) : « التصوف ضبط حواسك ، ومراعاة أنفاسك » . وقال ذو النون^(٤) : « الصوفيّ من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق ، وإذا

(١) عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبو محمد ، من علماء التفسير واللغة والفقه ، ولد في جوين من نواحي نيسابور وسكن نيسابور وتوفي بها سنة ٤٣٨ هـ وله مصنفات في التفسير والفقه الشافعي ، وهو والد إمام الحرمين أبي المعالي الجويني . الأعلام ١٤٧/٤ عن تبين كذب المفتري ٢٥٧ ، الوفيات ٢٥٢/١ ، مفتاح السعادة ١٨٤/٢ ، النجوم الزاهرة ٣٠٧/٥ وغيرها .

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز لا شغاله بالخز ، أبو القاسم ، صوفي ، من العلماء بالدين ولد ونشأ ببغداد وبها توفي عام ٢٩٧ هـ . قال أحد معاصريه : ما رأيت عينا مثله ؛ الكتب يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة محمّي الأساس من شبه الغلاة الأعلام ١٤١/٢ عن وفيات الأعيان ١١٧/١ ، حلية الأولياء ٢٥٥/١٠ ، صفة الصفوة ٢/٢٣٥ ، تاريخ بغداد ٧/٢٤١ ، طبقات السبكي ٢/٢٨ ، طبقات الخنابلة ٨٩ ، الشعراني ١/٧٢ .

(٣) دلف بن جحدر ، أبو بكر الشبلي ، ناسك ، كان في أول أمره والياً في ديناوند من نواحي الري وولي الحجابة للموفق العباسي ثم عكف على العبادة فاشتهر بالصلاح ، له شعر جيّد ، سلك به مسالك الصوفية ، أصله من خراسان ونسبته إلى قرية شبله من قرى ماوراء النهر ولد بسرّ من رأى وتوفي ببغداد سنة ٣٣٤ ، الأعلام ٢/٣٤١ عن وفيات الأعيان ١/١٨٠ ، النجوم الزاهرة ٣/٢٨٩ ، صفة الصفوة ٢/٢٥٨ ، حلية الأولياء ١٠/٣٦٦ ، تاريخ بغداد ١٤/٣٨٩ ، المنتظم ٦/٣٤٧ .

(٤) ثوبان بن إبراهيم ، وقيل فيض بن أحمد ، وقيل فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي المعروف بذي النون المصري ، شيخ الديار المصرية ، أحد الزهاد المشهورين ، كان واعظاً عالماً فصيحاً حكيماً طلبه المتوكل العباسي ، فلما سمع كلامه أحبه ، وكان يفضل على الزهاد كلهم . توفي سنة ٢٤٥ هـ . سير أعلام النبلاء ١١/٥٣٢ ، وانظر : حلية الأولياء ٩/٣٣١ ، ٣٩١ ، ٣/١٠ ، تاريخ بغداد ٨/٣٩٣ ، النجوم الزاهرة ٢/٣٢٠ ، طبقات الأولياء ٢١٨ ، ٢٢٣ ، طبقات الشعراني ١/٨١ ، الرسالة القشيرية ٢١١ ، البداية والنهاية ١٠/٣٤٧ ، وفيات الأعيان ١/٣١٥ . وانظر ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ص ١٩ وفيه قوله المذكور .

سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق». وقال أبو علي الروذباري^(١): «الصوفي من لبس الصوف على الصفاء وأذاق الهوى طعم الجفا، ولزم طريق المصطفى [صلى الله عليه وسلم]، وكانت الدنيا منه على القفا». وكان الشيخ أبو الحسن السبكي^(٢) يقول: «الصوفي من لزم الصدق مع الحق، والخلق مع الخلق» وينشد:

تنازع الخلق في الصوفي واختلفوا قدماً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي، حتى لقب الصوفي^(٣)

وهذه عبارات متقاربة.

والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين تترجى الرحمة بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم، فرضي الله عنهم وعنا بهم.

وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله^(٤): «جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، وجعل قلوبهم معادن أسرارهم، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق».

ومن أوصاف هذه الطائفة الرأفة والرحمة، والعفو والصفح، وعدم المؤاخذه، وضابطهم ما ذكرناه. وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه

(١) أحمد بن محمد بن القاسم، أبو علي الروذباري، من أهل بغداد وسكن مصر، وصار شيخها، ومات بها سنة ٣٢٢هـ، صاحب الجنيد وعليه أخذ التصوف، كان عالماً فقيهاً حافظاً للحديث. طبقات الصوفية للسلمي، ٣٥٤ ط القاهرة ١٤٠٦.

(٢) هو الشيخ تقي الدين السبكي، ومرت ترجمته في المقدمة، وقوله هذا في معيد النعم ١٢٠.

(٣) هذان البيتان منسوبان لأبي الفتح البستي، انظر ديوانه ص ١٣٤ ط دمشق ١٩٨٩/١٤١٠ باعتناء مجمع اللغة العربية. وورد فيه بدل أنحل: أمنح.

(٤) سبقت ترجمة القشيري في الصفحة ١١٦ والنص من الرسالة القشيرية ٢٠/١ ط القاهرة بتحقيق د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف.

الله^(١): « طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ». وقال: « الطريق مسدود على خلق الله تعالى إلا على المفتين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(٢).

ومن حقهم تربية المريد إذا لاحت عليه لوائح الخير، وإمداده بالخير والدعاء؛ يحكى عن بعض المشايخ أن تلميذه حضر إليه وهو جالس في جماعة وقد ارتفع النهار، ففترس الشيخ أنه كان في الليلة الذاهبة كان قد ارتكب معصية، فنظر إليه نظر مغضب، ولم يمكنه الإفصاح له بمحضر الجماعة، فنظر التلميذ إلى الشيخ نظرة منكرة، فقام الشيخ وجاء، وقبل يد التلميذ. ولم يفهم الجماعة شيئاً. فسئل الشيخ بعد ذلك، فقال: إنه البارحة وقع في الزنا، فنظرت إليه نظر مغضب لذلك، فنظر إليّ نظر عاتب، يقول: لو كان خاطرك معي، وإمدادك مصاحبي لما وقع مني ذلك، فأنت المقصر، فقبلت يده لصدقه؛ فإنّ التقصير مني.

ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله عليه من المغيبات، ويخصّهم به من الكرامات على الإذن؛ وهم لا يجيزون إظهارها بلا فائدة، ولا يظهرونها إلا عن إذن، لفائدة دينية، من تربية، أو بشارة، أو نذارة؛ كما قال الصديق لعائشة رضي الله عنهما، وقد كان نحلها جادّ عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فحضرته الوفاة، وأراد استرجاع الهبة وتطيب قلبها مع ذلك: « والله يابنية، مامن الناس أحد أحب إليّ غنى بعدي منك، ولا أعز عليّ فقراً بعدي منك. وإنني كنت نحلّتك جادّ عشرين وسقاً، لو كنت حزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختك، فاقسموه على كتاب الله ». قالت عائشة: « والله يأبت، لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء، فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: ذو

(١) سبقت ترجمة الجنيد في الصفحة ١٦٠. وانظر قوله المذكور في الرسالة القشيرية ١١٨/١ حيث ترجم له. وعبارته فيها: «من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأنّ علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».

(٢) الرسالة القشيرية ١١٧/١، والعبارة فيها: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام».

بطن بنت خارجة، أراها جارية»^(١) فكان كذلك، فلم يظهر أبو بكر [رضي الله عنه] ذلك إلا لاستطابة قلب عائشة [رضي الله عنها].

وأما قصة سارية فلإن عمر كان أمره على جيش، وجهزه إلى بلاد فارس، فاشتدّ الحال على عسكره بباب نهاوند، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: «ياسارية الجبل، ياسارية الجبل» الحكاية. فأسمع الله عز وجلّ سارية وجنوده أجمعين، وهم بنهاوند صوت عمر [رضي الله عنه] وعرفوه وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين، يأمر بالالتجاء إلى الجبل، فلجأوا إليه ونجوا»^(٢).

وسئل علي كرم الله وجهه وقد كان حاضراً في المسجد وعمر يخطب ويستغيث بهذا الصوت: «ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين؟» فقال كرم الله وجهه: «دعوا أمير المؤمنين، فما دخل في أمر إلا وخرج منه». ثم تبين الحال بالآخرة. فعمر رضي الله عنه هنا - والله أعلم - لم يقصد إظهار الكرامة، وإنما ألقاها الضرورة - وقد كشف له حال القوم - لإنقاذهم، فناداهم، ولعله غلب عليه الحال، وغاب عن حسّه.

وأما قصة الزلزلة، وهي أن الأرض زلزلت في زمن عمر رضي الله عنه،

(١) انظر الخبر في الرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ١٦٨ ط القاهرة ١٣٧٢/ ١٩٥٣. وجاء بمعنى مجدود أي نخلاً يجذ منه ما يبلغ كذا وكذا قال الأصمعي: يقال: لفلان أرضٌ جادٌ مائة وسق، أي تخرج مائة وسق إذا زرعت وهو كلام عربي. وتأويل كلامه رضي الله عنه أنه كان نحلها في حال صحته نخلاً، كان يجذ منها كل سنة عشرين وسقاً، ولم يكن أقبضها مانحلها بلسانه، فلما مرض رأى النحل وهو غير مقبوض غير جائز لها فأعلمها أنه لم يصح لها. وأن سائر الورثة شركاؤها فيه. لسان العرب: جَدَدَ. والغابة موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة. معجم البلدان. والوسق: ستون صاعاً، أو حمل بعبير القاموس المحيط. وخارجة رضي الله عنه هو ابن أبي زهير الأنصاري الخزرجي شهد بدرأً وقتل يوم أحد. تزوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابنته، ومات عنها وهي حامل. الإصابة ١/ ٤٠٠.

(٢) انظر الرياض النضرة ٢/ ١٥. وسارية هو سارية بن زئيم بن عبد الله، قال ابن عساكر له صحبة. وقيل إنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وذكره ابن حبان في التابعين. قيل إنه كان خليعاً في الجاهلية كثير الغارة وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجله. ثم أسلم وحسن إسلامه فولاه عمر ناحية فارس وأمره على جيش وسيره إلى بلاد الفرس سنة ٢٣. الإصابة ٢/ ٢-٣.

فضربها بالدرّة وقال: ويحك! قرّي. ألم أعد عليك! وكانت ترتجف فاستقرت من وقتها^(١).

وقصة النيل، وكونه كان لا يجري حتى يلقي فيه جارية عذراء كل عام، فكتب نائب مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه بخبره، فكتب عمر بطاقة إلى النيل، وأمر أن تلقى في الماء، فيها: «من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فاجر ياذن الله الواحد القهار»^(٢) فجري جرياً لم يعهد مثله، أخصبت منه البلاد.

ونحو هاتين القصتين، فإنها من تمكّنه في الأرض ظاهراً وباطناً، وكونه أمير المؤمنين على الحقيقة، وخليفة رسول الله في الأرض. وليس هذا موضع استيعاب القول في ذلك.

وإذا علمت ذلك، فاعلم أنه قد تشبه بهؤلاء الصوفية أقوام ليسوا منهم، فأوجب هذا التشبه سوء الظنّ بهم. ولعل ذلك من الله تعالى قصداً، لخفاء هذه الطائفة التي تؤثر الخمول على الظهور.

وأكثرهم لا يرضى بدخول الخوانق، ولا التعلق بشيء من أسباب الدنيا، ونحن نتذكر بهم، ولا نذكرهم، ولكننا نتكلم على ذوي الأسباب منهم، لأنهم لما خالطوا أهل الدنيا تطرّق إليهم البحث على قدر مخالطتهم.
شعر^(٣):

فإن تجتنبها كنتَ سلماً لأهلها أو تجتذبها نازعتك كلابها

(١) انظر معيد النعم ١٢٣

(٢) انظر تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ط القاهرة ١٣٥٢ ص ١٧ بتحقيق عبد الله بن محمد الغماري وفيه نقل المحقق القصة عن ابن عبد الحكم بتاريخ مصر وأبي الشيخ الأصبهاني في العظمة.

(٣) البيت منسوب للإمام الشافعي رضي الله عنه وهو من قصيدة أوردتها ناشر الديوان المنسوب إليه ص ٥٠ - ٥١ ط بيروت دار ابن زيدون ومطلعها:

خبث نار نفسي باشتعال مفارقي وأظلم ليلي إذ أضاء شهابها =

[٧٩] - منصب شيخ الخانقاه^(١)

وربما يسمى كبير هذه الطائفة شيخ الشيوخ، وربما قيل شيخ شيوخ العارفين. وكان الشيخ تقي الدين السبكي يشدد النكير في هذه العبارة، ويقول^(٢): «لم يقنع بادعاء المعرفة؛ حتى ادعى أنه شيخ شيوخها».

ومن حقه تربية المريدين، وحمل الأذية والضيم على نفسه، واعتبار قلوب جماعته قبل قوالهم، والكلام مع كل بحسب ما يقبله عقله، وتحمله قواه، ويصل إليه ذهنه، والكف عن ذكر ألفاظ ليس سامعها من أهلها، كالتجلي، والمشاهدة، ورفع الحجاب، إذا كان السامع بعيداً عنها؛ فإن في ذكرها له من المفاسد ما لا يخفاء فيه. بل يأخذ المريد بالصلاة والتلاوة والذكر ويربيه على التدريج.

والله الله في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم، لم يعنوا بها ظواهرها، وإنما عنوا بها أموراً صحيحة، فلا ينبغي للشيخ ذكرها لمريد لا يفهمها، فإنه يضلّه؛ مثل ما يقال عن بعضهم: العلم حجاب، فإنه لا يريد به ظاهر ما يفهمه المبتدئ منه، ولكن له معنى لا يناسب حال المبتدئ الكشف عنه. وربما جرى بعضها في حال السكر، فإنها عما لا يقتدى بها، ولا يوجب القدح في قائلها، بل نسلم له حاله ونقيم له عذره فيما سقط من بين شفّته حالة الغيبة؛ فإن الشارع لم يكلف غائب الذهن.

= وقبل هذا البيت قوله:

ومن يذق الدنيا فلاني طعمتها	وسيق إليّ عذبتها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً	كما لاح في ظهر الغلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة	عليها كلاب همهنّ اجتذابها

(١) معيد النعم ١٢٤. وكلمة الخانقاه فارسية تعني محل العبادة والتزهد والبعد عن الناس معجم الألفاظ التاريخية ٦٦. وتجمع على خوانات وخانقاهات.

(٢) معيد النعم، المرجع السابق.

هذا إذا فقدت أسباب التأويل لكلامه بالكلية؛ ولن نجد ذلك إن شاء الله في كلام أحد من المعتبرين، بل قد نزه الله ألفاظهم عن الأباطيل، ومالهم كلمة إلا ولها محمل حسن.

[٨٩] - منصب فقراء الخوانق^(١)

وأنت قد عرفت أن حقيقة الصوفي من أعرض عن الدنيا، وأقبل على العبادة، فقل لفقيه الخانقاه: إن دخلتها لتسدّ رمقك، وتستعين على التصوف، فهذا حق، وإن أنت دخلتها لتجعلها وظيفة تحصل بها الدنيا، ولست متصفاً بالإعراض عنها، والاشتغال غالب الأوقات بالعبادة، فأنت مبطل فلا تستحق في وقف الصوفية حقاً، وكل ما تأكله منها حرام، لأن الواقف لم يقفها إلا على الصوفية. ولست منهم في شيء.

وقد كثر من جماعة اتخاذ الخوانق أسباباً، والدلو^(٢) المرقعة طرائق للدنيا، فلم يتخلقوا من أخلاق القوم بغير لباس الزور، وهؤلاء المتشبهة الذين فيهم يقول الشافعي رضي الله عنه فيما نقل عنه: «رجل أكل، نؤوم، كثير الفضول». وقال الإمام أبو المظفر السمعاني^(٣): «نعوذ بالله من العقرب والفار، والصوفي إذا عرف باب الدار». وقال أبو حيان^(٤) في هؤلاء: «أكلة، بطلة، سطة، لا شغل ولا مشغلة». وقيل: «رجل يظهر الإسلام، ويبطن فاسد العقيدة ونهاية الإقدام، في رجله جمجم، وعذبته^(٥) من قدام، يكون غالباً من بلاد الأعجام».

(١) معيد النعم ١٢٥. انظر الحاشية رقم (١) ص ١٦٥.

(٢) الدلق يفتحان دوية نحو الهرة طويلة الظهر يعمل منها الفرو. فارسي معرب وقيل هو ابن مقرض ويقال إنه يشبه النمس (المصباح المنير).

(٣) منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر، مفسر من العلماء بالحديث من أهل مرو مولداً وبها توفي سنة ٤٨٩ هـ كان مفتي خراسان قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو له تفسير السمعاني ٣ مجلدات ومؤلفات في الحديث وأصول الفقه وهو جد السمعاني صاحب الأنساب الأعلام ٧/ ٣٠٤ عن مفتاح السعادة ٢/ ١٩١، الباب ١/ ٥٦٣، الرسالة المستطرفة ٤٣ وغيرها.

(٤) سبقت ترجمة أبي حيان التوحيدي في الصفحة ١٣٦، وأبي حيان الأندلسي في الصفحة ١٢١.

(٥) قال الزبيدي: الاعتذاب أن تسبل للعمامة عذبتين من خلفها وهما طرفا العمامة تاج العروس: عذب.

شعر:

ليسَ التَّصَوُّفُ لبسَ الصَّوْفِ تَرْقَعُهُ ولا بكَاءَكَ إِن غَنَى المَغْنُونَا
فهؤلاء القوم إذا اتخذوا الخوانق ذريعة لذلك ، خصوصاً إذا أكلوا الحشيش ،
فلا سترهم الله . وفضحهم على رؤوس الأشهاد . ولكن فيهم - ولله الحمد - من
لا يدخل الخانقاه إلا ليقطع علاقته ، ويشغل بربه ، ويرضى بما يتهياً منها معيناً له
على سد رمقه ، وستر عورته . فله دره ! .

[٨١] - منصب خادم الخانقاه (١)

ومن حقه توفير أوقاتهم للعبادة ؛ فإنه في عبادة مادام يعينهم على العبادة بهذه
النّية ، فينبغي له السعي في كل مايكون ذريعة إلى ذلك .
وينبغي احتفاظه بفاضل أوقاتهم ، ووضعه في مستحق من مسكين ، أو هرة ،
ونحو ذلك ، ولا يرميه ؛ فليس من شيمتهم طرح الزاد .

[٨٢] - منصب شيخ الزاوية (٢)

وغالب الزوايا في البراري . فمن حقه تهيئة الطعام للواردين ، والمجتازين ،
ومؤانستهم إذا قدموا ، بحيث تزول خجلة الغربة عنهم .
ولا بأس بإفرااد مكان للوارد ؛ لئلا يستحي وقت أكله وراحته .

[٨٣] - منصب أصحاب الأموال (٣)

وعليهم أداء الزكاة على ما عرف في الفقهيات ، وما أقبح من أعطاه الله مالاً ،
وخوّلّه نعمة ، فلما دنا الحول عمد إلى حيلة من مُسْطَقات الزكاة ، فاعتمدها بُخْلاً

(١) انظر معيد النعم ١٢٦ .

(٢) معيد النعم ١٢٦ .

(٣) معيد النعم ، المرجع السابق .

على الله. وإنّ هذا الجدير بزوال نعمته؛ بل حقّ عليه إخراجها، وله دفعها إلى
الأمام، ناوياً بها براءة الذمّة؛ كما في هؤلاء الجراكسة، ولا الالتفات إلى ما في
أيديهم، فإنّه لبيت مال المسلمين، وهم فقراء.

وله دفعها إليه ليصرفها في مصارفها، إذا كان عادلاً، وكذا إن كان جائراً على
مارجحه النووي وغيره. فإذا أخذها فقد صارت في ذمته، وإن لم يصرفها في
مصارفها.

[٨٤] - منصب صاحب الزرع ونحوه^(١)

ومن حقه أن يتعهد بالسقي، فإنّ ترك ذلك مكروه؛ لما فيه من إضاعة المال،
ولذلك كره العلماء ترك عمارة الدار إلى أن تخرب، وأما أصل بناء الدور للحاجة
فلا يكره. والأولى ترك الزيادة. وربما قيل تكره الزيادة على قدر الحاجة.

وليعلم صاحب الزرع أنّ الزكاة واجبة في قليل ما أخرجته الأرض وكثيره،
وهي العشر، سواء سقي سيحاً، أو سقته السماء، إلا الحطب والقصب الفارسي
والخشيش. هذا عند أبي حنيفة. وقال أصحابه^(٢): لا يجب العشر إلا فيما له ثمرة
باقية، كالحنطة إذا بلغ خمسة أو سق. والوسق ستون صاعاً^(٣)، وهي ألف رطل
وسبعمئة رطل بأرطال بغداد. وليس في الخضراوات عُشر عندهما.

وماسقي بغرب أو دالية^(٤) ففيه نصف العشر في القولين جميعاً. وقال أبو
يوسف: فيما لا يوسق كالزعفران والقطن يجب فيه العشر إذا بلغت قيمته خمسة
أوسق من أدنى يدخل تحت الوسق. وقال محمد: يجب العشر إذا بلغ الخارج

(١) معيد النعم ١٢٧

(٢) أبو يوسف ومحمد. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء) للأحمد نكري ٢/٢٢٩ ط بيروت
١٣٩٥ هـ.

(٣) قال الخليل: الوسق حمل البعير (مختار الصحاح) وقد مرّ ذلك في الصفحة ١٦٣.

(٤) الغرب: الدلو العظيمة. والدالية: الناعورة تديرها البقرة (مختار الصحاح).

خمسة أمثال من أعلى ما يُقدَّر به نوعه، فاعتبر في القطن خمسة أحمال، وفي الزعفران خمسة أمناء^(١).

[٨٥] - منصب الصيادين^(٢)

يجوز الاصطياد بجوارح السباع، كالكلب المعلم، سواء أكان أسود^(٣) أم لا، والفهد. وبجوارح الطير المعلمة، كالبازي والشاهين؛ فما أخذه وجرحته، وأدركه صاحبها ميتاً أو حركة المذبوح حلّ أكله. ويقوم إرسال الصائد وجرح الجارح في أي موضع كان مقام الذبح. وعن أبي يوسف أنه لا يشترط الجرح. والأول ظاهر الرواية.

ثم إنّه يجب أن يمرّ السكين على حلقة ليربّحه، فإن لم يفعل، وتركه حتى مات فهو حلال، وإن أدركه وفيه حياة مستقرة وجب عليه أن يذكيه. وإن ترك تذكيته حتى مات لم يؤكل.

و[كذا] إن رمى صيداً فوق في الماء لم يؤكل. وكذا إن وقع على السطح أو الجبل، ثم تردّى منه إلى الأرض. وإن وقع على الأرض ابتداءً أكل.

[٨٦] - منصب مُشدّ العمائر^(٤)

ومن حقه اللطف والرفق بالبنّائين، وألا يستعمل أحداً فوق طاقته، ولا يجيعه، بل يمكنه من الأكل والأطعمة بحسب ما يقع الشرط عليه. وعليه أن يطلق سراحه أوقات الصلوات؛ فإنها لا تدخل تحت الإجارة.

(١) المنّ: المنا وهو رطلان والجمع أمنان (م ن ن) والمنا مقصور الذي يوزن به والتثنية متوان والجمع أمناء وهو أفصح من المن (م ن ن) (مختار الصحاح).

(٢) معيد النعم ١٢٨

(٣) فقد روى الترمذي قوله صلى الله عليه وسلم: «الكلب الأسود شيطان» برقم ٣٣٨ في الصلاة.

(٤) معيد النعم ١٢٩. ومُرّت كلمة المشدّ ص ٣٢ وتعني المفتش أو الناظر.

وما يعتمدونه بعضهم من تسخير البنائين وإجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم واستعمالهم فوق طاقتهم من أقبح المحرمات ، وأشنع الجراءات على الله في خلقه . وأقبح من ذلك أنهم يعتمدونه في بناء المساجد والمدارس ، فليت شعري ، بأية قُرْبَةٍ يتقربون ! .

[٨٧] - منصب البنّاء (١)

ومن حقه ألا يزخرف بالذهب ؛ فإنه يحرم تمويه السقوف والجدران به ، وإن لم يحصل منه شيء بالعرض على النار .

[٨٨] - منصب الطيّان (٢)

ومن حقه ألا يطيّن مكاناً قبل الكشف عنه ، هل فيه شيء من الحيوانات أو لا ؟ فأنت ترى كثيراً من الطيّانين يعجلون في وضع الطين على الجدار وغيره ، وربما صادف ما لا يحلّ قتله لغير مأكلة ، من عُصفور ونحوه ، فقتله ، واندمج في الطين ، ويكون حينئذ خائناً لله تعالى من جهة قتل هذا الحيوان ، ولصاحب الجدار من جهة جعله مثل ذلك ضمن جداره .

وكثير من الطيّانين يدعوهم داع إلى تبييض جدار ، فيرون ذلك الجدار منشقاً ، آيلاً إلى السقوط ، فلا ينبهون صاحبه ، بل يطينونه رغبة في الأجرة وسرعة العمل ، ويعمى خبره على صاحبه ، ويكون ذلك سبباً لوقوعه على نفس أو أكثر . وذلك من الجنّاية في الدين .

(١) معيد النعم ١٢٩

(٢) معيد النعم ، المرجع السابق .

[٨٩] - منصب معلم الكتاب^(١)

وينبغي أن يكون صحيح العقيدة، فلقد نشأ صبيان كثيرون، عقيدتهم فاسدة، لأن فقيهمهم كان كذلك.

فأول ما يتعين على الآباء الفحص عن عقيدة معلم أبنائهم، قبل البحث عن دينه في الفروع، ثم البحث عن دينه في الفروع.

ومن حق معلم الصغار ألا يعلمهم شيئاً قبل القرآن، ثم بعده حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا يتكلم معهم في العقائد، بل يدعهم إلى أن يتأهلوا حق التأهل، ثم يأخذهم بعقيدة أهل السنة والجماعة. وإن هو أمسك عن هذا الباب فهو أحوط.

وله تمكين الصبي المميز من كتابة القرآن في اللوح، وحمل المصحف وهو مُحَدَّث. وأدخل الشافعي إلى بعض حجر هرون الرشيد ليستأذن له ومعه سراج الخادم، فأقعه عند مؤدب أولاده، وقال: يا أبا عبيد الله، هذا مؤدب أولاد أمير المؤمنين، فأوصه بهم، فقال: ليكن أول ما تبدأ به في إصلاحهم إصلاح نفسك؛ فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح عندهم ما كرهته. علمهم كتاب الله تعالى، ولا تتركهم عليه فيملوه، ولا تتركهم فيهجروه. ثم روهم من الشعر أخفّه، ومن الحديث أشرفه. ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحَكِّمُوهُ؛ فإن ازدحام الكلام في السمع مَضَلَّةٌ^(٢) للفهم.

(١) معبد النعم ١٣٠. ولعل الأحسن أن يقول المكتب، لأن الكتاب جمع كاتب، ولكنه جرى على المستعمل المشهور على الألسنة. وكلمة المكتب استعملها شوقي جاريةً فيها على الفصح والقياس:

ألا حبذا صحبة المكتب وأحبب بأيامه أحبب
ويا حبذا صبية يمرحون عنان الحياة عليهم صبي

(٢) مضلة: بفتح الضاد وكسرهما وفتح الميم فيهما أي يضل فيها (مختار الصحاح).

وقال ابن سلام: لما دفع عبد الملك ولده إلى الشعبي مؤدبهم فقال له: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وعلمهم الشعر ليمجدوا، وأطعمهم اللحم تصح قلوبهم، وجذ شعورهم تشد رقابهم، وجالس بهم على الرجال يناصفوهم الكلام. وجنبهم الخشم فإنها مفسدة لهم.

[٩٠] - منصب الناسخ^(١)

ومن حقه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضلة ككتب أهل البدع والأهواء، وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله بها، كسيرة عنترة، وغيرها من الموضوعات المختلفة التي يضيع الزمان بها، وليس للدين بها حاجة. وكذا كتب أهل المجون، وما وضعوه في أصناف الجماع وصفات الخمر، وغير ذلك مما يهيج المحرمات.

فنحن نحذر النساخ منها، فإن الدنيا تفرهم، وغالباً مستكتب هذه الأشياء يُعطي من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب العلم. فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه.

ومن الناسخ من لا يتقي الله، ويكتب عن عجلة، أو يحذف من أثناء الكتاب شيئاً، رغبة في إنجازها، إذا كان قد استؤجر على نسخه جُملة؛ وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض، ولمصنف الكتاب في تبثيره تصنيفه، وللذي استأجره في سرقة منه هذا القدر.

قال التاج بن السبكي^(٢): «قال أصحابنا: ولو استأجره ليكتب شيئاً، فكتبه خطأ، أو بالعربية فكتبه بالعجمية، أو بالعكس، فعليه ضمان نقصان الورق، ولا أجرة له».

(١) معيد النعم ١٣١.

(٢) المرجع السابق.

« ويقرب منه ما ذكره الغزالي^(١) في الفتاوى ، أنه لو استأجره لنسخ كتاب فغير ترتيب الأبواب ، فإن أمكن بناء بعض المكتوب [على بعض]^(٢) ، بأن كان عشرة أبواب ، فكتب الباب الأول آخراً منفصلاً ، بحيث يبنى عليه ، استحق بقسطه من الأجرة ؛ وإلا فلا شيء له . واستفتي الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في نسخ استأجره مستأجر على أن ينسخ له ختمة بأجرة معينة ، فتأخر الناسخ عن كتابتها مدة سنة ، وفي تلك المدة جاد خطه فهل له أن يطلب زيادة على تلك الأجرة لجودة خطه ، أو يختار الفسخ ؟ فأفتى بأنه ليس له واحد من الأمرين ، بل عليه كتابتها بتلك الأجرة .

ومن يستأجر ناسخاً يبين له عدد الأوراق والأسطر في كل صفحة . واختلف في الخبر إذا لم يُعَيَّن ، على من يكون ؟ فالأصح الرجوع إلى العادة ، فإن اضطربت وجب البيان ، وإلا فيبطل العقد انتهى .

[٩١] - منصب الوراق^(٣)

وهي^(٤) من أجود الصنائع ، لما فيها من الإعانة على كتابة المصحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم ، فمن شكر صاحبها نعمة الله أن يرفق بطالب العلم وغيره ، ويرجع جانب من يعلم أنه يشتري الورق لكتابة كتب العلم ، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب مالا ينبغي ؛ من البدع والأهواء وشهادات الزور والمرافعات وأمثال ذلك .

[٩٢] - منصب المجلد^(٥)

وعليه نحو ما على الوراق والناسخ .

(١) سبقت ترجمة الغزالي في الصفحة ٤ .

(٢) ما بين معقوفين من معيد النعم .

(٣) معيد النعم ١٣٢

(٤) أي مهنة الوراقة .

(٥) معيد النعم ١٣٢ .

[٩٣] - منصب المذهب^(١)

ومن حقّه ألا يذهب غير المصحف .
وقد عرف اختلاف الناس في تحلية المصحف بالذهب . وعند أئمتنا الحنفية
لأبأس بتحليته ، والذي صححه النووي وغيره الفرق بين أن يكون لامرأة فيحلّ ،
أو لرجل فيحرم .
وأما غير المصحف ، فاتفاقاً على أنه لا يجوز تحليته .

[٩٤] - منصب الطبيب^(٢)

ومن حقّه بذل النصح ، والرفق بالمريض ، وإذا رأى علامات الموت لم يكن
بأس أن ينبه على الرصية بلطف من القول .
وله النظر إلى العورة عند الحاجة بقدرها .
وأكثر ما يؤتى الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض ، واستعجاله في ذكر
ما يصفه ، وعدم فهمه مزاج المريض ، وجلوسه لطبّ الناس قبل استكمال الأهلية .
قال بعض الشعراء :
أفنى وأعمى ذا الطبيبُ بطبه وبكحله الأحياء والبُصراءُ
فإذا نظرتَ رأيتَ من عميانه أمماً على أمواته قرأءُ
وما أحسن قول ابن الرومي^(٣) :
غلطَ الطبيبُ عليَّ غلطة مُوردٍ عَجَزَتْ موارِدُهُ عن الإصدارِ

(١) معيد النعم ١٣٣

(٢) معيد النعم ، المرجع السابق .

(٣) انظر ترجمة ابن الرومي في الصفحة ١٤٣ ، والبيان في ديوانه ٣ / ٤٨١ بتحقيق كامل كيلاني .

والناسُ يُلْحُونُ الطَّيِّبَ وَإِنَّمَا غُلِطُ الطَّيِّبِ إِصَابَةُ الْأَقْدَارِ

[٩٥] - منصب المزيّن^(١)

وعليه مثل ما على الطيب .

وكثيراً ما يقصد بعض السفلة والرّاع جبّ ذكره ، كما يفعله المبتدعة ، ومن غلبه حب من لا يصل إليه ، ممن لا يكون عقله ثابتاً ؛ فلا يحلّ للمزين مطاوعته على ذلك .

[٩٦] - منصب الكحال^(٢)

وعليه مثل ما على الطيب من الاحتياط .

[٩٧] - منصب الحائك^(٣)

ومن حقه ألا ينسج ما يحرم استعماله ، لئلا يكون معيناً على معصية ؛ فلا ينسج ثوب حرير لا يستعمله إلا الرجال . أمّا إذا استعمله الرجال والنساء والصبيان فلا يمنع ؛ لأنه لم يتعيّن أنّ الذي يلبسه رجل بالغ .

ويحرم نسج الثياب المصوّرة عند أئمتنا الحنفية ، وهو الأصح عند الشافعية .
وأما المركّب من حرير وغيره ، فعند أئمتنا الحنفية إذا كان سداه ابريسماً ،

(١) معيد النعم ١٣٤

(٢) معيد النعم ، المرجع السابق .

(٣) معيد النعم ، المرجع السابق .

ولُحْمَتَهُ قَطْنًا أَوْ خَزًّا^(١) لا بأس به والمذهب عند الشافعية إن كان الحرير أكثر وزنًا حرم، وإن كان غيره أكثر، أو استويا لم يحرم.
ويجوز اتفاقاً جعل طراز من حرير، بشرط ألا يجاوز قدر أربع أصابع.

[٩٨] - منصب القيم في الحمام^(٢)

وعليه ألا ينظر إلى عورة من يغسله، ولا يلمس شيئاً منها بدون حائل.
ومن جلس بين يدي حلاق ليحلق رأسه فحلق، لا تجب الأجرة في الصحيح عند أئمتنا الحنفية والشافعية، والقيم مفترط حيث لم يشترط قبل أن يحلق. والمختار أنه يلزم الأجرة إذا جرت العادة بذلك، وكان القيم معروفاً به.
وسئل سلطان العلماء، عز الدين بن عبد السلام: هل يجوز تدليك الأجسام وغسل الأيدي بالعدس؟ فأجاب في الفتاوى الموصلية^(٣): «العدس [والباقلاء] طعام يُحترم كما يحترم غيره من الطعام، فإن استعمل لغير ذلك بسبب مرض يداوى به مثله فلا بأس [به]» وهذا هو الذي تقتضيه قواعد أئمتنا الحنفية.

[٩٩] - منصب الدهان^(٤)

وعليه ألا يصور صورة حيوان، لا على حائط، ولا على سقف، ولا آلة من الآلات. واختار بعض الشافعية التصوير على الأرض، والصحيح عندهم خلافه.

(١) الإبريسم: الحرير، معرّب. وفيه ثلاث لغات - والعرب تخلط فيما ليس من كلامها - قال ابن السكيت: هو الأبريسم. وقال غيره: هو الإبريسم. وقال ابن الأعرابي: الإبريسم. وقال وليس في كلامهم إفعيلك بالكسر ولكن إفعيلك مثل إهليلج (مختار الصحاح) والقاموس للحيط: برسام. والسدى من الثوب مامدّ منه طولاً في النسيج. وفي الصحاح هو خلاف اللحم. والسداة واحد السدى. تاج العروس: السدى واللحمة ماسدي به سدى الثوب. تاج العروس: لحم. والخز من الثياب ما ينسج من صوف وإبريسم ومنه جنس معمول كله بالإبريسم. وعليه يحمل الحديث: قوم يستحلون الخز والحرير. وأما النوع الأول فهو مباح وقد لبسه الصحابة. التاج: خزز.

(٢) انظر معيد النعم ١٣٥

(٣) مرت ترجمة العز بن عبد السلام في الصفحة ٧٦. والفتاوى الموصلية سميت كذلك لأن العز سئل عنها في الموصل. كشف الظنون ٦٢ / ٢. وقد طبعت باسم كتاب الفتاوى في بيروت ١٤٠٦ / ١٩٨٦. والنص المذكور فيها ص ٦٦ وما بين معقوفتين استدرّك منها.

(٤) معيد النعم ١٣٥

[١٠٠] - منصب الخياط^(١)

ومن حقه ألا يخيط حريراً، ولا يجعله بطانة لمن يحرم عليه استعماله كالرجال . أما النساء والصبيان فاستعماله لهم غير حرام وإن جاوز الصبي سنّ التمييز، خلافاً للرافعي من الشافعية .

وعلى الخياط أن يحترز عند قطع القماش، ويقدر ويستأذن على بصيرة؛ فلو قال الرجل للخياط: إن كان هذا الثوب يكفيني قميصاً فاقطعه، فقطعه فلم يكفه ضَمَنَ الأرض^(٢)؛ لأن الإذن مشروط بما لم يوجد . وإن قال: هل يكفيني قميصاً، فقال: نعم . فقال: اقطعه، فقطعه، فلم يكف، لم يضمن، لأن الإذن مطلق، وإن تقدمته قرينة، لكن كان من حق الخياط ألا يتكلم على جهاله . ويجوز له أن يخيط بالحرير .

قال الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار^(٣): « وقف عليّ كرم الله وجهه على خياط يخيط، فقال: يا خياط، صلّب الخيط، ودقق الدرز، وقارب الغرز؛ فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالخياط الخائن يوم القيامة، وعليه قميص ماخاظه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد » . ثم قال: يا خياط، إياك الفضلات والسقطات، فإن صاحب الثوب أحق بها .

وقال خياط لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه^(٤): « أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل يخاف عليّ أن أكون من أعوان الظلمة؟ فقال: لا، إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيوط والإبر، أما أنت فمن الظلمة نفسها » .

(١) معيد النعم، المرجع السابق .

(٢) الأرض اسم للمال الواجب على مادون النفس . جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ١/ ٧٥ .

(٣) ج ٢ ص ٥٣٦ ط بغداد . وقد مرت ترجمة الزمخشري في الصفحة ٥١ .

(٤)

[١٠١] - منصب الصبّاغ^(١)

ومن حقه ألا يصبغ بمحرّم .

وقد كثر من الصباغين الصبغ بالدماء ، وذلك محرّم ، فإن صبغ به ، وغسل بعد ذلك فذهب الريح والطعم وبقي اللون ، وعسر إزالته فلا يضرّ . ويقال ، إنّ الثياب الحمر الصوف المربعة من هذا القبيل .

[١٠٢] - منصب الناطور^(٢)

ومن حقه ملاحظة الثياب ، استحفظ أم لم يستحفظ ، بحسب العادة .

ولو سرقت الثياب من مشلح الحمام ، والناطور جالس في مكانه مستيقظ ، فلا قطع عليه . وإن نام أو قام من مكانه ، ولم يستنبأ أحداً موضعه ولكن عليه الضمان .

[١٠٣] - منصب الفراشين^(٣)

ومن وظيفتهم ضرب خيام الأمراء .

وحق عليهم ألا يحتجروا على الناس ويمنعوهم أرض الله الواسعة ، فما أظلمه إذا جاء إلى ناحية من الفضاء ، فوجد فقيراً قد سبق إليها ونزل فيها ، فأقامه منها ليخيّم للأمير مكانه ؛ وحكم الله أنّ السّابق أولى ، والأمير والمأمور في ذلك سواء .

(١) معيد النعم ١٣٦

(٢) معيد النعم ١٣٧

(٣) معيد النعم ، المرجع السابق .

[١٠٤] - منصب البابا^(١)

ومن حقه أن يحرص على إزالة نجاسة الثياب عند غسلها، فيحترز من البول والغائط والمذي والمنى والدم ونحو ذلك، فإنه متى لاقى شيء من ذلك بدن الإنسان [أو ثوبه]^(٢) لم تصح معه صلاته، وهذا عندنا مانع إذا زاد على قدر الدرهم مساحة إن كان مائعاً، ووزناً إن كان كثيفاً. فإن [علمه البابا]^(٣) في ثوب شخص، ولم يُزلْه بقي ذلك في ذمته. فعليه إفاضة الماء على محل النجاسة، بحيث يضمحل، ويذهب طعمها، وكذلك لونها وريحها، إلا أن يعلق اللون بالمحل كالدم، فيعفى عنه.

وأما دم البراغيث، واليسير من طين الشارع فمعهفو عنه، وإذا غسل ذلك فهو أولى.

[١٠٥] - منصب الشربدار^(٣)

وهو مثل السقاء، وتقدم ما عليهم.

(١) معيد النعم ١٣٨، والبابا هو الذي يتعاطى الغسل والصقل ونحوه. والكلمة رومية معناها أبو الآباء، وسمي بذلك تشبيهاً له بالآب الشفوق لأنه يرفه مخدومه ويقوم على خدمة ثيابه. معجم الألفاظ التاريخية ٢٨.

(٢) مابين معقوفتين ممسوح من الأصل والاستدراك من معيد النعم.

(٣) معيد النعم ١٣٨. وهو لقب من يتصدى للخدمة بالشراب خانه وهو المكان المخصص للأشربة والحلوى والفواكه والعقاقير (معجم الألفاظ التاريخية ص ٩٧).

[١٠٦] - منصب الطشتدار^(١)

وهو اسم لمن يصب الماء على يد المخدوم .

وهو من أقبح التنطع والبدع .

ومن آدابه الاحتراز من ملاقة ماء الوضوء ماءً طاهراً ، أو غيره .

أما الاستعانة في الوضوء بغيره ، فإن استعان بمن يحضر له الماء للطهارة ، فلا يكره . وإن استعان به ليصبّ عليه الماء - وهو ما يفعله الطشتدار - ففي كراهته خلاف ؛ فعند أئمتنا الحنفية يكره ، والأصحّ عند الشافعية أنه لا يكره . وإن استعان به لغسل أعضائه فهو مكروه بلا خلاف ، إلا أن تدعو إليه ضرورة ، كما إذا كان أقطع فتجب الاستعانة .

وما يفعله أهل الدنيا من نصب أناس بالمرصاد لصبّ الماء على أيديهم عقيب الطعام ليس بمكروه ، ولكنه زيادة في الدنيا . وكان الشيخ تقي الدين السبكي لا يفعله .

[١٠٧] - منصب الصيرفي^(٢)

ومن حقه ألا يخلط أموال الناس بعضها ببعض .

وأكثر الصيارف يخلطون ، فيصيرون عامة أموال الخلق حراماً ، والناس لا يدرون ؛ فهو إذن في ذمة الصيارف .

ومن حقه أيضاً معرفة عقد الصرف ، وألا يبيع أحد النقدين بالآخر نسيئة بل نقداً .

(١) معيد النعم ١٣٩ . والطشت صحن كبير لحمل الطعام أو الماء ، والطشتخانة : المكان المخصص لوضع الطشتات اللازمة لغسل الأيدي والقماش وغيرها . والطشتدار : لقب العامل في الطشتخانة . معجم الألفاظ التاريخية ١٠٨ .

(٢) معيد النعم ١٣٩

وقال التاج بن السبكي : « ولو سلّم صبي درهماً إلى صيرفي لينقذه^(١) لم يجز للصيرفي رده إليه ، وإنما يرده إلى وليه . ولو تلف في يد الصيرفي لزمه ضمانه . ولا يجوز تولية الذميّ صيرفياً في بيت المال » انتهى . وهو مقتضى قواعد أئمتنا .

[١٠٨] - منصب المكاري^(٢)

ومن حقه التحفظ فيمن يركبه الدواب .

ولا يحل لمكاري يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكرى دابته من امرأة يعرف أنها تمشي إلى شيء من المعاصي ، فإنه إعانة على معصية الله . وكثير من المكاريّ لا يعجبه أن يكرى إلا الفاجرات من النساء والمغانى^(٣) منهن لمغالاتهن في الكراء ، فإنهن يعطين من الأجرة فوق ما يعطيه غيرهن ؛ فتغره الدنيا . وفلس من حلال خير من درهم من حرام .

ومما تعمّ به البلوى مكاري^(٤) يكرى امرأة جميلة إلى مكان معيّن ويمشي معها ، وفي الطريق مواضع خالية من الناس ، كما بين البساتين ؛ فإن في معاطفها أماكن لو شاء الفاسق لفعل فيها ما شاء من الفجور . والذي أراه أن حكم ذلك حكم الخلوة بالأجنبية ، فلا يجوز .

ومن كان مع دابة أو دواب ضمن ما تلفه من نفس ومال ، ليلاً كان أو نهاراً . وأما إذا بالت في الطريق فتلف به نفس أو مال فلا ضمان . وعلى الراكب الاحتراز مما لا يعتاد ، كسوق شديد في الوحل ؛ فإن خالف وجب عليه ضمان ما تولى من ذلك .

(١) التَّقْد : تميز الدراهم . القاموس نقد .

(٢) معيد النعم ١٤٠ ، المكاري والجمع مكارون ومكارين من كاري الدابة إذا أجرها (المصباح المنير) وكان كثير من ممن يتعاطون هذه المهنة على غير خلق .

(٣) يقصد المغنيات ، واستعملها هنا على لسان عامة دمشق . وقد مرّ ذكر الكلمة في الصفحة ٢٢ .

(٤) كذا ، ولعل الأصح أن يحذف الياء لأنه اسم متقوص .

ومن حمل حطباً على بهيمة أو على ظهره فحكّ جداداً فسقط الجدار ضَمِنه،
قاله التاج بن السبكي^(١).

وأما ماتضعه المكارية من الجلال في رقاب الحمير والكدش^(٢)، فإنه مكروه؛
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس »^(٣).
وقال صلى الله عليه وسلم: « الجرس مزامير الشيطان »^(٤). رواهما مسلم.

[١٠٩] - منصب غاسل الموتى^(٥)

وعليه استيعاب البدن بالماء بعد أن يزيل ما عليه من النجاسة. ولا يجب عليه نية
الغسل، ولكن الأولى أن ينوي خروجاً من الخلاف.

ويستحب أن يغسل في موضع مستور، لا يدخله سواه، وسوى من يعينه،
وولي الميت إن شاء. ويكره أن ينظر إلى شيء من بدنه إلا الحاجة. وعند الشافعي
يغسله في قميص بال أو سخيّف^(٦)، فيدخل يده من تحته، ويغسله.
وغسل الميت برؤاكرام، لا شيء فيه من الدناءة.

[١١٠] - منصب السجّان^(٧)

ومن حقه الرفق بالمحبوسين، ولا يمنعهم من الجمعة، إلا إذا منع القاضي من

(١) انظر معيد النعم ١٤١.

(٢) وهي الخيول الكبيرة السنّ المستعملة للجر أو الركوب مفرداً كديش، أو إكديش معجم الألفاظ التاريخية ١٢٩
وهي خيول غير أصيلة معروفة ومبتشرة في دمشق وقراها.

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٢٥٥٤ في الجهاد، باب تعليق الأجراس. والذي رواه مسلم: لا تصحب الملائكة رفقة
فيها كلب ولا جرس برقم ٢١١٣، ٢١١٤ في اللباس، باب كراهة الكلب والجرس في السفر: وفي رواية أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجرس من مزامير الشيطان.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) معيد النعم ١٤١

(٦) سَخُفٌ الثوب سُخْفاً وسخافة: رِقْلَةٌ غزله فهو سخيّف. ومنه قيل رجل سَخِيف وفي عقله سُخْف، أي
نقص. وقال الخليل السُخْف في العقل خاصة، والسَخَافَة عامة في كل شيء (المصباح المنير).

(٧) معيد النعم، المرجع السابق.

ذلك للمصلحة. ولا يمنع المحبوس من شم الرياحين إن كان مريضاً. ويمنع من استمتاعه بزوجه دون دخولها لحاجة له.

وإذا علم السجّان أن المحبوس حبس بظلم كان عليه تمكينه بقدر استطاعته، وإلا يكون شريكاً لمن حبسه في الظلم.

[١١١] - منصب الجزار^(١)

ويجب عليه إذا ذبح قطع الحلقوم، وهو مجرى النَّفْس، والمري، وهو مجرى الطعام تحت الحلقوم، والودجين، فإن قطعها حل الأكل، وإن قطع أكثرها فكذلك عند أبي حنيفة. وقال أبو يوسف ومحمد: لا بد من قطع الحلقوم والمري وأحد الودجين. وقال التاج بن السبكي من الشافعية: ولا يكفي قطع واحد من الحلقوم والمري، خلافاً للاصطخري^(٢).

ولو ترك من الحلقوم والمري شيئاً يسيراً، ومات الحيوان فهو ميتة. ولا بد أن يصادف الذابح حيواناً فيه حياة مستقرة وإلا [فلا يحل]؛ وذلك يعرف بالعلامات، كالحركة الشديدة ونحوها. وكثيراً ما يصادف الإنسان حيواناً يضطرب، فيشكّ هل فيه حياة مستقرة أو لا؟ فإذا شكّ فالأصح أنه حرام.

ولا يجوز الذبح بظفر ولا عظم، وتستحب التسمية على الذبح خلافاً لأبي حنيفة، فإنه قال: يجب، ولا يحلّ المذبوح إلا بالتسمية. وتستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح. ولا يحلّ الذبح باسم غير الله.

وأفتى أهل بخارى بتحريم ما يذبح أهل القرى عند استقبال السلطان تقريباً إليه، لأنّه مما أهل به لغير الله.

(١) معيد النعم ١٤٢ وما بين معقوفتين في النص مستدرك منه.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن يزيد الاصطخري، أبو سعيد، فقيه شافعي، ولي قضاء قم ثم حسبة بغداد واستقضاه المقتدر على سجستان، له كتاب في القضاء استحسنته الأئمة وكانت في أخلاقه حدة وله آثار الأعلام ١٧٩/٢ عن وفيات الأعيان ١/١٢٩، المتظم ٣٠٢/٦، طبقات الشافعية ١٩٣/٢.

[١١٢] - منصب المشاعلية^(١)

وهم الذين يحملون مشعلًا يقد بالنار بين يدي الأمراء ليلاً. وإذا أراد [الأمير] شق أحد، أو تسميره^(٢)، أو النداء عليه تولوا ذلك. ومن حق الله عليهم إذا أرادوا قتل أحد أن يحسنوا القتل، وأن يكتنوه من صلاة ركعتين قبل القتل لله تعالى فهي سنة.

[١١٣] - منصب الدالين^(٣)

فمنهم دلال الكتب.

ومن حقه ألا يبيع كتب الدين ممن يعلم أنه يضيئها، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها. وألا يبيع شيئاً من كتب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجمين، والكتب المكذوبة، كسيرة عنتره. ولا يبيع كافر المصحف، ولا شيئاً من كتب الحديث والفقه.

ومنهم ذلال الرقيق.

فلا يحل له بيع عبد مسلم من كافر، وبيع المملوك الحسن الصورة ممن اشتهر باللوّاط، كبيع العصير ممن يتخذ الخمر، وكلاهما مكروه. أما بيع المغاني والآلاتية^(٤) فيجوز، ولكن عند الشافعية، إذا كانت جارية فباعها بالفين، ولولا الغناء ما ساوت ألفاً، فإنهم مختلفون في صحة هذا البيع؛

(١) معيد النعم ١٤٣

(٢) سمر عينه: كحلها بمسمار محمى بالنار (المصباح المنير). والتسمير: نوع من الصلب على صليب من الخشب تدق فيه أطراف المحكوم عليه بالمسامير إلى الخشب. وقد يبقى ساعات طويلة يتعذب حتى يموت معجم الألفاظ التاريخية ٤٥. ولعل هذا المعنى الثاني هو المقصود.

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

(٤) المغاني في استعمال عامة الشام: المغنيات، والآلاتية: عازفو آلات الموسيقى. ومرت كلمة المغاني في الصفحة

والأصح الصحة. وهذا الخلاف جارٍ في الديك والكبش الهرأش^(١) والنطاح.
ومنهم دلال الأملاك.

وعليه التحفظ في ذلك، خشية أن يقع في بيع شيء موقوف؛ فإن هو باع موقوفاً فقد شارك البائع في الإثم.

[١١٤] - منصب بواب المدرسة أو الجامع ونحوهما^(٢)

ومن حقه المبيت بقرب الباب، بحيث يسمع من يطرقه عليه، والفتح لساكن في المكان، أو قاصد مقصداً دينياً [من]^(٣) صلاة أو اشتغال، أي وقت جاء من أوقات الليل.

قال التاج بن السبكي: وما يفعله بعض البوابين من غلق الباب^(٤) في وقت [معلوم]^(٥) من الليل، إما بعد صلاة العشاء، أو في وقت آخر، بحيث إذا جاء أحد السكاكن أو المريدين للصلاة بعده، لا يفتح له، غير [جائز، إلا]^(٦) أن تكون مدرسة شرط واقفها ألا يفتح بابها إلا في وقت معلوم. وفي صحة مثل هذا الشرط نظر واحتمال. وأما لو شرط في مسجد أو جامع فواضح أنه لا يصح. انتهى.

[١١٥] - منصب سايس الدواب^(٧)

ومن حقه النصح في خدمتها، وتنقية العليق^(٨) لها، وتأدية الأمانة فيه؛ فإنه لا لسان لها تشكوه إلا إلى الله سبحانه.

(١) الهرأش: المهارشة بالكلاب وهو تحريش بعضها على بعض. مختار الصحاح.

(٢) معيد النعم ١٤٤

(٣) ما بين معقوفتين كلمات مطموسة في الأصل، والاستدراك من معيد النعم.

(٤) أغلق الباب فهو مغلق والاسم الغلق (مختار الصحاح).

(٥) معيد النعم، المرجع السابق.

(٦) العليق: طعام الدابة في استعمال عامة الشام.

وقد كثر من السُّواس تعليق حُرُزٍ يشتمل على بعض آيات القرآن المجيد على الخيل رجاء الحراسة، مع أنها تتمرغ في النجاسة. وأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) رحمه الله بأن ذلك بدعة، وتعريض للكتاب العزيز للإهانة.

[١١٦] - منصب الكلابزي^(٢)

لله سبحانه عليه نعمة أن جعله خادم الكلاب، ولم يجعله عاصر خمر، أو غير ذلك مما ابتلى به بعض عبده.

فمن شكر هذه النعمة أن ينصح في خدمة كلاب الصيد، وأن يعلم أن في كل كبد حرّى أجراً، وإن كان له على خدمتها جُعلٌ، فهذه نعمة ثانية، عليه أن يوفّيها حق شكرها.

فإن كان في باب ذي جاء فهذه نعمة ثالثة عليه شكر ثالث لأجلها. وعلى هذا فاعتبر.

[١١٧] - منصب حارس الدرب^(٣)

وحق عليه أن ينصح لأهل الدرب ويُسهر عينه إذا ناموا، وينبه النوّام إذا اغتيلوا بحريق أو غيره، ولا يدل على عوراتهم والياً ولا غيره.

[١١٨] - منصب الطُوفِيّة^(٤)

وهم بين البساتين والمساكن الخارجة عن البلد. كالحارس بين الدرب في وسط البلد.

(١) مرت ترجمة العز بن عبد السلام ص ٧٦.

(٢) معيد النعم ١٤٥

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

(٤) معيد النعم ١٤٦

ومن أقبح صنع هؤلاء المداجاة^(١) على جلب الخمر لمن يرضيهم بحطام الدنيا، فلا ينكرون عليه المنكر، مع إنكارهم، زائداً على الحاجة على من لا يرضيهم. وإذا وجدوا قتيلاً في مكان نقلوه إلى مكان آخر؛ فتارة يجدونه في مكان بقرب دار من له عندهم يد، فينقلونه إلى دار من لا يد له عندهم، أو بينه وبينهم شئان، وتارة تنقله طائفة من الأماكن التي هي في تسلمها إلى مكان آخر دفعاً للتهمة عن أنفسهم، وإلقاء لغيرهم فيها، وكل ذلك قبيح. والواجب إبقاؤه في مكانه، ورفع أمره إلى ولي الأمر ليبحث عنه.

[١١٩] - منصب الإسكاف^(٢)

ومن حقه ألا يَخْرُزُ بنجس من شعر خنزير أو غيره، فإن الصلاة في النعلين جائزة؛ صح أنه عليه الصلاة والسلام صلى في النعلين. وإنما فعل ذلك بياناً للجواز، وكان أغلب أحواله صلى الله عليه وسلم الصلاة حافياً. فلو أن الإسكاف استعمل في النعل نجاسة لخان الله والمؤمنين.

[١٢٠] - منصب رماة البندق^(٣)

وعند أئمتنا الحنفية لا يؤكل ما قتلته البندقة. والذي أراه أنه يؤكل ما قاتله البندقة الرصاص. وقد أفتى التاج الفركاح^(٤) من الشافعية بحله مطلقاً، وهو ما ذكره النووي في كتاب (المنثورات) ولكن ذكر في (الذخائر) أن الاصطيداد بما لا حد له كالذبوس والبندق لا يجوز ولا يحل. ويدل له ما في مسند أحمد من حديث عدي

(١) المداجاة: الإدارة (مختار الصحاح).

(٢) معيد النعم، المرجع السابق.

(٣) معيد النعم ١٤٧. والبندق: كتل من الطين تشبه البندق تحفب بالشمس أو تشوى بالنار وتوضع في وتر القوس حيث ترمى بدل النبل. وكانوا يسمون من يحمل جرادة البندق خلف الأمير البندقدار. والبندق فارسية وكذا دار بمعنى عمسك. معجم الألفاظ التاريخية ٣٨.

(٤) مرت ترجمته في الصفحة ٤٧.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكيت »^(١). وروى البيهقي أن ابن عمر كان يقول في المقتولة بالبندقة: تلك الموقودة. وهو في صحيح البخاري. وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وإبراهيم وعطاء والحسن. وكره الحسن رمي البندقة في القرى والأمصار. قال البخاري: ولا نرى بأساً فيما سواه.

[١٢١] - منصب الشحاذ في الطرقات^(٢)

لله عليه نعمة أن أقدره على ذلك، وكان من الممكن أن يخرس لسانه فيعجز عن السؤال، ويقعده، فيعجز عن السعي، ويقطع يديه فيعجز عن مذهبهما، إلى غير ذلك.

فعليه ألا يلج في المسألة، بل يتقي الله ويجمل في الطلب.

وكثير من الحرافيش^(٣) اتخذوا السؤال صناعة، فيسألون عن غير حاجة، يعقدون على أبواب المساجد، يشحذون المصلين^(٤)، ولا يدخلون للصلاة معهم.

ومنهم من يقسم على الناس في سؤاله بما تقشعر الجلود عند ذكره. وكل ذلك منكر. وبعضهم يستغيث بأعلى صوته: لوجه الله تعالى قلّس؛ وقد جاء في الحديث: « لا يسأل بوجه الله [تعالى] إلا الجنة »^(٥). وبعضهم يقول: بشيبة أبي بكر قلّس. فأنظر ماذا يسألون من الحقيق، وبماذا يستشفعون من العظيم.

(١) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٨٠ / ٤ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا أرسلت كلبك وسमित فخالط كلاباً أخرى فأخذته جميعاً فلا تأكل فإنك لا تدري أيهما أخذه، وإذا رميت فسميت فخرقت فكل، فإن لم ينخرق فلا تأكل، ولا تأكل من المعراض إلا ما ذكيت، ولا تأكل من البندقة إلا ما ذكيت ».

(٢) معبد النعم ١٤٧

(٣) الحرافيش أو الحراشفة مفردا حرفوش، وهو من لا حرفه له، أو بمعنى الفقير. (معجم الألفاظ التاريخية ص ٦٠).

(٤) شحذته: ألححت عليه في المسألة (المصباح المنير).

(٥) أخرجه أبو داود برقم ١٦٧١ في الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى. وما بين معقوفتين زيادة من المصنف.

وتراهم النصارى واليهود، ويرون المسلمين ربما لم يعطوهم شيئاً فيشبهقون ويسخرون، وربما كان المسلم معذوراً في المنع، والكافر لا يفهم إلا أن المسلمين لا يكثرثون لذلك.

ورأيت في مثل هذا الشحاذا أن يؤدّب، حتى يرجع عن ذكر وجه الله تعالى، وذكر شيبه أبي بكر رضي الله عنه في هذا المقام.

ومنهم من يكشف عورته، ويمشي عرياناً بين الناس، يوهم أنه لا يجد ما يستر عورته. إلى غير ذلك من حيلهم ومكرهم وخديعتهم.

[١٢٢] - منصب نواب القضاة

فمنهم من يضيّع كثيراً من وقته في طلب القضاء وغيره من المناصب؛ فإن كان مزاده القوت، فالقوت يجيء بدون ذلك. وإن كان مراده الدنيا فقد كان اشتغاله بصنعة الأجناد والدواوين وغيرهم من العامة مالهه أنجح من مقصده؛ فإن الدنيا في أيدي أولئك أكثر.

ومن هذه الطائفة وقضاة القضاة أيضاً من يقول: أكرهت على القضاء، وأنا لم أر إلى الآن من أكره على القضاء الإكراه الشرعي.

وقد ضرب جماعة من السلف على أن يلوا القضاء، فأبوا؛ كما بينت ذلك في كتابي (إرسال القضا على من ولي القضا).

[وقد] سَمَّرَ باب أبي علي بن خيران مدة، وما ذلك إلا لأنهم يخشون ألا يقيموا فيه الحق لفساد الزمان. وإلا فالقضاء إذا أمكن فيه نصر الحق من أعظم

القربات . ولكن أين نصر الحق ، وهم لا يدخلون فيه إلا بالسعي ! وربما بذلوا عليه الذهب . ومذهب كثير من العلماء أنّ من يبذل الذهب على القضاء لا تصح أحكامه . ولا يخفى أنه إذا فسق ببذل الذهب لم يكن نافذ الأحكام .

وكانني بأحمق من الفقهاء يقول : تعيّن عليّ طلب القضاء ، وأنا لا يخفى عليّ ما قاله الفقهاء فيمن تعيّن عليه ، ولكن من الذي تعيّن عليه ! فقائل هذا الكلام إما ممن لبّست عليه نفسه ، واستزله الشيطان من حيث لا يدري ، أو ممن يريد التلبس على الناس ؛ فهو إبليس من الأبالسة ، نعوذ بالله منه .

وما فعلت هذه الطائفة ولا كان ثمرة علمها إلا أن جعلت العلم الذي هو من أقرب الطاعات إلى الله سبيلاً إلى حطام الدنيا ، ثم أخذت تذله ، حتى في دين الله ، وتلبّس على الخلق ، وتأكّل الدنيا بالدين . فقبحها الله من طائفة .

* * *

قال الشيخ محمد أحمد دهمان : هذا ما وجدته في النسخة الفوتوغرافية المأخوذة عن خط المؤلف ، والمحفوظة بالمجمع العلمي [العربي بدمشق] وقد كتب على المجموع الذي فيه هذه الرسالة ما يلي : « نقل هذا المجلّد والذي يليه عن نسخة محفوظة بخزانة آل الجوهري بنابلس سنة ١٣٤٣ هـ . وكتبه محمد أحمد دهمان ، ليلة الأحد الرابع عشر صفر سنة ١٣٥٦ هـ .

أهم المصادر والمراجع

- أبجد العلوم (١ - ٣) ، صديق حسن خان ، دمشق ١٩٨٨ م .
الأحكام السلطانية ، الماوردي ، القاهرة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .
أدب الإملاء والاستملاء ، السمعاني (عبد الكريم بن محمد) ، لندن ١٩٥٢ م .
إرشاد الأريب (معجم الأدباء) (١ - ٢٠) ، ياقوت الحموي ، القاهرة ١٩٣٨ م .
أساس البلاغة ، الزمخشري (محمود بن عمر) .
الإصابة ، ابن حجر (أحمد بن علي) ، القاهرة .
الأعلام ، الزركلي (خير الدين) ، بيروت ١٩٨٦ م .
أعلام النساء ، كحالة (عمر رضا) ، دمشق .
إعلام الوري ، ابن طولون ، محمد ، تح: محمد أحمد دهمان ، دمشق ١٩٨٣ م .
الأغاني ، الأصفهاني (أبو الفرج) .
الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، الفارقي (أبو نصر بن أسد) ، تح: سعيد الأفغاني ، دمشق ١٩٧٤ م .
إنباء الغمر بأبناء العمر ، ابن حجر ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
إنباه الرواة (١ - ٤) ، القفطي ، القاهرة ١٩٨٦ م .
بغية الوعاة ، السيوطي ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .
تاج العروس شرح جواهر القاموس ، المرتضى الزبيدي .
تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ١٩٨٥ م .
تأييد الحقيقة العلية ، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ، تح: عبد الله الغماري ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
التبر المسبوك ، الغزالي (محمد بن محمد) ، ١٩٦٨ م .
تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، تصحيح: عبد الرحمن المعلمي ، بيروت ١٩٥٤ م .
الترغيب والترهيب ، المنذري (عبد العظيم ، ضبط مصطفى محمد عمارة) ، ١٩٨٧ م .
تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، بيروت ١٩٨٤ م .

- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، الأحمد نكري ، بيروت ١٣٩٥ هـ .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، ١٩٨١ م .
- الجواهر المضية ، القرشي (عبد القادر بن محمد) ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، الرياض ١٩٧٨ م .
- حماسة الظرفاء ، الزوزني (محمد عبد الله) تحقيق : المعبيد ، ١٩٧٣ م .
- دائرة المعارف الإسلامية ، ١٩٣٣ م .
- الدرر الكامنة ١ - ٤ ، ابن حجر (أحمد بن علي) ، بيروت ١٩٨٠ م .
- الديباج المذهب في أعيان المذهب ١ - ٢ ، ابن فرحون (إبراهيم بن علي) ، ١٩٧٢ م .
- ديوان البستي ، أبو الفتح البستي ، تح : درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م (مجمع اللغة العربية) .
- ديوان جرير ، تحقيق : نعمان محمد ، ١٩٨٦ م .
- ديوان ابن الرومي ، تح : عبد الأمير عالي مهنا ، القاهرة ١٩٩١ م .
- ديوان الشافعي ، تح : كامل كيلاني ، بيروت (دار ابن زيدون) .
- ربيع الأبرار (١ - ٤) ، الزمخشري (محمود بن عمر) ، بغداد ١٩٨٩ م .
- الرسالة القشيرية ، القشيري (عبد الكريم بن هوازن) ، تح : د . عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، القاهرة
- الرسالة المستطرفة ، الكتاني (محمد بن جعفر) ، بيروت ١٩٨٥ م .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، المحب الطبري ، القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، الأزهري (أبو منصور) ، الكويت ١٣٩٩ هـ .
- الزهرة ، الأصفهاني (محمد بن أبي داود) ، ١٩٨٥ م .
- سنن أبي داود (١ - ٢) ، ١٩٨٨ م .
- السنن الكبرى ، البيهقي (أحمد بن الحسين) ، بيروت ١٩٨٠ م .
- سنن النسائي ، بيروت ١٩٨٧ م .
- سير أعلام النبلاء (١ - ٢٥) ، الذهبي (محمد بن أحمد) ، ط ٤ بيروت ١٩٨٦ م .
- شذرات الذهب (١ - ٨) ، ابن العماد العسكري ، ط ٢ بيروت ١٩٧٩ م .
- شرح ابن عقيل (١ - ٤) ، ١٩٩١ م .

- صبح الأعشى (١ - ١٤) القلقشندي ١٤ ج، ١٩٨٧ م.
- صحيح ابن حبان ، بيروت ١٩٨٧ م.
- صحيح البخاري ، دمشق ١٩٨٧ م.
- الضعفاء والمتروكين ، ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي)، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- صفوة التفاسير ، الصابوني (محمد علي)، ألمانيا الغربية ١٤٠٥ هـ.
- الضوء اللامع ، السخاوي (محمد بن عبد الرحمن) ، ١٨٩٥ م.
- طبقات الحفاظ ، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)، بيروت ١٩٨٣ م.
- طبقات الشافعية الكبرى (١ - ١٠)، السبكي (تاج الدين)، القاهرة ١٩٠٦ م.
- طبقات الصوفية ، السلمي (محمد بن الحسين)، القاهرة ١٤٠٦ هـ.
- العبر ، الذهبي (محمد بن أحمد) ، ١٩٨٤ م.
- الفتاوى ، العز بن عبد السلام، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- الفهرست ، ابن النديم ، تح: فلوجل ، ط مصورة ١٩٧١ م.
- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)،
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية ، ابن طولون (محمد)، تح: محمد أحمد دهمان، دمشق ١٩٨٠ م.
- قنية المنية ، الزاهدي (مختار بن محمود)، كلكتا ١٨٥٦ م.
- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير (عز الدين)، ١٩٧٩ م.
- الكامل في ضعفاء الرجال ، ابن عدي (عبد الله)، ط ٢ بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- كشف الخفا ومزيل الالباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، العجلوني (إسماعيل بن محمد) ، ١٩٨٣ م.
- كشف الظنون (١ - ٦) ، ملا كاتب جلبي، المثنى ط قاسم رجب مصورة ١٩٥٥ م.
- كنز العمال ، علي بن حسام الدين المتقي، ١٩٦٠ م.
- لسان العرب ، ابن منظور (محمد بن مكرم) ١٩٨٦ م.
- مجمع الأمثال ، الميداني، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- مجمع الزوائد ، الهيثمي (علي بن أبي بكر)، ١٩٨٢ م.

- محاضرات الأدباء ، الراغب الأصفهاني ، ١٩٨٥ م.
- مختار الصحاح ، الرازي (محمد بن أبي بكر) ،
- المستدرک علی الصحیحین ، الحاکم (محمد بن عبد الله النیسابوری) ، بیروت ١٩٨٠ م.
- مسند الإمام أحمد ، بیروت ١٩٧٨ م.
- مشكاة المصابيح ، التبريزي (ولي الدين) ، ١٩٨٥ م.
- المصباح المنير ، الفيومي ،
- معجم الألفاظ التاريخية ، دهمان (محمد أحمد) ، دمشق ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- معجم البلدان (١ - ٧) ، ياقوت الحموي ، ١٩٩٠ م.
- المعجم الصغير ، الطبراني (١ - ٢) ، بیروت ١٩٨٦ م.
- المعجم الكبير ، الطبراني (١ - ٢٤) ، بغداد ١٩٨٣ م.
- معجم المطبوعات (١ - ٢) ، يوسف سرکيس ، القاهرة ١٩٨٠ م.
- معجم المؤلفين ، كحالة ، عمر رضا ، دمشق ١٩٥٧ م.
- المعجم الوسيط ، (مجمع اللغة العربية) ، القاهرة ١٩٨٥ م.
- معيد النعم ، السبكي (تاج الدين ، عبد الوهاب بن علي) ، ١٩٤٨ م.
- مفتاح السعادة ، طاشکبرزاده ، ١٩٦٨ م.
- المنتظم ، ابن الجورسي (عبد الرحمن بن علي) ، بیروت ١٩٣٨ م.
- المنهل العذب الروي ، السخاوي (محمد بن عبد الرحمن) ، المدينة المنورة ١٩٨٩ م.
- الموطأ ، مالك بن أنس ، ١٩٨٤ م.
- ميزان الاعتدال ، الذهبي (محمد بن أحمد) ، القاهرة ١٣٨٢ هـ.
- النجوم الزاهرة ، ابن تغربردي ، ١٩٦٣ م.
- هدية العارفين ، إسماعيل البغدادي ، بغداد المثنى مصورة عن استانبول ١٩٥٥ م.
- الوافي بالوفيات ، الصفدي (خليل بن أبيك) ،
- الوزراء والكتاب ، الجهشيار ، ١٩٨١ م.
- وفيات الأعيان (١ - ٨) ، ابن خلکان (أحمد بن محمد) ، ١٩٦٨ م.

فهرس الأعلام

الحاكم

إبراهيم

الباقلائي (أبو بكر، محمد بن الطيب) ١٣٦، ١٣٥
 البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) ١٩٤
 البغدادي (أبو الفرج) ١٤٢
 البغوي (أبو محمد، الحسين بن مسعود) ١١٦
 البقاعي (برهان الدين، إبراهيم بن عمر) ١١٦، ١١٥
 البلقيني ١١٥
 البضاوي (ناصر الدين، عبد الله بن عمر) ٣٣، ٣٢، ٥٨
 البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين) ٩٣، ٩٦، ١١٤، ١٩٤
 التفنازاني (سعد الدين، مسعود بن عمر) ١٣٠
 التيمي (أبو القاسم، إسماعيل بن محمد) ١١١
 ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم) ٥٤، ٣٧
 الثعلبي (أحمد بن يوسف) ٩٥
 الثعلبي (أبو إسحاق، أحمد بن محمد) ١٢٧
 الجرجاني (أبو الحسن بن علي) ٥٨
 الجزري (أحمد بن علي) ١٣٧
 الجعفي (أبو عبد الله، جابر بن يزيد) ٣٤
 الجنيد (أبو القاسم، الجنيد بن محمد) ١٦٧، ١٦٦
 ابن الجوزي (أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي) ١٠٨، ١١٢، ١٦١
 الجويني (أبو محمد، عبد الله بن يوسف) ١٦٦
 الجويني (أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله) ١٣٦
 الجيزي (أبو بكر) ٦٨
 ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد) ١٠٨
 الحاكم (أبو الفضل، إسماعيل بن محمد) ٥٧
 الحاكم (محمد بن عبد الله) ١٠٧

إبراهيم النخعي ١٩٤
 أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ٥٢، ٥١، ٤٢، ٣٥
 ١٩٤، ١٦٩، ١٦٨، ١٣٦، ١٣٤
 ابن الأثير (أبو السعادات، مجد الدين، المبارك بن محمد الجزري) ١١٧
 أحمد بن حنبل ٤٤، ٥٤، ٧٠، ٩١، ٩٣، ٩٨، ١٠١
 ١٠٦، ١١٨، ١٢٤، ١٤٨، ١٩٣
 الأرموية (أم عبد الرزاق، خديجة بنت عبد الكريم) ٥٧
 الاسييجابي (علي بن محمد) ٥٣
 الاسفرايني (أبو بكر، إسحاق) ١٣٥
 أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) ١٦٨
 إسماعيل بن عياش ٦٨
 الأشعري (أبو الحسن، علي بن إسماعيل) ٣٦، ١٢٤، ١٣٤، ١٣٦
 الاصطخري (أبو سعيد، الحسن بن أحمد) ١٨٩
 الأصمعي (أبو سعيد، عبد الملك بن قريب) ١٤٠
 الأعمش (أبو محمد، سليمان بن مهران) ٩٨
 أعين بن أعين الطبيب ١٣٩
 ابن الإمام ١٦١
 أنس بن مالك (رضي الله عنه) ٥١
 الأنصاري (أبو عبد الله، محمد بن عبد الله) ١٠٢
 أنوشروان (كسرى أنوشروان) ٣١
 الأوزاعي (أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو) ١٦٤
 أبو أيوب ٦٨
 ابن إبيك (أبو الحسين، شهاب الدين، أحمد بن إبيك) ١٠٥
 الباعوني (برهان الدين، إبراهيم بن أحمد ناصر) ٣٢

الخليلي (خليل بن عبد الله) ١٠١	ابن حبان (أبو حاتم ، محمد بن حبان) ١٠٦ ، ٥٩ ، ١٠٦
الخوارزمي (أحمد بن محمد) ٥٧	١١٥ ، ١٠٧
الخطاطي (سديد بن محمد) ٥٣	ابن حجر (أبو الفضل ، شهاب الدين ، أحمد بن علي)
ابن خيران (أبو علي) ١٩٥	١١٤ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٦ ، ٩٨ ، ٥٤
الختيفري (أبو الخير ، محمد بن محمد) ١١٥	ابن حجّج (أبو العباس ، شهاب الدين ، أحمد بن
الختيمي (محمد بن محمد) ٥٣	حجي) ١١٥
الدارقطني (أبو الحسن علي بن عمر) ٣٤ ، ٧٨ ، ١٠٩	الحسباني (أبو العباس ، شهاب الدين ، أحمد بن
أبو داود (سليمان بن الأشعث) ٨٤ ، ٤١	إسماعيل) ١١٥
الدباغ (أبو الوليد ، يوسف بن عبد العزيز) ١١٢	الحسن البصري (الحسن بن يسار) ٣٢ ، ١٩٤
ابن دقيق العيد (أبو الفتح ، محمد بن علي) ٥٤ ، ٩٠	الحسن بن سهل ٧٢
١٠٥	أبو حفص الدمشقي ١٠٥
الدمياطي (أبو محمد ، شرف الدين ، عبد المؤمن بن	حمّاد بن زيد ٩٦
خلف) ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧	الحمّداني (أبو فراس ، الحارث بن سعيد) ١٦٤
الدمياطي (أبو منصور ، فتح بن علي) ١٢٣	أبو حنيفة (النعمان بن ثابت) ٤٢ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٨٧ ،
الدوري ١٠١	١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٧٤ .
الذهبي (أبو عبد الله ، شمس الدين ، محمد بن أحمد)	أبو حيان الأندلسي (أثير الدين ، محمد بن يوسف)
٥٣ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٤	١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٢
ذو النون (ثوبان بن إبراهيم) ١٦٦	أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد) ١٤٢ ، ١٧٢
الرازي (أبو زرعة ، أحمد بن الحسين) ١٠٠	الحيري (أبو عثمان ، سعيد بن إسماعيل) ١٥٩ ، ١٦٠
الرازي (أبو زرعة ، عبيد الله بن عبد الكريم) ١٤١	ابن خاقان (عبد الله بن يحيى) ٧٢
الرازي (أبو عبد الله ، فخر الدين ، محمد بن عمر)	خارجة بن أبي زهير (رضي الله عنه) ١٦٩
١٢٧ ، ١٣٣	بنت خارجة (رضي الله عنها) ١٦٩
الراغب الأصفهاني (أبو القاسم ، الحسين بن محمد)	الختيمي (أبو سعيد ، الحسن بن محمد) ٥٧
١٤٠	ابن خدّاش (خالد بن خدّاش) ٩٥
ابن رافع (أبو المعالي ، تقي الدين محمد بن رافع)	خديجة بنت علي ١٣٢
١١٣ ، ١١٤	ابن خزيمة (أبو بكر ، محمد بن إسحاق) ١١٤
ابن رشد (أبو الوليد ، محمد بن أحمد) ١٣٢	الخصّاف (أبو بكر ، أحمد بن عمر) ٤٥
الرشيد هرون بن محمد ١٧٧	الخطيب البغدادي (أبو بكر ، أحمد بن علي) ٩٢ ،
ابن الرفعة (أحمد بن محمد) ٨٩ ، ٩٠	١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠

الروذباري (أبو علي، أحمد بن محمد) ١٦٧	السلفي (أبو طاهر، أحمد بن محمد) ٩٤، ٥٧، ١١٢، ١٣٨
ابن الرومي (علي بن العباس) ١٨٠، ١٤٩	السلمي (أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين) ١٢٩
ابن زريق (ناصر الدين بن أبي بكر بن عبد الرحمن) ١١٥	السمرقندي (أبو محمد) ١١٠
ابن زريق (ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن) ١١٤	السمسار (محمد بن أحمد) ١٣٨
الزمرخشي (أبو القاسم، جابر الله، محمود بن عمر) ١٨٣، ١٢٦، ٥٧	السمعاني (أبو سعد، عبد الكريم بن محمد) ٩٩، ١١٠، ١١١
الزنجاني (أبو سعيد، المطهر بن سليمان) ٥٣	السمعاني (أبو المظفر، منصور بن محمد) ١٧٢
الزهري (محمد بن مسلم) ١٠٨، ١٠٩، ١١٢	السندي (عماد الدين، مسعود بن شيبه) ٥٣
الزيادي (أبو طاهر، محمد بن محمد) ١٤١	سويد بن سعيد الخدثاني ١٠١
الساجي (أبو يحيى، زكريا بن يحيى) ١٠١	ابن سيد الناس (محمد بن محمد) ٩٢، ١٠٠، ١٠٥
سارية بن زينم (رضي الله عنه) ١٦٩	١٠٨، ١٠٦
سالم (مولي عبد الله بن عمر) ١٩٤	ابن سينا (أبو علي، شرف الملك، حسين بن عبد الله) ١٣٠، ١٣٦
السبكي (أبو نصر، تاج الدين، عبد الوهاب بن علي) ٢٦، ٣٧، ٤٥، ٧٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٠	السيوطي (جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر) ١٣٢
٩١، ٩٣، ٩٤، ١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤	الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس) ٢٥، ٣٠
١٣٥، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٧٨	٤٢، ٤٤، ٤٥، ٧٩، ٩٨، ١١٨، ١١٩، ١٢١
١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١	١٢٤، ١٣٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٧٠، ١٧٧، ١٨٨
(أبو الحسن، تقي الدين، علي بن عبد الكافي) ٢٦، ٥٠، ٥٤، ٧٠، ٨٤، ٨٦، ١١٣، ١٢٦، ١٦١	أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل) ٩٧
١٦٧، ١٧٩	الشبلي (أبو بكر، دلف بن جحدر) ١٦٦
السجزي (أبو سعيد، الخليل بن أحمد) ٥٢	الشرايحي (جمال الدين) ١١٣، ١١٥
السخاوي (شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن) ٩٤، ٩٥، ١٠٥، ١١٣، ١١٥	الشعبي (أبو عمرو، عامر بن شراحيل) ٣٤، ١٧٨
سراج (خادم الرشيد) ١٧٧	ابن أبي شيبه (أبو بكر، عبد الله بن محمد) ٩٩، ١٠٠
السفدي (أبو الحسن، علي بن الحسين) ٥٢	الشيرازي (أبو إسحاق، إبراهيم بن علي) ١٢٠
سفيان بن عيينه ٩٨، ١٠٩	الصابوني (إسماعيل بن عبد الرحمن) ٥٣
سفيان الثوري (سفيان بن سعيد) ٩٥، ٨٨، ٥٦، ٩٦	الصاعدي (أحمد بن محمد) ٥٣
٩٧	الصاغانى (الحسن بن محمد) ١١٦
ابن سلام ١٧٨	ابن الصايغ (أبو عبد الله) ٧٣

عبد الله بن دينار ٧٢	صدر الشريعة (أحمد بن عبيد الله) ١١٩
عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ٦٨، ١٠٩، ١٥٠	الصفار (أبو حفص، عصام الدين، عمر بن أحمد)
عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) ٣٤، ٦٨، ١٩٤	١٢٢
عبد الله بن المبارك ٨٨، ١٨٣	الصفار (أبو سعد، عبد الله بن عمر) ١٢٢
عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) ٣٤، ٤١	الصفار (القاسم بن عبد الله) ١٢٢
ابن عبد الهادي (محمد بن عبد الهادي) ٥٧، ١٣٧	الصفدي (صلاح الدين، خليل بن إبيك) ٧٣
بنت عبد الهادي (أم محمد، عائشة بنت محمد بن عبد الهادي) ٥٧	ابن الصلاح (أبو عمرو، عثمان بن عبد الرحمن) ٣٠، ١١٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٥٧
عبد الوهاب (القاضي عبد الوهاب) ٩٥	الصيمري (أبو القاسم، عبد الواحد بن الحسين) ١٥٠
العبدوي (أبو حازم) ١١٠	الضياء المقدسي (ضياء الدين، محمد بن عبد الواحد)
العجلوني (أبو إسحاق، برهان الدين، إبراهيم بن محمد) ١١٥	٩٦
ابن عدي (أبو أحمد، عبد الله بن عدي) ١٠٠	الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد) ٥٩، ٦٨، ٩٣
عدي بن حاتم (رضي الله عنه) ١٩٣، ١٩٤	الطبري (أبو جعفر، محمد بن جرير) ١٢٨
العراقي (أبو الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين) ٣٣، ٩٠، ١٠٦، ١١٣، ١١٤	الطبري (أبو العباس، محب الدين، أحمد بن عبد الله)
العروضي (أحمد بن محمد) ١٠٩	٥١
العز بن عبد السلام (سلطان العلماء، عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام) ٨٢، ١٦١، ١٨٢، ١٩٢	الطحاوي (أبو جعفر، أحمد بن محمد) ٣٦، ١١٤، ١٣٤
ابن عساكر (أحمد بن هبة الله) ١٢٢	الطرطوشي (أبو بكر، محمد بن الوليد) ٢٦
ابن عسرون (عبد الله بن محمد) ٩٣	الطوسي (أبو جعفر، نصير الدين، محمد بن محمد)
عطاء بن أبي رباح ٦٨، ١٩٤	١٣٦، ١٣٥
عكرمة ١٠٩	الطيالسي (أبو داود، سليمان بن داود) ١٠١
علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ٥١، ١٦٩	الطيالسي (أبو الوليد، هشام بن عبد الملك) ٥٤
علي بن الهيثم ١٣٨، ١٣٩	الظاهر بيبرس ٧٧
عمار بن رجا ١٠٨	عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) ٣٥، ٥٩، ١٣٤، ١٦٨، ١٦٩
عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ٢٩، ٣٥، ٥١	العباس بن مرداس ١٤٦
٥٢، ٨٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٦٩، ١٧٠	ابن عبد البر (أبو عمر، يوسف بن عبد الله) ٩١
عمر بن عبد العزيز ٣٢، ٦٢	عبد الحق الأزدي (عبد الحق بن عبد الرحمن) ٩٦

عمر بن العاص (رضي الله عنه) ١٧٠
 أبو عمرو بن العلاء (زبان بن عمار) ١٣٧
 العمري (محمد بن العماد) ١٢٢
 عيسى بن أبان ٩٥
 عيسى بن عمر ١٣٨
 العيني (بدر الدين محمود بن أحمد) ٣٦
 الغزالي (أحمد بن محمد) ١٢٢
 الغزالي (أبو حامد، حجة الإسلام، محمد بن محمد) ٢٦، ٣١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٢، ١٣٣، ١٦١، ١٧٩
 الغزيمي (أبو الرجا، نجم الدين، مختار بن محمود) ٣٩
 الفارابي (أبو نصر، محمد بن محمد) ١٣٠
 الفارقي (أبو علي، الحسن بن إبراهيم) ٩٣
 أبو الفرج الحنبلي (أبو الفرج بن أبي عمر) ٥٤، ٥٥
 الفرغاني (برهان الدين، علي بن أبي بكر) ٥٣
 ابن الفركاح (أبو محمد، تاج الدين، عبد الرحمن بن إبراهيم) ٥٣، ١٩٣
 الفضيل بن عياض ٥٥
 القاسم بن البكر ١٩٤
 القاسم بن علي ١٠٨
 ابن قاضي شهبه (أبو الفضل، بدر الدين، محمد بن أبي بكر) ٣٤
 القرطبي (أبو عبد الله، محمد بن أحمد) ١٢٧
 القزويني (أبو حفص، سراج الدين، عمر بن علي) ١٣٢
 القزويني (نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم) ١١٩
 القشيري (أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن) ١٢٢، ١٦٧، ١٣٢
 قطز (الملك المظفر، سيف الدين، قطز بن عبد الله) ٨١
 قلاوون (سيف الدين، الملك المنصور، السلطان قلاوون) ٨٢
 ابن كثير (أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن عمر) ١١٣، ١١٤
 الكمالية (أم عبد الله، زينب بنت أحمد بن الكمال) ٥٧
 الكندي (أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق) ١٤٠
 الكيّ الهراسي (أبو الحسن، علي بن محمد) ٩٤
 اللخمي (أبو محمد) ١٠٥
 الماتريدي (أبو منصور، محمد بن محمد) ٣٦
 ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد) ٣٤
 مالك بن أنس ٤٤، ١١٨، ١٢٤، ١٤٨
 المأمون (عبد الله بن هرون) ١٥١
 الماوردي (أبو الحسن، علي بن محمد) ٢٦، ٩٤
 المبارك بن عبد الجبار ١٣٨
 مجاهد بن جبر ١٩٤
 المحاملي (عبد الكريم بن محمد) ١٣٨
 أبو محكم ١٠٩
 محمد بن أحمد المصري ١٣٧
 محمد بن بشير ١٠٨
 محمد بن الحسن الشيباني ١٧٤، ١٨٩
 أبو محمد النحوي ١٠٥
 المرزباني (أبو عبيد الله، محمد بن عمران) ١٠٩
 المرغيناني (برهان الدين، علي بن أبي بكر) ٥٣
 ابن المزوع (يموت العبدى البصري) ٢٨
 المزري (أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن) ٥٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧
 أبو مسهر (عبد الأعلى بن مسهر) ١٠٢
 المصري (أحمد بن صالح) ٩١

عمر بن العاص (رضي الله عنه) ١٧٠
 أبو عمرو بن العلاء (زبان بن عمار) ١٣٧
 العمري (محمد بن العماد) ١٢٢
 عيسى بن أبان ٩٥
 عيسى بن عمر ١٣٨
 العيني (بدر الدين محمود بن أحمد) ٣٦
 الغزالي (أحمد بن محمد) ١٢٢
 الغزالي (أبو حامد، حجة الإسلام، محمد بن محمد) ٢٦، ٣١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٢، ١٣٣، ١٦١، ١٧٩
 الغزيمي (أبو الرجا، نجم الدين، مختار بن محمود) ٣٩
 الفارابي (أبو نصر، محمد بن محمد) ١٣٠
 الفارقي (أبو علي، الحسن بن إبراهيم) ٩٣
 أبو الفرج الحنبلي (أبو الفرج بن أبي عمر) ٥٤، ٥٥
 الفرغاني (برهان الدين، علي بن أبي بكر) ٥٣
 ابن الفركاح (أبو محمد، تاج الدين، عبد الرحمن بن إبراهيم) ٥٣، ١٩٣
 الفضيل بن عياض ٥٥
 القاسم بن البكر ١٩٤
 القاسم بن علي ١٠٨
 ابن قاضي شهبه (أبو الفضل، بدر الدين، محمد بن أبي بكر) ٣٤
 القرطبي (أبو عبد الله، محمد بن أحمد) ١٢٧
 القزويني (أبو حفص، سراج الدين، عمر بن علي) ١٣٢
 القزويني (نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم) ١١٩
 القشيري (أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن) ١٢٢، ١٦٧، ١٣٢

التفيلي (عبد الله بن محمد) ١٠٠	ابن مطر (أبو عمرو، محمد بن جعفر) ١٥٩
أبو نواس (الحسن بن هاني) ١٤٩، ١٥٠	ابن المظفر (أبو العباس) ١٢٢
النوي (أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف)	معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) ٤١
٣٠، ٧٠، ١٠٠، ١١٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٦١	المعدل (إسماعيل بن سعيد) ١٣٨
١٧٤، ١٨٠، ١٩٣	المعري (أبو العلاء، أحمد بن الحسين) ١٤٨
الهروي (أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد) ٥٢	أبو معشر ١١٠
أبو هريرة (رضي الله عنه) ٨٤	المقدسي (أبو الحسن، علي بن الفضل) ١٠٧، ١٠٨
هشيم بن بشير ١٠٠، ١١٠	المقدسية (أم محمد، عائشة بنت محمد) ٥٧، ١٣٧
الهكاري (أبو الحسن، علي) ٥٠	ملأ علي القاري (برهان الدين، علي بن أبي بكر) ٥٣
ابن أبي هند (سعيد بن أبي هند) ٨٤	ابن الملقن (أبو حفص، سراج الدين، عمر بن علي)
الهيثمي (أبو الحسن، علي بن أبي بكر) ١١٣	٣٤
الواحدي (أبو الحسن، علي بن أحمد) ١٢٩	ابن ملكشاه (السلطان محمد بن ملكشاه) ٢٦
الواسطي (أبو علقمة) ١٣٩	ابن منده (عبد الله بن منده) ٥٢
الوراق (أحمد بن إبراهيم) ١٣٨	المنذري (زكي الدين، عبد العظيم بن عبد القوي) ١٠٧
الوليد بن عبد الله ١٠٨	المنصور (أبو جعفر، عبد الله بن محمد) ٣٨
يحيى بن معين ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٩	المنيعي (أبو علي، حسان بن سعيد) ٥٢
يزدكن (وزير كسرى أنوشروان) ٣١	موسى بن داود ١١٠
أبو يعلى (أحمد بن علي) ١٢٨	ميسون بنت بحدل ١٤٤
يمين الدولة (أبو القاسم، محمود بن سبكتكين) ١٦١	الناجي (برهان الدين، إبراهيم بن محمد) ١١٥
أبو يوسف ٣٠، ٤٢، ٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٩	١١٦
يوسف بن عمرو ١٠٥	ابن ناصر الدين الدمشقي (محمد بن أبي بكر) ٧٨،
ابن يونس (أحمد بن عبد الله بن يونس) ٥٥	١١٥، ١١٢
ابن يونس (تاج الدين، عبد الرحيم بن محمد) ٩٣	التحوي (أبو محمد) ١٠٥
ابن يونس (أبو القاسم، يونس بن طاهر بن محمد بن	التخشي (أبو تراب، عسكر بن الحصين) ٩١
يونس) ٥٢	التسفي (أبو حفص، نجم الدين، عمر بن محمد) ١٢٩
	أبو نعيم الأصبهاني (أحمد بن عبد الله) ١١٠

فهرس المواد

الموضوع

الصفحة

المقدمة :	[٢٠ - ٥]
- التعريف بكتاب نقد الطالب	٧
- ابن طولون الصالحى	١٠
- وصف مخطوطة كتاب نقد الطالب	١٦
الكتاب :	[٢١ - ١٩٦]
- مقدمة المؤلف	٢٣
١ - منصب الخلافة	٢٤
٢ - منصب السلطنة	٢٦
٣ - منصب الوزارة	٣٣
٤ - منصب نواب السلطنة	٣٥
٥ - منصب الدواوين	٣٨
٦ - منصب الولاة	٤١
٧ - منصب العمال على الزكاة	٤٤
٨ - منصب القضاة	٤٥
٩ - منصب الحسبة	٤٩
١٠ - منصب شيخ الإسلام	٥١
١١ - منصب الدواواریة	٥٩
١٢ - منصب الخازندارية	٦٠
١٣ - منصب الأستاذارية	٦٠
١٤ - منصب المهندارية	٦١
١٥ - منصب البريدية	٦٢
١٦ - منصب السلحدارية	٦٣
١٧ - منصب الجمقدارية	٦٤
١٨ - منصب الطبردارية	٦٤
١٩ - منصب الجوكندارية	٦٤
٢٠ - منصب الجمدارية	٦٥

٦٥	٢١ - منصب البشمقدارية ..
٦٦	٢٢ - منصب السقاة
٦٧	٢٣ - منصب أمير علم
٦٧	٢٤ - منصب أمير شكار ..
٦٨	٢٥ - منصب الموقعين
٦٩	٢٦ - منصب مقدم الممالك ..
٦٩	٢٧ - منصب الأجناد
٧٠	٢٨ - منصب الطواشاة
٧١	٢٩ - منصب المقرين عند الحاكم
٧٣	٣٠ - منصب كاتم السر
٧٤	٣١ - منصب ناظر الجيش
٧٥	٣٢ - منصب الحجوية
٧٧	٣٣ - منصب النقباء
٧٧	٣٤ - منصب المعروف
٧٨	٣٥ - منصب الخولية
٧٨	٣٦ - منصب أمراء الدولة
٨٥	٣٧ - منصب أمراء العرب
٨٥	٣٨ - منصب كاتب القاضي
٨٦	٣٩ - منصب حاجب القاضي
٨٧	٤٠ - منصب نقيب القاضي
٨٧	٤١ - منصب أمناء القاضي
٨٧	٤٢ - منصب وكلاء دار القاضي
٨٨	٤٣ - منصب الشهود
٨٩	٤٤ - منصب ناظر الوقف ونحوه من المباشرين
٩٠	٤٥ - منصب وكيل بيت المال
٩٠	٤٦ - منصب المؤرخين

الموضوع	الصفحة
٤٧ - منصب المحدثين	٩٢
٤٨ - منصب الحفاظ	١٠٤
٤٩ - منصب الفقهاء	١١٨
٥٠ - منصب المفسرين	١٢٦
٥١ - منصب حكماء الإسلام	١٣٠
٥٢ - منصب المناطق	١٣٢
٥٣ - منصب علماء أصول الدين	١٣٤
٥٤ - منصب اللغويين	١٣٧
٥٥ - منصب النحاة	١٤٣
٥٦ - منصب الأدباء	١٤٧
٥٧ - منصب العروضيين	١٤٧
٥٨ - منصب الافتاء	١٤٨
٥٩ - منصب المدرس	١٥٢
٦٠ - منصب المعيد	١٥٤
٦١ - منصب المفيد	١٥٤
٦٢ - منصب المتبهي من الفقهاء	١٥٥
٦٣ - منصب فقهاء المدرسة	١٥٥
٦٤ - منصب قارئ العشر	١٥٥
٦٥ - منصب المنشد	١٥٦
٦٦ - منصب كاتب الغيبة	١٥٦
٦٧ - منصب القراء الذين يقرؤن القرآن بالألحان	١٥٦
٦٨ - منصب خازن الكتب	١٥٧
٦٩ - منصب شيخ الرواية	١٥٨
٧٠ - منصب ضابط الأسماء	١٥٨
٧١ - منصب الخطيب	١٥٨
٧٢ - منصب الوعاظ	١٥٩

١٦٠	٧٣ - منصب القاص
١٦٠	٧٤ - منصب قارئ الكراسي
١٦١	٧٥ - منصب الإمام
١٦٢	٧٦ - منصب المؤذن
١٦٢	٧٧ - منصب الموقت
١٦٦	٧٨ - منصب الصوفية
١٧١	٧٩ - منصب شيخ الخانقاه
١٧٢	٨٠ - منصب فقراء الخوانق
١٧٣	٨١ - منصب خادام الخانقاه
١٧٣	٨٢ - منصب شيخ الزاوية
١٧٣	٨٣ - منصب أصحاب الأموال
١٧٤	٨٤ - منصب صاحب الزرع ونحوه
١٧٥	٨٥ - منصب الصيادين
١٧٥	٨٦ - منصب مشد العمائر
١٧٦	٨٧ - منصب البناء
١٧٦	٨٨ - منصب الطيان
١٧٧	٨٩ - منصب معلم الكتاب
١٧٨	٩٠ - منصب الناسخ
١٧٩	٩١ - منصب الوراق
١٧٩	٩٢ - منصب المجلد
١٨٠	٩٣ - منصب المذهب
١٨٠	٩٤ - منصب الطيب
١٨١	٩٥ - منصب المزين
١٨١	٩٦ - منصب الكحال
١٨١	٩٧ - منصب الحائك
١٨٢	٩٨ - منصب القيم في الحمام
١٨٢	٩٩ - منصب الدهان

الموضوع الصفحة

١٨٣	١٠٠ - منصب الخياط
١٨٤	١٠١ - منصب الصباغ
١٨٤	١٠٢ - منصب الناطور
١٨٤	١٠٣ - منصب الفراشين
١٨٥	١٠٤ - منصب البابا
١٨٥	١٠٥ - منصب الشربدار
١٨٦	١٠٦ - منصب العطشدار
١٨٦	١٠٧ - منصب الصيرفي
١٨٧	١٠٨ - منصب المكاري
١٨٨	١٠٩ - منصب غاسل الموتى
١٨٨	١١٠ - منصب السجان
١٨٩	١١١ - منصب الجزار
١٩٠	١١٢ - منصب المشاعلية
١٩٠	١١٣ - منصب الدلالين
١٩١	١١٤ - منصب بواب المدرسة أو الجامع ونحوهما
١٩١	١١٥ - منصب سايس الدواب
١٩٢	١١٦ - منصب الكلابزي
١٩٢	١١٧ - منصب حارس الدرب
١٩٢	١١٨ - منصب الطوفية
١٩٣	١١٩ - منصب الإسكاف
١٩٣	١٢٠ - منصب رماة البندق
١٩٤	١٢١ - منصب الشحاذ في الطرقات
١٩٥	١٢٢ - منصب نواب القضاة

مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي

بالتعاون مع دار الفكر المعاصر

- الصبر مطية النجاح ، للظهير الإربلي - تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- مشيخة أبي المواهب الحنبلي - تأليف محمد مطيع الحافظ .
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، للقاضي زكريا الأنصاري - تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- إتحاف المسلم بما ورد في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم ، للشيخ يوسف النبهاني - تحقيق مأمون صاغر جي .
- الإعلام بوفيات الأعلام ، للحافظ الذهبي - تحقيق رياض مراد وعبد الجبار زكار .
- الأربعين البلدانية ، للحافظ ابن عساكر - تحقيق محمد مطيع الحافظ .
- ظاءات القرآن الكريم لابن عمار وشرحه للتجبيي ، والفرق بين الظاء والضاد للزنجاني - تحقيق محمد سعيد مولوي .
- نقد الطالب لزغل المناصب لابن طولون الصالحي - تحقيق الشيخ محمد أحمد دهمان ، مراجعة نزار أباطة وخالد دهمان .
- كشف المغطى في فضل الموطا ، للحافظ ابن عساكر - تحقيق محمد مطيع الحافظ .